تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

الفرقان

لابن الخطيب

جمع القرآن وتدوينه، هجاؤه ورسمه
تلاوته وقراءاته، وجوب ترجمته وإذاعته

كلمة حق: إن أغضبت مخلوقا فقد أرضيت خالقا
وإن ساءت جاهلا فقد سرت عالما
وإن أضررت بعض المقربين فقد نفعت سائر المسلمين

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

إلى خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد الأصفياء، وخير أهل الأرض والسماء:

محمد ﷺ

النبي الأمى العربى ، الذى جاءنا بالنور المبين ، من رب العالمين ، فهدى قلوبا غُلْفًا[1] ، وفتح آذانا صما ، وبَصَّرَ أعينا عميا . وأحيانا بالإيمان والإسلام ، بعد أن أماتنا الكفر وعبادة الأصنام . وجاءنا بالكتاب المجيد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ فأجبنا الدعاء ، ولبينا النداء ، وتمت لنا السعادة ، وحقت لنا الحسنى وزيادة . فلله الحمد على منته ، والشكر على نعمته !

إليك يا رسول رب العرش العظيم ، ومنقذ الأمة من العذاب الأليم . يا من جئتنا بدين اليسر فَعَسَّرُوه ، وبالكتاب السهل فَصَعَّبُوه . وأرسلك ربك بالقرآن للخلق عامة ، فقصروه على أمة العرب خاصة . وأمرتهم بالعمل به ، فاتخذوا دراسته عملا .

إليك يا من بعثت لِتُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ، وأرسلت لِتُحِلَّ الوفاق مكان الشقاق .

إليك يا من نقلت العالم من الجاهلية الجهلاء ، إلى المدنية العلياء ، وحوّلتهم من البهيمية إلى الإنسانية .

---

(١) القلب الأغلف : الذى لا يعى ، كأنما أحيط بغلاف . قال تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف » .

لقد كانوا يئدون بناتهم؛ فأكرموهنّ . ويبيعون نساءهم؛ فحفظوهنّ . ويعبدون ما ينحتون ، ففطِنوا لما كانوا يجهلون ، وعبدوا مولاهم الحق ، الذى خلقهم وتكفل بأرزاقهم .

لقد كانوا كالأنعام بل أضل سبيلا منها . فصاروا هداة للعالم كافة ، ومنارا لبنى الإنسان عامة .

إليك يا من تَمَسَّكَ أعداؤك بأخلاقك فَعَلَوْا فى الأرض وتَمَلَّكُوها ، ودانت لهم رقاب أهليها . وفرّط أحباؤك فى أوامرك ونواهيك ؛ فَضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياةِ الدنيا ، وهم يَحْسَبُونَ أنهم يحسِنون صنعا . وتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ، فلا نجاة لهم إلا بالرجوع إليك ، والتعلق بأذيالك ، والتمسك بحبالك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ .

إليك يا حبيبى وحبيب الله ، أرفع كتابى هذا ، راجيا ألا أكون قد حِدت عن سنتك ، أو مِلت عن شريعتك . بل أكون قد ذدت عن حياض الدين ، وحافظت على الكتاب المبين .

وفيك الرجاء ، وبك الاستشفاع ؛ أن يقبله ربى ويجعله خالصا لوجهه الكريم !

وعليك — يا أكرم الخلق — من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام .

المشرف ببنوتك
الملتمس بركتك الراجى شفاعتك
محمد محمد عبد اللطيف
ابن الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ، والصلاة والسلام على رسوله الذى أرسله داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا ، وعلى آله وأصحابه الذين بشرهم بأنّ لهم من الله فضلا كبيرا .

وبعد، فلما كان القرآن الكريم هو محط الرجاء ومنتهى الآمال، والرحمة المنزلة لإنقاذ العالم من الشر والضلال ، والنور المبين لهداية الكفار والجهال ، والقصص الحق البشير للمؤمنين بالنعيم المقيم ، النذير للكافرين بالعذاب الأليم . والعروة الوثقى التى من استمسك بها فاز ونجا ، وكانت له الدرجات العلا . ومن أعرض عنها ذل وهوى .

ولما كانت حاجة سائر بنى الإنسان مُلِحَّةً إلى تناوله ، ورغبتهم شديدة فى تداوله ، وجب أن يكتب بالرسم الذى تسهل به قراءته ، وبالهجاء الذى تستساغ به تلاوته . ووجب أيضا أن يترجم لبقية الناس الذين لا يتكلمون العربية ، ولا يتقنون سوى لغتهم الأعجمية . إذ أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وُسْعَهَا ، ولا يُحَمِّلُهَا إلا ما آتاها .

وقد أنزل القرآن الكريم لهداية العالم أجمع ، شرقيهم وغربيهم ، عربيهم وعجميهم .

وقد قام كثير من فضلاء المسلمين ، وكبار المثقفين ، يطالبون بوجوب طبع المصحف الشريف مطابقا لرسم الإملاء الحديث ، وقام آخرون من القراء يعارضون هذا الرأى و يسفهونه ، و يرمون القائلين به بالزندقة والإلحاد ، والمروق من الدين . وقد أفتوا بأن القرآن إذا كتب بالإملاء الحديث ، خرج عن قرآنيته ، ولم تكن له حرمة ، ولم تجز له قراءة .

وهو تعسف ظاهر ، لا يستند على دليل منقول أو معقول ، بل يدخل فى عموم التدجيل والأباطيل .

وقد قام المغفور له الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بالدعوة إلى ترجمة الكتاب الكريم إلى اللغات الحية . وهى دعوة جريئة ، قوبلت بما تقابل به كل دعوة إلى الإصلاح لم تألفها القلوب ، ولم تركن إليها النفوس . ووافقه على ذلك بعض الأجلاء .

فقام أناس — من العلماء وغيرهم — يعارضون هذه الفكرة ويحاربونها ويتهمون الداعين إليها فى عقلهم ودينهم .

وقد طلب إلىّ بعض من يحسنون الظنّ بى ، ولا يسعنى مخالفتهم ، أن أضع مؤلفا أبيّن فيه القول الفصل فى هذه النقطة الشائكة ، التى قد تكون نقطة تحوُّل فى الدين الإسلامى ، تجعل المسلمين — كما كانوا فى الزمان الأوّل — حملة مشعل الهداية والعرفان لسائر الأمم ! تلك الأمم التى توهمت

الآن — جهلا منها — أنها المرشدة إلى أقوم طريق ، وأهدى سبيل . في حين أنها تتخبط في مهاوى الظلمات ، ودياجير الجهل[1] .

فرأيت نزولا على رغبتهم ، وإجابة لطلبتهم ، أن أكتب هذا ، متوخيا الأدلة النقلية ، معززا لها بالبراهين العقلية ، ضاربا الصفح عما كاد أن يكون من العادات الموروثة عن الآباء والأجداد . وقدما قال الكافرون والمعاندون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ[2] ﴾ . فلم ينفعهم قولهم ، ولم ينقذهم تقليدهم ، بل أوردهم النار وبئس الوِرد المورود .

وقد رأيت أن أضم إلى موضوع الترجمة أبحاثا تتعلق بما اخْتُلِفَ فيه ، وما هو مثار جدل وشقاق ، كالترجمة سواء بسواء . فابتدأت بذكر إعجاز القرآن وأسلوبه ولغته وهدايته وكيف كان جمعه ؟ وهل يجب التقيد برسمه القديم ؟ وهل يجوز استعمال القراءات المختلفة المتباينة ، التى تتنافر مع لغتنا ولهجتنا ؟ إلى غير ذلك مما قال به بعض القرّاء من الوقفات ، والسكتات ، والغنّ ، والمدّ ، والإشمام ، والإدغام ، وما شاكل ذلك .

هذا وإنى أعلم حق العلم ، وأوقن تمام اليقين ، أنى قد عاديت بعملى هذا جمهرة المشتغلين بالقراءة ، المنتفعين بها ، وبعض المتفيهقين[3] الذين

---

(١) ولا أدل على ذلك من أنهم قد استخدموا علومهم ومعارفهم في التخريب والحروب ، والابتعاد عن السلام والوئام . في حين أن الإسلام يحث دائما على الأخوّة الصادقة ، والتعاون العام بين سائر الشعوب ، بغير فرق بين الأجناس « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . والتعارف : هو التحابب ، والتآلف ، والتعامل .

(٢) سورة الزخرف . آية ٢٢

(٣) تفيهق الرجل في كلامه : تنطع وتوسع ، وملأ به فمه .

يتمسكون بالقشور ويدعون اللباب ، ويتعالمون بتعجيز الناس وتوقيفهم عن تلاوة آى ربهم ، ويحسبون أنهم بفعلتهم هذه يحسنون صنعا ، ويجلبون نفعا .

وعلم الله تعالى أنهم صادّون عن القرآن ، عاصون للرحمن ، مستوجبون للخذلان والحرمان .

فلم يُنَزِّلِ الله تعالى كتابه الكريم ، السهل السمح ، ليهتدوا به وحدهم ، وليكونوا وقفا عليهم . ولم يجعله طِلَّسْمًا[1] لا تُحَلُّ رموزه ، ولا تُفْتَحُ كنوزه ، إلا لأقلية ضئيلة ، لم تنل من العلم قطرة ، ولا من الفهم ذرّة . وينادون بكفر من يأخذ القرآن عن غير طريقهم ، وإلحاد من يقرؤه بغير نفعهم .

وكأنى بهم يريدون أن يعيدوا عهد بيع صكوك الغفران ، الذى فعله بعض رؤساء الكنيسة فى غابر الأزمان .

ومن قبل قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام :
" أَكْثَرُ مُنَافِقِى هٰذِهِ الأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا "[2] .

ولم يقل أحد مطلقا — ممن تبرأ من الجهل ، وانتسب إلى العلم — بأن القرآن الكريم ، إنما هو بأحرفه واسمه ، وهيكله ورسمه .

لا . إنما القرآن بمنطقه وفهمه ، ولم ينزل إلا لمعرفة معانيه ، وتبيان مراميه ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] .

---

(١) الطلسم : الخطوط والكتابة التى يرسمها السحرة ، فلا تفهم ولا تقرأ .

(٢) أورد هذا الحديث الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين ، وقال قوم بوضعه .

(٣) سورة النحل . آية ٤٤

وقد أسميته « الفرقان » لأن مباحثه تدور حول ما جاء بالكتاب الكريم الذى هو من أسمائه .

ولأن « الفرقان » لغة : هو ما يفرق بين الحق والباطل (١) . وأعتقد أنى — فى كتابى هـذا — قد فرقت بين الحق الذى أنزله الله تعالى ، والباطل الذى ابتدعه المبتدعون .

وما أردت بما صنعت سوى إرضاء الله تعالى ورسوله ، و إرضاء ضميرى وسائر المؤمنين .

وسأحاول أن أبين فى هذا الكتاب : كيف ترك القرآن أهلوه ؛ فتركهم ، ونبذوه ؛ فانتبذهم . وحاربوه فى القول والعمل ؛ فحاربهم . ولم يبق لنا من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن سوى رسمه !

ولست أطلب من القارئ الكريم ، والمنصف الحكيم . إلا أن يتدبر ما قلته ، و يتبصر فيما سقته . فإن وجد الدليل مصاحبى ، والحق فى جانبى . فليجهر برأيى ، وليحمد سعيى ، ولا يخف فى الحق لومة لائم .

و إن خالفنى فيما ذهبت إليـه ، فله رأيه الذى سَيُسْأَلُ عنه ، ولى رأيى الذى سَأُحَاسَبُ عليه . و ﴿ لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ .

و إنى أهِيبُ بجمهـرة العلماء العاملين ، والأدباء الباحثـين ، والحفَّاظ والقارئين . الذين رَغِبُوا عن السِّباب والشتائم ، وحاولوا الوصول إلى الحقيقة

---

(١) قال تعالى : " ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان " أى الحجج والآيات التى فرقت بين حق موسى و باطل فرعون .

مجـردة عن الهوى والتقليـد ، وراعوا كرامة البحث وآداب المناظرة ، أن يوافونى بردودهم على ما جاء بكتابى هـذا . وأنا الكفيل بطبعـه ونشره على سائر المسلمين . بعـد الرّد على ما يحتاج منـه للرّد ، والموافقة على ما يستحق الموافقة . فالعلم ليس ملكا لأحد ، ولا وقفا على أحد . والرجوع إلى الحق من أفضل الفضائل .

والله أسال أن يوفقنى لمـا يرضـيه ، وأن يجنبنى ما يسخطه . ويقينى به أن يقينى من الخطل والزلل .

فان كنت أصبت فمن الله تعالى الهادى إلى أقوم الطرق ؛ ولى على ذلك أجران ، وإن كنت أخطأت فانى بشر أخطئ وأصيب ؛ ولى على ذلك أجر واحد . وسبحان من تفـرّد بالعصمة ، وتبرأ من الخطأ . ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير !

ابن الخطيب

القرآن

القـرآن أصل لسائر العلوم

القرآن الكريم : جامع لفنون البلاغة ، وحاوٍ لأطراف البيان والفصاحة وهو أصل لسائر العلوم :

فعلم الكلام كله فى القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ منـه ، وعلم النحو واللغة ، وعلم الزهد ، وأخبار الآخرة ، ومحاسن الخلال ، ومكارم الأخلاق؛ كل ذلك مأخوذ منه ، منقول عنه .

إعجاز القرآن

ومن أعجب ما تراه فى إعجـاز القرآن ، و إحكام نظمه : أنك تحسب ألفاظه — لجمالها وروعتها — منقادة لمعانيه ، فإذا ما تغلغلت فيه ؛ وجدت معانيه منقادة لألفاظه ، فإذا ما تغلغلت ثانية ؛ حسبت العكس . ولا تزال متردّدا بين انقيـاد معانيه لألفاظه ، وانقياد ألفاظه لمعانيه . حتى تتـذكر أنك إنما تقرأ كلام الله ، لا كلام البشر !

فقد خلق الله تعالى فى العرب فطرة اللغـة ، ثم أخرج من هذه اللغـة ما أعجز تلك الفطرة . لأن التوالى بين الألفاظ ومعانيها ، والمعانى وألفاظها ؛ ممـا لا يُعْرَفُ مثله إلا فى الصفات الروحية العالية !

القرآن كلام لا كسائر الكلام

وكلامه ليس كسائر كلام المخلوقين الذين يحسن كلامهم فى نوع من الكلام ، دون نوع آخر منه .

فقـد قالوا : إن شعر امرئ القيس يَحْسُنُ عنـد الطرب وذكر النساء وصفة الخيـل ، وشـعر النابغة عند الخوف ، وشعر الأعشى عنـد الطلب ووصف الخمر ، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء .

وبالجملة فكل شاعر ، وكل كاتب ، وكل منشئ ، يحسن كلامه في فن من الفنون دون باقيها . أما القرآن فقد ملك ناصية القول ، وبلغ نهاية الحسن في كل معنى طرقه .

الترغيب

ألا ترى قوله في الترغيب : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(١) . ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢) .

الترهيب

وقوله في الترهيب : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا(٣) ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ، أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا(٤) مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾(٥) . ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(٦) ، أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾(٧) . ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ(٨) مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(٩) .

---

(١) سورة السجدة . آية ١٧ (٢) سورة الزخرف . آية ٧١

(٣) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء : وهي الحصى .

(٤) الريح القاصف : الشديدة .

(٥) سورة الاسراء . آية ٦٨ و ٦٩ ، والتبيع : التابع . والمراد به طالب الثأر .

(٦) تمور : تتحرك وتتكفأ .

(٧) سورة الملك . آية ١٦ و ١٧

(٨) ويأتيه الموت : أي أسباب الموت .

(٩) سورة ابراهيم . آية ١٥ و ١٦ و ١٧

الزجـــر

وقوله فى الزجر : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١) .

الوعـظ

وقوله فى الوعظ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾(٢) . ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(٣) . ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ، وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴾(٤) . ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ، عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾(٥) .

الإلهيات

وقوله فى الإلهيات : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٦) .

القرآن نور

والقرآن الكريم — ولو أنه نزل بلغة العرب — إلا أنه قد نزل على نمط يُعجِز قليلُه وكثيرُه معا ، وهو بذلك أشبه شىء بالنور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾(٧) ، وهو فى كل جزء من أجزائه ، وفى أجزائه جملة واحدة ، لا يُعارَض بشىء : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٨) . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾(٩) .

---

(١) سورة العنكبوت . آية ٤٠ (٢) سورة الشعراء . آية ٢٠٥

(٣) سورة الجاثية . آية ٢٣

(٤) سورة النجم . آية ٣٣ و ٣٤ ، وأكدى : أى قل خيره ، وقطع القليل .

(٥) سورة العلق . آية ٩ — ١٤

(٦) سورة الرعد . آية ٨ (٧) سورة المائدة . آية ١٥

(٨) سورة الإسراء . آية ٨٨ (٩) سورة البقرة . آية ٢٣

لغة القرآن

وإنما كان ذلك : لأنه صَفَّى اللغة من أكدارها ، وأجْرَاها على بواطن أسرارها ، فجاء بها فى ماء الجمال أملأ من السحاب ، وفى طَرَاءة الخلق أجمل من الشباب ، ثم تناول بها من المعانى الدقيقة التى أبرزها فى جلال الإعجاز ، وصوّرها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وصاغ بها العبارات منمقة مزوّقة ؛ فإذا به يُنْطَقُ باللغة العربية التى نَنْطقُ بها ، وينْطِقُ بها سائر البلغاء والفصحاء . غير أنه لا يقاس عليه شىء مما ننطق ، ولا يشبهه شىء مما تنطق به العرب . وذلك لأن ما ننطق به يبلغ العجب من بلاغته قدرا يزول بزوال ذلك النطق ، أما القرآن الكريم فقد صِيغ فى لغة وعبارة ، ومظهر ومخبر ، لا ينقضى العجب منه طول العمر وأبد الدهر !

عبارات القرآن

ولم يكن ذلك العجب لما فيه من إرهاصات (١) ومُغَيَّبات فحسب . بل لما فيه أيضا من عبارات واختيارات ، هى بالموسيقى أشبه منها بسائر الكلام .

وإن الإنسان لينقضى عمره فى تهذيب كلمة له . أو قصيدة . ولا يفتأ يقول : لو وضعت هذه الكلمة مكان هذه لكان أليق ، ولو وضعت هذا الحرف مكان هذا لكان أليق . إلا القرآن الكريم فإنك لو رفعت كلمة منه وعرضت مكانها سائر الكلام العربى ؛ لمَا حَلَّ محلها ، ولو استعضت عن حرف من حروفه بسائر الحروف لمَا تيسَّر . وذلك لأنه بلغ نهاية الجمال المطلق ، وغاية البلاغة العالية !

---

(١) أرهص الشىء : أسسه وأثبته ، وأرهصه الله : جعله معدنا للخير . والمراد هنا : ما يثبت صحة القرآن ، وصحة نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام .

وكم رأينا متعالما يحاول السمو بلغته عن لغة العامة؛ فإذا به ينطق بما لا يُفْهَم ، ويكتب ما يدخل فى عداد الطِّلَّسْمَاتِ (١) والمُعَمَّيَات .

وكم رأينا آخر يريد أن ينزل بلغته عن لغة الخاصة، ليفهمها كل قارئ، ويعيها كل سامع؛ فإذا به ينطق بالهراء ، ويكتب ما يستوجب الاستهزاء.

أما القرآن الكريم فقد تحلى بأفضل ما فى اللغة من عبارات ، وأسمى ما فيها من كنايات وإشارات . وهو مع كل هذا معلوم مفهوم للصغير والكبير ، للعالم والجاهل ، سهل فى النطق وفى الفهم . ولا بدع فهو كلام اللطيف الخبير ، بديع السموات والأرضين ، جل وعلا عن الشبيه والنظير وعز عن أن يماثله مخلوق ، أو أن يساوى كلامه كلام !

القرآن لسائر الأمم والأجيال

لقد أنزل الله تعالى القرآن — لا لأمة العرب فحسب ، ولا لجيلهم دون بقية الأجيال — بل لسائر الحِقَب ، وأبد الدهر . لهذا بُهِتوا له ، ولم ينقض عجبهم ، لأنهم لم يتبينوا : أ كانوا يسمعون فى آياته صوت الحاضر ، أم صوت المستقبل ، أم صوت الخلود ؟

وذلك لأن القرآن جاء بلغتهم التى يعرفونها ، ويتكلمون بها ، ولكن فى بلاغة وجزالة ورقة ، غير ما انتهى إليهم من علومها وفنونها وأساليبها .

لقد تكلم القرآن منذ عشرين قرنا ، وكأنما يخاطب أبناء هذا القرن . وسيَظَلُّ غَضًّا طريًّا جديدا ، مهما تقادمت العصور والدهور .

---

(١) الطلسم : هو خطوط ، أو كتابة غير مفهومة ، يستعملها السحرة .

ألا تراه حين يقول :

بعض أوامر القرآن ونواهيه

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ، وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ، وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ (١) وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ (٢) فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ، وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ (٣) الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

---

(١) كناية عن البخل ، وهو قبض اليد .

(٢) كناية عن الإسراف ، وهو بسط اليد كل البسط . أما بسطها بالكرم الذى لا يبلغ حد السرف ؛ فهو محمود غير مذموم ، لقوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

(٣) القسطاس ، بضم القاف وكسرها : الميزان .

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا [1] ﴾ .

القرآن يخاطب كل قرن

ألا تراه حين يقول ذلك ؛ كأنما يخاطب أهل هـذا القرن بذنوبهـم وآثامهم ؟ ألا تراه حين يقـول ذلك ؛ كأنما يخاطب سائر الأمم الشرقيـة والغربيـــة ؟

ولو أن أحد المجامع العلمية الفرنسية أو الأمريكية ؛ أراد أن يخاطب أمتـه التى أوهاها الترف ، وأوهنتها الآثام ، ورخصت فيهـا الأعراض ، وبدأ نسلها فى الانقراض ، وهَبَّتْ فيهـا الرذائل بأنواعها ، ورَمَتْهَا كل أمة من أمم الأرض بدائها ، واجتمعت فيهـا سائر النقائض : فمن اجتماع الى افتراق ، ومن إلحاد الى إيمـان ، ومن صـلة الى حرمان ، ومن حب الى تباغض ، ومن ائتلاف الى إتلاف .

نقول : لو أن أحد هذه المجامع أراد أن يَتَخَوَّل [2] أمّته بالموعظة ، ويضع يدها على مواطن دائها ؛ لمـا استطاع أن يقول مثل هـذا المقال ، أو يبلغ هـذا المنال . لأن القـرآن الكريم لم يدع خيرا إلا وأمر به ، ولم يدع شرا إلا ونهى عنه .

الإحسان إلى الوالدين

لقد أمرهم القرآن فى هذه الآيات بالإحسان الى الوالدين : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . وها هم الآن يقتلونهم قتلا ، ويذبحونهم ذبحا .

---

(١) سورة الإسراء . الآيات ٢٣ — ٣٨

(٢) التخول : التعهد . وفى الحديث الشريف "كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة"

بر القربى والمساكين

وأمرهم بإيتاء ذى القربى والمساكين حقوقهم من البر والرحمة : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ . وهاهم الآن يؤتونهم الشر والبؤس والتشريد والحرمان .

النهى عن التبذير

ونهاهم عن التبذير : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ . وهاهم الآن يلقون بأموالهم ذات اليمين وذات الشمال ، فى اللهو واللعب والقمار والرهان .

النهى عن البخل

ونهاهم عن البخل والتقتير : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ . وهاهم الآن يكنزون الأموال ، ويدّخرونها فى خزائنهم ، حتى أوشك العالم أن ينقلب وتتزلزل أركانه ؛ لحبس النقد عن التداول ، ولشيوع نظام الطبقات .

النهى عن قتل الأبناء

ونهاهم عن قتل الأبناء خشية الفقر : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ . وها هم يقتلونهم فى كل حين وآن ، و يئدونهم وهم فى بطون أمهاتهم بما يزعمونه

تحديد النسل

من باطلهم بتحديد النسل ، خشية الفقر والإملاق ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

النهى عن الزنى

ونهاهم عن قربان الزنا(٢) : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ — وقربانه غير إتيانه — وهاهم الان يرتكبون أمورا تعاف من ارتكابها أخس المخلوقات ، وأحط الحيوانات ، وتَنْدَى لها جبين الفضيلة .

---

(١) سورة البقرة . آية ٢٦٨

(٢) النهى عن قربان الزنا ، غير النهى عن إتيانه . وقربان الزنا : غشيان مواطن البغى والفساد ، وارتكاب مقدّماته . كالقبلة — التى هى بريد الزنا — والعناق ، وماشا كل ذلك ؛ مما يؤدّى إلى الوقوع فى هذه الجريمة التى هى من أشنع الجرائم ، وأبشع الموبقات !

التفاخر بالزنا

ولم يقف فجورهم عند إتيان الزنا خفية ، بعيدا عن أعين الرقباء . بل صاروا يفخرون بما يخزيهم ، ويتعالون بما يُنْزِلُ أقدارهم ، ويَهْدِرُ آدميَّتَهُمْ !

تنظيم الزنا

وليتهم وقفوا عند هذا الحدّ من إثمهم وفجورهم ؛ بل تجاوزوه إلى تنظيم الزنا وتقنينه ، وعمل إجازات رسمية ممهورة بخاتم الدولة .

هذا فى حين أن الزنا قد حرّمته سائر الأديان والشرائع .

النهى عن القتل

ونهى عن القتل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . وها هم يقتلون لأتفه الأسباب ، وأوهى المعاذير . بل ها هى الدول — التى تدعى التمدين — تقتتل لمطامع فردية شخصية ، وتقيم الحروب ، وتزهق الملايين من النفوس الآمنة المطمئنة ، التى لا ذنب لها سوى أنها جبلت على الطاعة واحترام أوامر الرؤساء ، مع أنه « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

عدم الافراط فى القصاص

ونهى أيضا عن إسراف ولى المقتول (١) فى القتل : ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾ . وها هم الآن لا يكتفون فى طلب الثأر بقتل القاتل فحسب . بل يقتلون فى بعض القرى : القاتل وكبار رءوس عائلته وعشيرته ، ويظل بعضهم يقتل بعضا ردحا من الزمن ، حتى تنقضى زهرة شبابهم ، ويحل الفناء بكبرائهم .

النهى عن أكل مال اليتيم

ونهى عن قربان مال اليتيم : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . وها هم يأكلون اليتيم وأمواله بدون وازع من ضمير ، أو رادع من قلب .

---

(١) ولى المقتول : وارثه ، المطالب بدمه .

الوفاء بالعهود

وأمر بالوفاء بالعهود : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وها هى العهود والمواثيق وقد أصبحت لا تساوى ثمن المداد الذى كتبت به ، وأصبح شعار الأفراد والجماعات — بل والدول — نقض المعاهدات والمحالفات .

وأصبح أهل القرن العشرين يرتكبون ما لم يرتكب فى العصور الماضية ، والقرون الوسطى .

إيفاء الكيل والميزان

وأمر بإيفاء الكيل والميزان : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ . وها هم الآن يُطَفِّفُونَ(١) المكيال والميزان ، بغير خوف من الرحيم الرحمن ، وقد أنذرهم بالويل بقوله : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(٢) ﴾ .

التداخل فيما لا يعنى

ونهى عن التداخل فيما لا يعنى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . وها هم الآن يتداخلون فيما لا يعنيهم ، و يقتفون ما ليس لهم به علم ، فباءوا بالخسران والحرمان .

مسئولية السمع والبصر والفؤاد

وعَرَّفَ أن الإنسان مسئول عن سمعه و بصره وفؤاده : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . مسئول عن سمعه ؛ فلا يستمع به إلى غيبة أو نميمة . ومسئول عن بصره ؛ فلا يبصر به محرما . ومسئول عن قلبه ؛ فلا يُضمر لإنسان على مكروه أو شر . وها هم الآن لا يستمعون إلا للغيبة والنميمة ، التى تجلب البغضاء والخصومة . ولا يبصرون إلا الحرام الذى يسقط المروءة و يذهب ببهاء الإسلام . ولا يضمرون فى قلوبهم سوى السوء لإخوانهم وذويهم .

---

(١) التطفيف : نقص المكيال والميزان . (٢) سورة المطففين . آية ١ — ٣

النهى عن الكبر

ونهى عن الكبر والعجب والخيلاء : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ . وها هم الآن يمشون فى الأرض، يطاولون السماء بفرحهم ومرحهم . وها هم أيضا يتكبرون بفاخر المأكل، ونفيس الملبس، وفاره[1] المركب، ويتعاظمون بالأكمام والأردان[2]، لا بالتقى والدين والورع .

دعوة القرآن

ولم تكن دعوة القرآن الكريم الا للبر والخير، والعمل النافع الذى يفيد النفس والناس ، وينظم العلاقات بين سائر البشر، بغير نظر للخلافات الطائفية، أو الفروق الجنسية .

بل لقد رفع من شأن بعض العبيد المتقين ، على كثير من كبار السادة والرؤساء !

العبادات

لقد دعا الى عبادات سهلة مشرقة نظيفة ، ليس فى إتيانها تعسف أو تألم كبقية العبادات فى سائر الديانات . بل إن عبادات الإسلام تحقق للمسلم ألوانا شتى من راحة الضمير، وراحة البدن ، وراحة الروح .

الصلاة والصوم والصدقة

فالصلاة تريح الضمير، والصوم يريح البدن ، والصدقة تريح الروح .

الحج

أما الحج فيريح الضمير والبدن والروح معا؛ لأن الانسان حينما يدخل البيت الحرام، الذى هو أكبر بيت للتوحيد فى سائر الوجود ، يرتاح ضميره وبدنه وروحه ! وحينما يرى تلك الصحراء التى تشرفت ببعثة الرسول

---

(١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، ويدخل فيما نعنيه : السيارات الفخمة ، وما شاكلها من أداة الركوب .

(٢) الردن بالضم : أصل الكم .

العظيم ، ويرى مهابط الوحى ، ومشاهد الطبيعة هناك . وكل هذا يبعث على الوحشة والجبروت والغلظة والقسوة . ويرى هؤلاء العرب الذين كانوا مبعث الفتك والعدوان ، فإذا بهم بين يوم وليلة هداة لسائر بنى الانسان ؛ حينئذ يهدأ يقينه ، ويطمئن باله ، ويعلم أن ذلك التحوّل لم يكن من صنع محمد ، أو صنع أحد من البشر . إنه صنع الرحمن ، وتوجيه القرآن !

العرب

توجيه القرآن

وقد زعم قوم : أن فى الإمكان معارضة القرآن ؛ فقلده بعضهم تقليدا سمجا مرذولا ، لا يعدو أن يكون فى عداد سَقَط الكلام ، ولغو القول .

مسيلمة الكذاب

فقد نسبوا الى مسيلمة قرآنا ، حفظت الرواة منه بعض السخافات .

فمن ذلك : « يا ضفدع يابنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ... » .

ومنه أيضا : « والباذرات بذرا ، فالزارعات زرعا ، فالحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ... » الخ ما جاء من هذا الهراء .

ولعل الرواة قد بدّلوا وغيروا فى قرآن مسيلمة ؛ لأن رب مسيلمة صاحب هذا القرآن ، ومنزله عليه ، لم يتكفل بحفظه ، كما تكفل رب محمد بحفظ كتابه .

الأسود العنسى

ونسبوا أيضا للأسود العنسى وغيره من الكفار قرآنا لا يزيد فى بلاغته وإعجازه عن قرآن مسيلمة .

كراهة بعض العرب للرسول

وقد بلغ من كراهة بعض العرب[1] للرسول عليه الصلاة والسلام ، أن قصد طلحة النمرى مسيلمة ، وسأل عنه قومه : أين مسيلمة؟ فتصايحوا عليه : لا تقل مسيلمة ، بل قل : أين رسول الله . ثم قادوه إليه فحاوره قليلا حتى أعلمه برسالته ، وأسمعه قرآنه ، فقال له : أشهد أنك لكاذب ، وأن محمدا لصادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر .

ونسبوا أيضا الى أبى العلاء المعرى أنه أنشأ فى هذا المعنى وقال : فلتصقله الألسن فى المحاريب[2] أربعمائة سنة ، ثم بعد ذلك انظروا كيف يكون[3] .

وهى ولا شك فرية نسبوها الى أبى العلاء ، وهو من هو فى عقله وأدبه وتفكيره . وهو أعقل من أن يحاكى ما لا سبيل الى محاكاته .

الآثار اللغوية قبل القرآن

ومن عجب أن يظن بعض الزنادقة أن القرآن لم يبلغ هذا المبلغ إلا بترديده ، وصقل الألسن له ؛ فى حين أن جميع الآثار البيانية فى لغة العرب — شعرا كانت أو نثرا — كلما ازداد الناس تلاوة لها وترديدا ، ازدادت النفوس عنها رغبة ، ومنها نفورا .

---

(١) وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : « الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا » . وقوله : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

(٢) المحاريب : جمع محراب ، وهو المسجد . وقيل : المحراب ، صدر المجلس .

(٣) يريد عليه لعنة الله (إن كان هذا قوله) أن القرآن الكريم لم يبلغ هذا المبلغ من النفوس ، ولم يصل الى هذا السموّ وهذه القداسة ، إلا بالتكرار والترديد . وقد فاته أن الترديد قد يكون مدعاة للسأم والملل . فى حين أن القرآن كلما ردّد ازداد حلاوة وعذوبة ، وازدادت النفس به تعلقا وشغفا .

ففى اللغة العربية قصائد وأبيات من الشعر محفوظة من قبل أن ينزل القرآن ، وينطق به اللسان ، وهى تتلى فى المجامع والأندية صباح مساء ، ويُتَمَثَّلُ بها فى كل مناسبة. ولكنها لم تتجاوز مرتبتها العلمية، ولم تَعْدُ منزلتها الأدبية ، ولم ترتفع عن كونها شعرا قيد أنملة .

القرآن يزداد حسنا بالتكرار

ولكنه كلام واحد ، وكتاب واحد ، كلما ازداد تكراره، ازداد تأثيره فى النفوس ، وتطريبه للقلوب . ذلك هو القرآن ، ولا شىء يشبهه فى هذه الخاصية بين كتب الدنيا كلها ، وآداب الأمم والشعوب .

التأثر بسماع القرآن

لقد وصل من مرتبة القرآن الروحية أن يتأثر بسماعه من ليس له بفاهم، وترتعد له فرائص الجبابرة، وأصبح جَرْسُ(١) حروفه ميراثا ينتقل فى حواس المسلمين الباطنة من جيل الى جيل ، ويكفى أن تقرأ آية فيها أدنى خطأ أمام مسلم غير حافظ للقرآن؛ ليدرك أن فى هذه الآية لفظا قلقا ، أو نقصا فى الأداء ، يستوجب مراجعة المصحف .

الدخلاء فى الإسلام

هذا ولما تعقدت حياة الإسلام بكثرة الحروب والفتوح ، ودخلت فيه شعوب شتى ، واختلطت به دماء لا تمت الى العرب ، ولا الى العربية بصلة ؛ تغير تفكير المسلمين فى فهم معانى القرآن الكريم ، وذلك بواسطة هؤلاء الدخلاء الذين لا ينتسبون الى الأمة العربية ، ولا يفهمون كتابها ، كفهم أبنائها له . فراحوا ينظرون إلى القرآن نظرة مادّية بحتة ، وتركوا روحانيته وما أنزل لأجله . وجعلوا كل همهم فى مراجعة سوره وآياته ، وقلب ألفاظه ومعانيه، والتنقيب عما وراء هذه المعانى والألفاظ المقلوبة .

ترك روحانية القرآن

---

(١) الجرس : الصوت .

وزاد مَنْ بعدَهم بُعْـدًا عن روح القرآن : فراحوا يعدّون آياته وحروفه وسـوره ، ويتتبعون مكيـه ومدنيه ، ووقفاته وسجداته ، وحركاته وسكناته ويتعسفون فى قراءته .

الخـلاف فى تفسير القرآن

وتفرع من هـذا ، أن جاء قوم ، وجلهم من الأعاجم ، ففتحوا أبوابا من الخـلاف فى تفسير القـرآن ؛ ففسره بعضهم تأييدا لبعض المـذاهب الفقهية ، وفسره بعضهم تأييدا لبعض المذاهب السياسية ، وفسره آخرون طبقا لما دار بذهنه من مفهومات هى بعيدة كل البعد عما أراده الله تعالى .

الدس فى معانى القـرآن

وفى هذه الفترة ، دُسَّ فى معانى القرآن ما ليس منها ، ودُسَّ فى أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ما لم يقله ، وما يتنافى مع منطوق القرآن الذى جاء به ، ودس أيضا على الصحابة والتابعين ، وانتشرت القصص الإسرائيلية حتى لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب التفسير .

الدس لم يؤثر على القـرآن

إلا أن هذا الدس ، وذاك الخلاف — وهما نتيجتان طبيعيتان فى كل جماعة تأخذ حظها من الترف — لم يؤثرا على الدين أو القرآن فى شىء . وظل القرآن شامخا عاليـا ، تتساقط تلك المعانى الفاسـدة من حوله كما تتساقط أوراق الخـريف ، ولم تلتصق به سـوى زهرات المعانى التى ساقها بعض من نوّر الله تعالى بصيرته بنور الإيمـان ، وطهر عقيدته بدراسة القرآن « وقليل ما هم » .

القـرآن مـلاذ المسلمين فى مصائبهم

والقرآن الكريم : ملاذ المسلمين فى أفراحهم وأتراحهم[1] ، فى مصائبهم وكوارثهم ، بل فى كل شىء يعرض لهم فى هذه الحياة .

---

(١) الترح : ضدّ الفرح .

هو سلوتهم الوحيدة إذا حَزَبَهُمْ(١) أمر ، أو نالهم مكروه ، أو نَزَلَتْ بهم نازلة، أو مسهم طائف من الشيطان .

أرأيت لو دهم إنسانا مصاب ، أو حاق به بلاء ، وذهبت به الظنون كل مذهب ، وسَاوَرَتْهُ(٢) الشكوك والأوهام ، وظنّ ألّا عاصم له مما حل به ووقع فيه ، فأى شيء يسكن لوعته ، ويبرد غلته ، ويكف من أشجانه ، ويوقف سيل أحزانه ؟

أى شيء يطفئ ناره ، ويهدئ أُوَارَهُ(٣) ؟ أى شيء سوى كلام الله تعالى ووعده بأجر الصابر، وجزاء الشاكر : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(٤) ﴾ .

القرآن ملاذ المسلمين فى ضعفهم

من للضعيف إذا عدا عليه القوىُّ بِكَلْكَلِهِ(٥) ، وبَارَاهُ بخيله ورَجْله ، ولم يستطع الفكاك من قبضته ، ولا التخلص من سطوته ؟

من الذى يبث فى ضعفه قوة ، وفى تخاذله فتوة ؟ من سوى الرحيم الرحمن ، حين يقول فى القرآن : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا(٦) ﴾ .

لذائذ الدنيا

أرأيت أيها المؤمن لذائذ الدنيا وطيباتها ؟ وكيف أن هاتيك اللذائذ وتلك الطيبات كالسم فى الدسم . فما من واحدة من اللذات ، إلا وهى

---

(١) حزبهم أمر : أصابهم . (٢) ساورته : غالبته . ومنه المساورة ، وهى المواثبة .

(٣) الأوار : حر النار والشمس ، والعطش ، والدخان ، واللهب .

(٤) سورة البقرة . آية ١٥٥ و ١٥٦ (٥) الكلكل : الصدر .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٣٧

محفوفة بآلاف المخاطر ، وصنوف شتى لا عداد لها من الكدر والعناء ، والشقاء والبلاء . تهدّد الإنسان الحوادث والصروف كل آن ، ويخشى طول حياته عواقب الحَدَثان (١) . لا يدرى بأى حجر يُرْمَى ، ولا بأية عثرة يعثر ، ولا بأية بقعة يقبر !

سلوة القرآن

وأقسم بكل غَمُوسٍ (٢) من الأيمان : أن الإنسان لولا سلوة القرآن ، وحسن عزائه ، وطيب النفس بالثقة به ؛ لكان جديرا بأن يلقى بنفسه من حالق (٣) . فيرتاح مما حل ، ويأمن شرّ ما سيحل . لأنه لو قاس ما لاقاه ويلاقيه فى هذه الدنيا من الأرزاء والمصائب ، والأخطار والمتاعب ، ووازن بينها وبين ما يحظى به من النعيم الزائل ، واللذائذ الفانية ؛ لوجد هاتيك إلى هذه أضعافا مضاعفة . وذلك لأن ألم الموت لحظة ، وآلام الحياة كل لحظة !

آلام الحياة

والناظر إلى هذه الآلام والبلايا بعين البصيرة ؛ يجد أنها لم تكن باطلا ولم تخلق عبثا ، بل كانت لأمر خفى ، وحكمة بالغة ، ومقصد عظيم .

اليأس

فإذا ما يئس العبد من رحمة ربه ، ودفعه إبليس اللعين للكفر به ؛ ازدادت مصائبه ، وعظمت بلواه .

الاستسلام

أما إذا استسلم لقضاء الله ، وألقى بنفسه فى أحضان الرحمة الربانية ، وهرع إلى القرآن يرتشف من ينبوعه العذب ، فشفى نفسه وجسمه وقلبه :

---

(١) الحدثان : نوائب الدهر .

(٢) اليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم إذا لم يكن صادقا فيها .

(٣) الحالق : الجبل العالى ، أو كل شىء مرتفع .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) فانه عند ذلك يشعر ببرد كبده ، وهدوء نفسه !

الطاعة سبب السرور

فكم من غنيٍّ منعَّم تتوفر لديه سائر الأسباب ، وهو فى أحط الشقاء ، وأسوإ العذاب . وكم من فقير مدقع (٢) أحاطت به صنوف الحادثات ، ونزلت به سائر البليات ، وهو — رغم كل هذا — ضاحك السنّ ، طروب النفس . فجَلَّ المُضحِكُ بلا طرب ، المُبْكِى بلا سبب : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (٣) .

وما لنا نذهب بعيدا ، ونمشى وئيدا (٤) : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ (٥) إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (٦) .

التمسك بالقرآن

إن القرآن هو النعمة العظمى ، والراحة الكبرى ، والسعادة الأبدية لمن طلب السعادة . وهو الواحة التى يستظل بها السارى من حر الحياة اللافح المحرق .

وإن المتمسِّك بأحكامه ، المتخلِّق بأخلاقه ، لَيشعُر بالهدوء والاستقرار والطمأنينة والسرور ، ولو كان بين أنياب الفقر ولَهَوَاتِ (٧) البلاء .

---

(١) سورة الاسراء . آية ٨٢

(٢) دقع يدقع : لصق بالدقعاء من الذل . والدقعاء : التراب . وفقير مدقع : أى ذليل ، لاصق بالتراب .

(٣) سورة النجم . آية ٤٣

(٤) الوئيد : التأنى والرزانة .

(٥) السبب : الحبل .

(٦) سورة الحج . آية ١٥ ، والمعنى الإجمالى للآية : من قطع أمله فى الله تعالى ، وظنّ أنه غير ناصره ، ويئس من رحمته ؛ فليختنق .

(٧) اللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

المفرّط فى القرآن

وإن المُفرِّط فى أوامره، المهمل لنواهيه، لَيَشْعُر بالضيق، والبؤس، والحـزن ولو كان فى أرقى المناصب وأسمى الرتب، ولو جبى إليـه خراج الدنيا بأسرها، وانقادت له رقاب أهلها.

الويل لمن عاداه القرآن

والويل كل الويل لمن عاداه القـرآن فهجر أحكامه، وكان ضِمن من حاجَّهم الرسول بقوله يوم القيامة: ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (١). أو ضمن من حبسه القرآن (٢) فى الجحيم والعذاب الأليم. عافانا الله تعالى منه بمنه وكرمه!

(١) سورة الفرقان، آية ٣٠، وهجران القرآن: ليس هجران تلاوته، بل هجران العمل بأحكامه، والائتمار بأوامره، والاجتناب لنواهيه. فرب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه!

(٢) الحبس بمعنى الخلود. وذلك كقوله تعالى: « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيهـا » يؤيد معنى الخلود ما ورد فى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم — من حديث طويل — «يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرّة من إيمان، ولا يبقى فيها سوى من حبسه القرآن». وقال أيضـا: « كل ذنب عسى الله تعـالى أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا». وقال أيضا: «لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن، ولوأن أهل سمواته، وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار». وفى حديث آخر: « إن الله تعالى حرم الجنة على القاتل والآمر». وقال أيضا: « نازلت ربى فى قاتل المؤمن أن يجعل له توبة، فأبى علىّ».

وقد قال بعضهم: إن الخلود هنا بمعنى طول المكث، بدليل قوله تعـالى: « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ودليل الخلود عندى أولى بالاعتبار. لأن باقى الآية الأولى: «وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما». والغضب واللعن: لا يكون إلا للكافرين المستوجبين للخلود فى العذاب. ويكون تأويل قوله تعالى: « إن الله لا يغفر أن يشرك به» أن القاتل لما خالف الله تعالى، واستهان بأحكامه، ولم يعبأ بوعيـده، وغضبه، ولعنته، وعذابه؛ فقد أشرك به شيطانه الذى استحثه على قتل نفس بريئة بغير نفس « ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعا ».

جمع القرآن وتدوينه

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

سبب جمع القرآن

التفكير فى جمع القرآن

لما اسْتَعَرَتْ نار الحرب بين سيف الله خالد بن الوليد ، ومسيلمة الكذاب فى واقعة اليمامة ؛ مات من المؤمنين خلق كثير ، منهم سبعمائة من القرّاء . فلما رأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما وقع بأكثر القرّاء ، خشى على من بقى منهم . فجاء إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له : إن القتل قد اسْتَحرّ (١) فى قرّاء القرآن يوم اليمامة ، وإنى أخشى أن يَسْتَحِرّ القتل بالقرّاء فى المواطن كلها ؛ فيذهب قرآن كثير ، وإنى أرى أن تجمع القرآن .

قتل أكثر القرّاء فى وقعة اليمامة

معارضة أبى بكر فى جمع القرآن

فقال أبو بكر : كيف نصنع شيئا لم يأمرنا فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إلينا فيه عهدا ؟

فقال عمر : افعل فهو والله خير . ولم يزل عمر بأبى بكر حتى أرى الله أبا بكر مثل رأى عمر .

وهناك سبب آخر حدا بعمر رضى الله تعالى عنه للتمسك بضرورة جمع القرآن ، وهو أنه سأل عن آية من كتاب الله تعالى ، فقيل : كانت مع فلان وقد قتل يوم اليمامة . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وأشار بجمعه ، واستمسك بما أشار به .

---

(١) استحرّ : اشتدّ .

معارضة زيد بن ثابت

قال زيد بن ثابت : فدعانى أبو بكر ، فقال : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجمع القرآن واكتبه .

قلت : كيف تصنعون شيئا لم يأمركم فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إليكم فيه عهدا ؟

قال : فلم يزل أبو بكر حتى أرانى الله تعالى الذى رأى أبو بكر وعمر . والله لو كلفونى نقل جبل لكان أيسر من الذى كلفونى .

جمع القرآن فى زمان أبى بكر

قال زيد : فجعلت أتتبَّع القرآن أجمعه من صدور الرجال (١) ، ومن الرقاع (٢) ، ومن الأضلاع ، ومن العُسُب (٣) ، واللِّخاف (٤) .

ولقد فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار .

وهى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ (٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ (٦)﴾ . فألحقتها فى سورتها .

---

(١) من صدور الرجال : أى من الرجال الذين يحفظونه فى صدورهم .

(٢) الرقاع : جمع رقعة ، وهى القطعة من الجلد .

(٣) العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل . وقد كانوا يكشطون عنه الخوص ، ويكتبون عليه .

(٤) اللخاف : حجارة بيض رقاق ، وقد كانوا يكتبون على هذه الأشياء لانعدام الورق ، وعدم وجود ما يكتب عليه فى ذلك الحين .

(٥) النحب : المدة . وقضى فلان نحبه : أى قضى مدته فمات .

(٦) سورة الأحزاب . آية ٢٣

الطريقة التى جمع بها القرآن

وقد كان زيد رضى الله تعالى عنه — مع مزيد حفظه للقرآن — يأتيه الرجل بالآية، فيطلب منه شاهدين عليها .

وكان ذلك لشدّة مبالغته فى الاحتياط، وإدراكه للمهمة العظمى الملقاة على عاتقه .

وجاء عمر رضى الله تعالى عنه بآية الرجم . فلم يكتبها زيد لعدم وجود شاهدين عليها .

عدم إثبات آية الرجم

وهى : ﴿ الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ (١) إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد قيل : إن هذه الآية منسوخة التلاوة، باقية الحكم (٢) .

وكان الشاهدان يشهدان بأن المكتوب من القرآن، قد كتب بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى مسمع منه .

وبعد تمام جمع القرآن فى الصحف، حفظت عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه حتى مات، ثم كانت عند عمر رضى الله تعالى عنه حتى مات، ثم كانت عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها .

سبب عدم جمع القرآن فى عهد الرسول

ولم يجمع القرآن فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان يترقبه من نزول ناسخ لبعضه .

---

(١) المراد بالشيخ والشيخة : المتزوج والمتزوجة « المحصنين » مهما صغر سنهما .

(٢) أنظر ما كتبناه فى هذا الكتاب بخصوص هذه الآية عند « الناسخ والمنسوخ » .

فلما انقضى ذلك السبب برفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ، ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين بذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه ، بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

وقد كان الجمع من غير ترتيب للسور . وإنما كان ذلك الترتيب فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه .

وأغلب الظنّ أنه كان على ترتيب النزول . وعلى ذلك بعض مصاحف السلف كما سنبين .

---

(١) سورة الحجر . آية ٩

كتابة المصحف

اختلاف الناس في القراءات

لما كانت خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ، اختلف الناس فى قراءة القرآن. فقدم حذيفة بن اليمان على عثمان وقال له : يا أمير المؤمنين إن الناس قد اختلفوا فى القرآن ، وإن اختلافهم ليوشك أن يكون كاختلاف اليهود والنصارى ، حتى أن الرجل ليقوم فيقول : هذه قراءة فلان . ويقوم الآخر فيقول : هذه قراءة فلان .

القراء من الصحابة

وقد أخذ أهل البصرة القرآن عن أبى موسى الأشعرى ، وأهل الكوفة عن عبد الله بن مسعود ، وأهل دمشق عن أبى بن كعب ، وأهل حمص عن المقداد بن الأسود .

نهى عثمان عن القراءات

وقد كان كل قطر من هذه الأقطار يدعى أنه أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا . فخشى عثمان رضى الله تعالى عنه هذا الاختلاف و جمع الناس ، وكانوا يومئذ زهاء اثنى عشر ألفا . فقال عثمان : ما تقولون ؟ لقد بلغنى أن بعضهم يقول : قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرا .

---

(١) وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب . فاليهود لديهم نسخة من التوراة ، والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ ومعان كثيرة . وليس فى توراة السامرة حرف الهمزة ، ولا حرف الهاء ، ولا الياء . والنصارى بأيديهم توراة يسمونها العتيقة (لعلها كتاب العهد القديم) وهى مخالفة لنسختى اليهود والسامرة .

وأما النصارى فبأيديهم أناجيل كثيرة لا حصر لها . أشهرها : إنجيل مرقص ، و إنجيل لوقا ، و إنجيل متى ، و إنجيل يوحنا ، و إنجيل برنابا (و بعضهم ينكر إنجيل برنابا لموافقته لبعض ما جاء فى القرآن الكريم) .

أمر عثمان الناس بقراءة واحدة

قالوا : فما ترى ؟ قال : أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فُرْقَةٌ ولا اختلاف . قالوا : نعم ما رأيت .

كتابة مصحف عثمان

فأرسل عثمان رضى الله تعالى عنه إلى حفصة : أن أرسلى إلينا بالصحف فننسخها فى المصاحف ، ثم نردّها إليك .

كتبة المصحف

فأرسلت إليه حفصة بالصحف، فأرسل إلى زيد بن ثابت، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن الحارث بن هشام، وأبى بن كعب . فقال لهم : انسخوا هذه الصحف فى مصحف واحد (١) .

وقال للنفر القرشيين : إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت ، فاكتبوه على لسان قريش، فإنما نزل بلسانها .

ففعلوا ما أمرهم به عثمان رضى الله تعالى عنه ، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف — وقد كانت أربعا — بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف .

فوجه إلى الكوفة إحداها، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عنده المصحف الرابع .

---

(١) نسخوا المصحف من الصحف التى كتبت بأمر عمر فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما . وقد أعاد عثمان رضى الله تعالى عنه كتابته لتوحيد قراءته، ومنع ماعدا قراءة قريش . وهذا مايقتضيه تسلسل الحوادث كما هو مبين .

حرق سائر المصاحف عدا مصحف عثمان

ثم أمر بما سوى ذلك أن يحرق، بعد أن استأذن حفصة فى حرقها[(١)] .

قال ابن حجر : وقد كان ذلك فى سنة خمس وعشرين .

وقيل : إن عدد المصاحف التى كتبت خمسا — لا أربعا — وقيل : سبعا : أرسل منها إلى مكة، وإلى الشام ، وإلى اليمن ، وإلى البحرين، وإلى البصرة ، وإلى الكوفة، وأبقى بالمدينة واحدا .

مراجعة عثمان لمصحفه

وقد كان عثمان رضى الله تعالى عنه يراجع ما يكتبونه كلمة فكلمة، وحرفا فحرفا، ويصلح ما فاتهم سهوا .

فقد ورد أنه عرض عليه قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ ﴾ . فأثبت بعدها الهاء : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾[(٢)] . وأيضا قوله جل شأنه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ اللَّهِ ﴾ . فمحا اللام وجعلها : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[(٣)] . وعرض عليه أيضا قوله عز وجل : ﴿ فَأَمْهِلِ الْكَافِرِينَ ﴾ . فجعلها : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾[(٤)] .

---

(١) إن أمر عثمان بحرق المصاحف التى تخالف مصحفه فى القراءة، دليل قاطع على وجوب القراءة الواحدة بقراءة قريش وترك ما عداها ، وهذا ما نقول به .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، انظر ما كتبناه فى « ما غيره الحجاج فى المصحف » .

(٣) سورة الروم . آية ٣٠

(٤) سورة الطارق . آية ١٧ ، وهى قراءة سائر القراء المشهورين ، ولم يقرأ أحد من القراء « فأمهل الكافرين » .

لحن الكُتَّاب في المصحف

رأى عائشة في خطإ الكتاب

وقد سئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن اللحن الوارد فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾(١) . وقوله عز من قائل : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٢) . وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾(٣) . فقالت : هذا من عمل الكُتَّابِ ، أخطأوا فى الكتاب .

وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه فى مسنده ، عن أبى خلف مولى بنى جمح ، أنه دخل على عائشة رضوان الله تعالى عنها فقال : جئت أسألك عن آية فى كتاب الله تعالى ، كيف كان يقرؤها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قالت : أيَّةُ آيةٍ؟ قال : ﴿ الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا ﴾

---

(١) سورة طه . آية ٦٣ القاعدة العربية « إن هـذين لساحران » وذهب قوم إلى جواز « إن هذان لساحران » على لغة من يجرى المثنى بالألف فى أحـواله الثلاث . وذهب آخرون إلى أن إبدال حرف فى الكتابة مكان حرف آخر جائز . مثل : « الصلوة ، والزكوة ، والحيوة » بالواو مكان الألف ، وفى الجميع نظر . وهو تمحل ظاهر ، وتكلف لا داعى له .

(٢) سورة النساء . آية ١٦٢ القاعدة العربية «والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة» بالرفع فى الحالتين . وقرأ بها سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه . وكان يقول : هو من لحن الكتاب .

(٣) سورة المائدة . آية ٦٩ القاعدة العربية « والصابئين » .

أو ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴾[١] ؟ قالت : أيتهما أحب إليك ؟ قال : والذى نفسى بيده لإحداهما أحب إلىّ من الدنيا جميعا . قالت : أيتهما ؟ قال : ﴿ الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا ﴾ . فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذاك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف .

رأى سعيد بن جبير فى خطإ الكتاب

وعن سعيد بن جبير، قال : فى القرآن أربعة أحرف لحن : ﴿ وَالصَّابِئُونَ ﴾[٢] . ﴿ وَالْمُقِيمِين ﴾[٣] و ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٤] و ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[٥] .

(١) سورة المؤمنون . آية ٦٠ وتمامها «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» وهى القراءة المشهورة على غير رأى عائشة رضى الله تعالى عنها . ومعنى هذه القراءة : يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم صدقاتهم لتقصيرهم فى أدائها .

ومعنى القراءة التى أقرتها عائشة و جمهور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم « الذين يأتون ما أتوا » من الذنوب والآثام « وقلوبهم وجلة » خائفة مشفقة لـ « أنهم إلى ربهم راجعون » فيعاقبهم على ما قدّموا وفرطوا . ولم يورد هـذه القراءة أحد من القرّاء، مع وثوق روايتها عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، وهى من هى من قربها ممن نزل عليه القرآن صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٢) سورة المائدة . آية ٦٩ وأوّلها : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون «والصابئين» بالنصب . وتعليلهم فى الرفع أن « الذين آمنوا » قبل دخول « إن » عليها : مبتدأ مرفوع . و « الصابئون » معطوف على محل اسم « إن » وهو تعليل عقيم .

والأعجب من هذا أن هذه الآية بنصها قد وردت فى سورة الحج . آية ١٧ بالنصب ، فما الذى أدّى إلى نصبها فى الحج ورفعها فى المائدة ؟ وقد جاءت فى سورة البقرة . آية ٦٢ بالنصب أيضا .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ ، وأوّلها : « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر » يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون « والمقيمون » بالرفع . وتعليلهم فى النصب أنه على الاختصاص . أى وأمدح المقيمين . وهو تعليل سقيم .

(٤) سورة المنافقون . آية ١٠ ، وأوّلها : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين » يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون « فأصدّق وأكون من الصالحين » . وقرأ بها أبو عمرو .

(٥) سورة طه . آية ٦٣ ، يريد بذلك أنه يجب لغة أن تقرأ « إن هذين لساحران » . وقرأ بها أبو عمرو و يعقوب .

رأى أبان بن عثمان في خطإ الكاتب

وقد سئل أبان بن عثمان : كيف صارت ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (١) مابين يديها وما خلفها رفع ، وهى (٢) نصب ؟

قال : من قِبلِ الكاتب ، كتب ماقبلها ، ثم سأل المملى : ما أكتب ؟

قال : اكتب المقيمين الصلاة . فكتب ماقيل له ، لا ما يجب عربية ، ويتعين قراءة .

رأى ابن عباس في خطإ الكتّاب

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ . قال : إنما هى خطأ من الكاتب : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ (٣) .

وقرأ أيضا : ﴿ أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٤) . فقيل له : إنها فى المصحف : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ ﴾ . فقال : أظنّ أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس .

وقرأ أيضا : ﴿ وَوَصَّى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٥) . وكان يقول : إن الواو قد التزقت بالصاد (٦) .

---

(١) سورة النساء . آية ١٦٢ يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون « والمقيمون » بالرفع . وتعليلهم فى النصب أنه على الاختصاص ، أى وأمدح المقيمين ، وهو تعليل سقيم كما قدّمنا .

(٢) يعنى قوله تعالى : « والمقيمين » .

(٣) سورة النور . آية ٢٧ ، والقراءة المشهورة « حتى تستأنسوا » على خلاف رأى ابن عباس . ولم يقرأ قارئ إطلاقا : « حتى تستأذنوا » .

(٤) سورة الرعد . آية ٣١ ، والقراءة المشهورة « أفلم ييأس الذين آمنوا » على خلاف ابن عباس ، ولم يقرأ أحد من القرّاء : « أفلم يتبين » .

(٥) سورة الاسراء . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة : « وقضى » .

(٦) وذلك أنهم كانوا لا ينقطون الأحرف ، فلم يظهر الفرق بين الواو وقد التصقت بالصاد « ووصى » وبين القاف الملتصقة بالضاد « وقضى » .

رأى الضحاك في خطإ الكتاب

وعن الضحاك إنما هى : ﴿ وَوَصَّى رَبُّكَ ﴾ . وكذلك كانت تقرأ وتكتب . فاستمدّ كاتبكم ، فاحتمل القلم مدادا كثيرا ، فالترقت الواو بالصاد . ثم قرأ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾(١) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾(٢) . وقال : لو كانت ﴿ قضى ﴾ من الرب ، لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب تعالى . ولكنها وصية أوصى بها عباده(٣) .

وقرأ ابن عباس أيضا : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً ﴾(٤) . ويقول : خذوا الواو من هنا ، واجعلوها ههنا . عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . يريد بذلك أن تقرأ : ﴿ وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾(٥) .

---

(١) سورة النساء . آية ١٣١   (٢) سورة العنكبوت . آية ٨

(٣) يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ، وأيده فيه الضحاك ، قوله تعالى عن لوط عليه السلام : « وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » وقد تم ما قضاه الله . وقوله تعالى عن سليمان عليه السلام : « فلما قضينا عليه الموت » وقد مات فعلا . وقوله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدنّ فى الأرض مرتين » وقد حصل الفساد مرتين .

وخلاصة ما يؤيد هذا المذهب قوله تعالى : « إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » بمعنى أنه تعالى إذا قضى ألا يعبد الناس إلا إياه ، وأن يحسنوا إلى والديهم ، كان ذلك حتما مقضيا بالنسبة لسائر المخاطبين .

ويؤيد القراءة المشهورة « وقضى » قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فيكون القضاء بمعنى الحث والاختيار والترغيب . ويصح أن يؤخذ من هذا أيضا دليل عكسى ، لأن هذه الآية نزلت فى زواج زينب بنت جحش بزيد بن حارثة ، وقد تم ما قضاه الله تعالى ، وتزوجت به رغم معارضتها لهذا الزواج وإبائها .

(٤) سورة الأنبياء . آية ٤٨ ، وتمامها « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء وذكرا للمتقين » . والقراءة المشهورة « وضياء » باثبات الواو حيث لا موجب لوجودها .

(٥) سورة آل عمران . آية ١٧٣ والقراءة المشهورة « الذين » بدون واو . مع أن ماقبله غير متعلق به .

وقرأ أيضا : ﴿ مَثَلُ نُورِ المُؤْمِنِ كَمِشْكَاةٍ ﴾(١) . وكان يقول : هى خطأ من الكاتب . هو تعالى أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة .

قراءة القرآن على صحته لغة لا على رسمه

وذكر ابن أشتة فى كتاب المصاحف بأن جميع ما كتب خطأ ، يجب أن يقرأ على صحته لغة ، لا على رسمه . وذلك كما فى : ﴿ لَأَاوْضَعُوا ، لَأَاذْبَحَنَّهُ ﴾ بزيادة ألف فى وسط الكلمة . فلو قرئ ذلك بظاهر الخط ؛ لكان لحنا شنيعا ، يقلب معنى الكلام ، ويخل بنظامه .

حفظ القرآن من التبديل

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٢) . ومعنى حفظ القرآن : إبقاء شريعته وأحكامه الى يوم القيامة ، وإعجازه أبد الدهر ، بحيث يظل المثل الأعلى للبلاغة ، والرصانة ، والعذوبة ، سهل النطق على اللسان ، جميل الوقع فى الآذان ، يملك قلب القارئ ، ولب السامع .

وليس ما قدّمناه من لحن الكُتّاب فى المصحف بضائره ، أو بمُشَكِّك فى حفظ الله تعالى له . بل إن ما قاله ابن عباس وعائشة وغيرهما من فضلاء الصحابة وأجلاء التابعين ، أدعى لحفظه وعدم تغييره وتبديله .

جواز الخطإ على كتاب المصحف

ومما لا شك فيه أن كُتّابَ المصاحف من البشر ، يجوز عليهم ما يجوز على سائرهم من السهو والغفلة والنسيان ، والعصمة لله وحده .

عصمة الأنبياء

وقد اختلفوا فى عصمة الأنبياء . والقول الراجح : أنهم معصومون فيما يتعلق برسالاتهم فقط ، أما ما عداها فشأنهم كشأن بقية البشر .

---

(١) سورة النور . آية ٣٥ ، والقراءة المشهورة : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » . ولم يقرأ أحد من القراء : « مثل نور المؤمن » . كقراءة ابن عباس .

(٢) سورة الحجر . آية ٩

ومَثَلُ لَحْنِ الكُتَّاب كلحن المطابع ، فلو أن إحدى المطابع طبعت مصحفا به بعض الخطإ — وكثيرا ما يقع هذا — وسايرها على ذلك بعض قرّاء هذا المصحف ؛ لم يكن ذلك متعارضا مع حفظ الله تعالى له ، وإعلائه لشأنه .

تسمية المصحف

ولما كتب المصحف ، قال عثمان رضى الله تعالى عنه : التمسوا له اسما . فقال قوم : « الكتاب » . وقال آخرون : « السِّفر » . وقال قوم : « المصحف » . وهو اسم أعجمى ، ومعناه : جامع الصحف ، فسماه به .

سبب كتابة عثمان للمصحف

ويعلم مما تقدّم أن أساس كتابة عثمان رضى الله تعالى عنه للمصحف ، هو اختلافهم فى أوجه القراءات ، وخشية أن يمتدّ ذلك الاختلاف الى الألفاظ والمعانى ؛ فرأى — جمعا للكلمة ، وتوحيدا للرأى ، وخشية الخروج عما أراده الله تعالى بكتابه ، ولتحقيق ماوعد الله تعالى به من حفظه وصيانته — أن يكتب المصحف على حرف واحد ، ويجمع الأمة على رأى واحد ، وقراءة واحدة . وذلك بعد أن أخذ رأى أئمة المسلمين وكبرائهم ، ممن عاصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحِبه واهتدى بهديه .

ترتيب السور

وقد اختلف فى ترتيب السور ، هل هو توقيفى؟ أم هو من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؟

والقول الراجح : أن ترتيب السور وتسميتها ؛ هو من فعل الصحابة .

ترتيب الآيات

أما جمع الآيات وترتيبها فى السورة الواحدة فهو توقيفى[(١)]، تولاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كما بينه له وأرشده اليه جبريل عليه السلام بأمر ربه تعالى .

اختلاف مصاحف السلف فى الترتيب

ومما يدل على أن ترتيب السور من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأنه ليس بتوقيفى؛ اختلاف مصاحفهم فى الترتيب .

فمنهم من رتبه على ترتيب نزوله، كعلى رضى الله تعالى عنه . فقد كان أوّل مصحفه : سورة اقرأ، ثم المدثر، ثم نون، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير . وهكذا الى آخر المكى، فالمدنى .

ومنهم من رتبه حسب السياق، كابن مسعود رضى الله تعالى عنه . فقد كان أوّل مصحفه : البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، مع اختلاف كثير .

وقيل : إن ترتيب المصحف قد كان بإلهام من الله تعالى لعباده، فكتب كما هو ثابت باللوح المحفوظ . والله تعالى أعلم .

عودة الناس الى القراءات

لم يمض على ذلك زمن كبير، حتى عاد الناس الى ما كانوا عليه من اختلاف فى القراءة؛ فاتبع كل قطر قارئا من القرّاء، واستقرّ أمرهم على سبع قراءات معينة تواتر نقلها .

القرّاء السبع

وأصحاب هذه القراءات هم : عبد الله بن كثير[(٢)] فى مكة، ونافع

---

(١) وذلك لأن بعض الآيات قد يرد فى آخر سورة . مع تقدّم هذه الآيات فى النزول على ما سبقها من الآيات والسور . وهذا لا يكون إلا بإرشاد قائله ومنزله تعالى .

(٢) عبد الله بن كثير، ويكنى بأبى معبد : كان إمام الناس فى القراءة بمكة، وكان فصيحا مفوّها، لقى من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصارى، وأنس بن مالك .

ابن أبي رويم [(١)] فى المدينة، وأبو عمـرو بن العلاء [(٢)] فى البصرة ، وعاصـم بن أبى النَّجُود [(٣)] ، وحمـزة بن حبيب الزيات [(٤)] ، وعلى الكسائى [(٥)] فى الكوفـة ، وعبـد الله بن عامر [(٦)] فى الشام .

---

(١) نافع بن أبي رويم ، وهو من أصبهان . وكان أسود اللون حالكا ، وكان إمام الناس فى القراءة بالمدينـة ، وكان إذا تكلم يشم من فيـه رائحة المسك ، ولما سئل عن ذلك قال : رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فى فيّ .

(٢) أبو عمرو بن العلاء ، وهو زيان بن العلاء المـازنى البصرى : كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والأمانة والدين .

روى عن سفيان بن عيينة ، قال : رأيت رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فى المنام ، فقلت : يا رسول الله؛ قد اختلفت علىّ القراءات ، فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ ؟ قال : اقرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء .

(٣) عاصم بن أبى النجود : كان هو الإمام الذى انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة ، وقد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير ، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن .

سئل الإمام أحمد بن حنبل عنه فقال : رجل صالح ثقة ، خير .

قال ابن عياش : دخلت على عاصم وقد احتضر ، فجعل يردّد هذه الآية ، يحققها حتى كأنه فى الصلاة : «ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق» .

وقـد أخذ عنه إمام القرّاء حفص بن سليمان الكوفى ، الذى كتبت عـلى قراءته المصاحف المصرية وغيرها ، وهو غير حفص الدورى الراوى عن أبى عمرو والكسائى .

(٤) حمزة بن حبيب الزيات : كان إمام الناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، وكان ثقة حجة ، مجوّدا للقرآن ، عارفا بالفرائض والعربية ، عابدا خاشعا ، ناسكا قانتا لله .

(٥) على بن حمزة الكسائى : كان إمام الناس فى القراءة فى زمانه ، وأعلمهم بالنحو والغريب ، وكان أصدق الناس لهجة .

ومما روى عن ورعه وعدم تكسبه بالقرآن : أن كان لأحد تلامذته سبيل لسقيا الناس ، فمر الكسائى وأراد أن يشرب ، فلما علم أن هذا السبيل لواحد ممن يقرأون عليه ؛ عدل عن الشرب منه .

(٦) عبد الله بن عامر : كان إماما كبيرا ، وتابعيا جليـلا ، وعالما شهيرا ، أمّ المسلمين فى الجامع الأموى سنين كثيرة فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وقبله وبعده ؛ فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين ، وكبير الزاهدين ، وناهيك بذلك منقبة ، وجمع له بين الإمامة والقضاء .

زيادة القراءات إلى عشر

على أن هذه القراءات قد زيدت بعد ذلك الى عشر، وهم : أبو جعفر يزيد بن القعقاع (١) فى المدينة ، ويعقوب الحضرمى (٢) فى البصرة ، وخلف البزار (٣) فى الكوفة .

القراءات الشاذة

هذا غير قراءات أخرى لاعداد لها ، سميت «شاذة» لشذوذها عن اللغة ، وعما أجمع عليه المسلمون ، ولتغييرها للألفاظ والمعانى فى كثير من المواضع .

اختلاف الروايات

وقد بلغ من هذه القراءات والاختلافات ، أن الآية الواحدة — التى لا يختلف فى النطق بها ولا فى معناها اثنان — قد يبلغ الاختلاف فى روايتها الى عشرين أو ثلاثين ، أو أكثر من ذلك .

وقد بلغت طرق هذه القراءات تسعمائة وثمانين طريقا للقراءات العشر فقط .

نقط المصحف وشكله

قيل : إن أوّل من أمر بنقطه وشكله ، هو عبد الملك بن مروان . فتصدّى لذلك عامله الحجاج بن يوسف الثقفى . فأمر الحسن البصرى ، ويحيى بن يعمر ، ففعلا ذلك .

وقيل : إن أوّل من نقطه أبو الأسود الدؤلى . وقيل : نصر بن عاصم الليثى . وقيل غير ذلك ، والقول الأوّل هو الأرجح .

---

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع : كان تابعيا كبير القدر ، انتهت إليه رياسة القرّاء بالمدينة . وكان ثقة ، ولم يكن بالمدينة فى عهده أقرأ للسنة منه . وقد رووا أنه بعد وفاته شع من جسمه نور ساطع ، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن الكريم .

(٢) يعقوب بن إسحق الحضرمى : كان إماما كبيرا ثقة ، عالما صالحا ، انتهت إليه رياسة القرّاء بعد أبى عمرو ، وكان إمام جامع البصرة . قال أبو حاتم السجستانى : هو أعلم من رأيت بالحروف ، والاختلاف فى القراءات ، ومذاهب النحو .

(٣) خلف بن هشام البزار : حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وابتدأ فى طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان إماما كبيرا زاهدا عابدا .

ما غيّره الحجّاج في المصحف

قد غير الحجاج بن يوسف الثقفى فى المصحف (١) ، اثنا عشر موضعا :

كانت فى سورة البقرة ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ ﴾ (٢) فغيرها ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ بالهاء .

وكانت فى سورة المائدة ﴿ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (٣) فغيرها ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ .

وكانت فى سورة يونس ﴿ هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ ﴾ (٤) فغيرها ﴿ يُسَيِّرُكُمْ ﴾ .

وكانت فى سورة يوسف ﴿ أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ (٥) فغيرها ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ .

وكانت فى سورة المؤمنين ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (٦) فغيرها ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ .

---

(١) وهو المصحف الذى كتب فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه . والحجاج أول من نقط المصحف وشكله ، بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ، كما بينا فى الفصل السابق .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ و « لم يتسن » أى لم يتغير . وهى قراءة حمزة والكسائى وخلف ، وصلا لا وقفا . و « يتسنه » لغة فيها ، وهى القراءة المشهورة : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » . أنظر ما كتبناه فى « مراجعة عثمان لمصحفه » .

(٣) سورة المائدة . آية ٤٨ و « شريعة » و « شرعة » بمعنى واحد . وهو : الدين . ولم يقرأ أحد من القرّاء « شريعة » .

(٤) سورة يونس . آية ٢٢ و « ينشركم » يحييكم . وبها قرأ ابن عامر ، ويزيد بن القعقاع .

(٥) سورة يوسف . آية ٤٥ و « أنا آتيكم بتأويله » أى آتيكم بمن يؤوّله لكم . وهو يوسف عليه السلام . ولم يقرأ بها أحد من القرّاء .

(٦) سورة المؤمنون . آية ٨٧ القراءة المشهورة : « سيقولون لله » ، وما قبل هذه الآية يؤيد ما ذهب إليه الحجاج . وهو قوله تعالى : « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون الله » وقرأ بها أبو عمرو ، ويعقوب ، وأهل البصرة .

وفى نفس السورة أيضا : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾(١) . فَغَيَّرَهَا ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ .

وكانت فى سورة الشعراء — فى قصة نوح عليه السلام — ﴿ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾(٢) وفى نفس السورة — فى قصة لوط عليه السلام — ﴿ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾(٣) فغير التى فى قصة نوح، وجعلها ﴿ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ وجعل التى فى قصة لوط ﴿ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ .

وكانت فى سورة الزخرف : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعَايِشَهُمْ ﴾(٤) . فغيرها ﴿ مَعِيشَتَهُمْ ﴾ .

وكانت فى سورة الذين كفروا ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ ﴾(٥) فغيرها ﴿ آسِنٍ ﴾ .

وكانت فى سورة الحديد ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَاتَّقَوْا ﴾(٦) فغيرها ﴿ وَأَنْفَقُوا ﴾ .

---

(١) سورة المؤمنون . آية ٨٩ والقراءة المشهورة « سيقولون لله » وعلى ذلك رسم المصحف المصرى . وقراءة حفص . وما قبل هذه الآية ، يؤيد ما ذهب إليه الحجاج . وهو قوله تعالى : « قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون الله » وقرأ بها أيضا أبو عمرو ، ويعقوب ، وأهل البصرة .

(٢) سورة الشعراء . آية ١١٦ والقراءة المشهورة « قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين » كما غيرها الحجاج .

(٣) سورة الشعراء . آية ١٦٧ والقراءة المشهورة « قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين » كما غيرها الحجاج أيضا .

(٤) سورة الزخرف . آية ٣٢ والقراءة المشهورة « معيشتهم » كما غيرها الحجاج . ولم يقرأ « معايشهم » أحد من القرّاء .

(٥) سورة محمد . آية ١٥ والقراءة المشهورة « آسن » كما غيرها الحجاج . و (أسن) الماء : تغير فلم يشرب . وقرأ « ياسن » حمزة وقفا لا وصلا .

(٦) سورة الحديد . آية ٧ والقراءة المشهورة « وأنفقوا » كما غيرها الحجاج . وهو ما يقتضيه سياق الآية « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » ولم يقرأ أحد من القرّاء « واتقوا » .

وكانت فى سورة التكوير ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ (١) فغيرها ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ .

سبب مافعله الحجاج من التغيير

ولم يصنع الحجاج ما صنع ، إلا بعد اجتهاده وبحثه مع القرّاء والفقهاء المعاصرين له . وبعد إجماعهم على أن جميع ذلك قد حدث من تحريف الكُتّاب والناسخين ، الذين لم يريدوا تغييرا ولا تبديلا ، وإنما حدث بعض ما حدث ، لجهلهم بأصول الكتابة وقواعد الإملاء . والبعض الآخر ، لخطإ الكاتب فى سماع ما يملى عليه ، والتباسه فيما يتلى عليه .

ولا يتنافى هذا مع قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) . لأن المراد بالحفظ ، مفهوم الألفاظ ، لامنطوقها . لأن الألفاظ ما صيغت إلا ليستدل بها على معان مخصوصة ، قصد بها أوامر ، ونواه ، وعبادات ، ومعاملات . وجميعها مصان محفوظ ، مهما تقادم الدهر ، وتطاول العمر .

---

(١) سورة التكوير . آية ٢٤ والقراءة المشهورة « وما هو على الغيب بضنين » كما غيرها الحجاج . و « ضنين » أى بخيل . والمعنى : وما محمد على الوحى ببخيل . بل يبلغه اليكم ، لا كما يفعله الكهان من كتم العلم ، رغبة فى أخذ الأجر .

وقرأ « بظنين » مكى ، وأبو عمرو ، وعلى ، ويعقوب . والمعنى : وما هو على الغيب بمتهم . فينقص شيئا ، أو يزيد فيه . وهى من الظنة ، أى التهمة .

(٢) سورة الحجر . آية ٩

هجاء القرآن ورسمه

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

أمية الرسول عليه الصلاة والسلام

لقد كانت سنة الله تعالى فى إرسال الرسل عليهم السلام : أن يحملهم أروع ما وصلت إليه أقوامهم من علوم وفنون .

معجزات عيسى

فبعث عيسى عليه السلام الى قوم قد بلغوا غاية الرقى فى الطب والحكمة ، فأبرأ الأكمه والأبرص .

ولم يقف عند هذا الحد فى الإعجاز . بل أراد أن يبهتهم بما أوتى ، وليعلمهم أن ما جاء به ليس من نوع طبهم الذى تعلموه ، ولا علمهم الذى اكتسبوه بالتلقى والدراسة ؛ فأحيا الموتى (١) بإذن الله .

معجزات موسى

و بعث موسى عليه السلام الى قوم قد تخصصوا فى السحر . فجعل معجزاته مشابهة فى المظهر لما يأتونه بسحرهم ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٢) ﴾ .

وأراد أن يعلمهم أن هذا ليس من نوع سحرهم ، ولا من جنس باطلهم ؛ فلقفت تلك العصا ماصنعوه بسحرهم — من حبال وعصى

---

(١) ذهب بعض من أضله الله تعالى : الى أن إحياء الموتى على يد عيسى لم يكن إحياء حقيقيا للأجسام بعد فنائها . بل كان إحياء للقلوب — التى أماتها الكفر — بالنصح والتعليم والإرشاد .

وهذا خطأ فاحش مكفر . لأنه لو صح ؛ لاستوى سائر العلماء بعيسى عليه السلام فى هذه المعجزة . لأن كلهم ناصح ، وكلهم مرشد ، وكلهم معلم .

(٢) سورة الأعراف . آية ١٠٧ و ١٠٨

خيل الى موسى عليه السلام ، وإلى الناظرين أنها حيات تسعى — ولم تدع له أثرا .

فى حين أن فعل موسى لو كان من نوع السحر، لظلت حبالهم وعصيهم كما كانت أصلا .

فصاحة الأمة العربية

ولما كانت الأمة العربية فى نهاية البلاغة ، وغاية الفصاحة ؛ كان أروع ما يلفت أنظارها ، ويستدعى انتباهها ، ويهز مشاعرها ؛ كتاب فصيح بليغ ، تخلب بلاغته الألباب ، وتدهش فصاحته العقول . فأرسل الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن الكريم .

ولما كان ذلك مظنة التكذيب والاختراع والإنشاء ؛ أرسله الله تعالى أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ ليكون أبعد عن الظنة والريب .

كمال الرسول بأميته

ولم تكن تلك الأمية نقصا فى مداركه عليه الصلاة والسلام ؛ بل نقصه الله تعالى ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجب عنه القليل ليجلى له الكثير .

لقد نقصه الكتابة ، ومنحه مستلزماتها ومقتضياتها . وذلك لأن الكاتب يكتب ويقرأ ؛ ليستفيد علما و بلاغة وفهما . وقد وهب صلى الله تعالى عليه وسلم سائر العلم والبلاغة والفهم .

بلاغة الرسول وأدبه

لقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أديبا وخطيبا و بليغا . إذا احتاج فى موقف الى الأدب، كان أديب الأدباء . أو الى الخطابة، كان أخطب الخطباء . أو الى البلاغة ، كان أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء .

كان إذا أطال الكلام ؛ قصر عنه كل مطيل . وإذا قصر القول ؛ أتى على غاية كل خطيب .

دعوته إلى الديموقراطية

وأين من يدعون الدعاوى العريضة ، ويخطبون الخطب الطوال ؛ فى محاربة الدكتاتورية والأرستقراطية ؟ أين كلامهم الطويل الممل ، من دعوته صلى الله عليه وسلم للديمقراطية بتلك الكلمة القصيرة الموجزة « لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

وصف الجاحظ لبلاغة الرسول

وقد وصف الجاحظ كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : هو الكلام الذى قَلَّ عددُ حروفه ، وكثُرَ عددُ معانيه . وجَلَّ عن الصَّنْعَة ، وتَنَزَّه عن التكلف . وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (١) .

أمى بهر الخطباء والأدباء والمتعلمين

ومن عجب أن يبعثه الله تعالى أميا فيأتى بالقرآن الذى حير البلغاء ، وأخرس الفصحاء . وينطق بجوامع الكلم ؛ فيَسْبَح الكُتَّابُ والمتعلمون فى بحر لُجِّيّ من علمها ، وأدبها ، وبيانها ، وتشريعها ، وهداها !

لقد كان ذلك النبي الأمى يخطب الناس ؛ فيتدفق البيان من فيه ، وتخرج العبارات دقيقة متناسقة ، من غير حصر ولا عى .

حقا إنها لأمية عجيبة ، بهرت المتعلمين والدارسين ، وأعجزت الأدباء والكاتبين !

ولم يكن ذلك إلا لأنها معجزة للرسول صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) سورة ص . آية ٨٦

أمية العرب

عجز كاتب المصحف الأول فى الإملاء

لما كان أهل العصر الأول قاصرين فى فنّ الكتابة ، عاجزين فى الإملاء ، لأميّتهم وبداوتهم ، وبعدهم عن العلوم والفنون ؛ كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع ، غير محكمة الصنع . فجاءت الكتبة الأولى مزيجا من أخطاء فاحشة ، ومناقضات متباينة فى الهجاء والرسم كما سنبين فيما بعد .

وليس هـذا غمطا(١) لحقهم ، ولا انتقاصا لفضلهم . فهم من نعرف من النبل والفضل ، والسبق فى الخيرات والمكرمات . لكنهم كانوا أميّين قبل كل شىء . بل والأميـة — التى تعتـبر نقصا ومسـبة للناس — هى إحدى مفاخرهم .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» .

ويؤخذ من ذلك ، ومن تاريخ الأمة العربية ؛ أنها بلغت الغاية فى الأمية ، أو أنها تغلب عليها .

وليس من المعقول أن أمةً قد اتّسمت بالأمية ، وصارت الأمية اسما لها ، وعلما عليها ؛ أن يبلغ بعض أفرادها — مهما أوتوا من علم — الدرجة المطلوبة ، والغاية المرجوّة فى علم الهجاء وفنّ الكتابة .

(١) الغمط : الاحتقار والازدراء .

وإنما الذى يستسيغه العقل ، ويؤيده الدليل والبرهان ، أنه إذا تعلم فرد الكتابة فى أمة أُمِّيَّة ، فإن تَعَلُّمَهُ لها يكون محدودا ، ويكون عرضة للخطإ فى وضع رسم الأحرف والكلمات .

ولا يصح — والحال كما قدمنا — أن يؤخذ رسمه هذا أنموذجا تسير عليه الأمم التى ابتعدت عن الأمية بمراحل ، وأن نوجب عليها أخذه على علاته ، وفهمه على مافيه من تناقض ظاهر ، وتنافر بَيِّنٍ .

التعليل السقيم للخطإ الوارد فى إملاء المصحف

وذلك بدرجة أن العلماء الذين تخصصوا فى فنّ رسم المصحف ؛ لم يستطيعوا أن يعللوا هذا التباين ، إلا بالتجائهم الى تعليلات شاذة عقيمة .

فمن قائل : إن هذه الكلمة قد رسمت بالتاء ، مع نطقها بالهاء ؛ لصحة الوقوف عليها بالتاء فى بعض القراءات . ومن قائل : ان هذه الكلمة قد رسمت بصيغة النفى ، مع نطقها بصيغة التوكيد ؛ للاشارة إلى أن التوكيد لم يحصل (١) .

وأمثال هذه التُّرَّهَاتِ كثير فى تعليلاتهم وتمحلاتهم .

على أنهم رغم هذه التمحلات ؛ قد وقفوا أمام بعض المتناقضات حائرين مشدوهين (٢) . لم يستطيعوا أن ينتحلوا لها عذرا ، أو يحيروا عنها جوابا . كما سنبينه فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة نادرة .

---

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « التناقض الموجود فى رسم المصحف » .

(٢) شده الرجل ، بضم الشين وكسر الدال : دهش .

تعلم الكتابة في الأمة الاسلامية

ذكر هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره : أن بشر بن عبد الملك أخا أُكَيْدِر[1] دُومَةَ ، تعلم الكتابة من الأنبار[2] ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية ؛ فتعلم حرب بن أمية وابنه سفيان الكتابة من بشر ، وتعلمها عمر بن الخطاب من حرب أيضا ، وتعلمها معاوية من عمه سفيان .

وهكذا سرت الكتابة بين العرب على قلة وضعف .

أول من تعلم الكتابة من العرب

وقيل : ان أوّل من تعلم الكتابة من الأنبار : قوم من طيئ ، ثم هذبوها ونشروها فى جزيرة العرب ؛ فتعلمها الناس .

ولما كانت الكتابة بين العرب فى أوّل عهدهم بالإسلام ، ولم يتموا إتقانها ، ومعرفة سائر فنونها : وقع فى كتابة المصاحف اختلاف كبير فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة و رسمها ، لا من حيث معانى الكلمات ومدلولها .

اختلاف الهجاء لا يغير النطق

من الأمور المسلم بها : أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يطلب منها ما يثقل عليها . وقد نزل القرآن الكريم لهداية الناس كافة ، خصوصا عامتهم وجهالهم .

وقد كتب المصحف فى العصر الأوّل بالهجاء الذى تعارفوه ، والرسم الذى ألفوه . وذلك غاية جهدهم ، ومبلغ علمهم .

---

(١) أكيدر : صاحب دومة الجندل . وهو حصن بين الشام والمدينة ، يفصل بين الشام والعراق .

(٢) الأنبار : بلدة قديمة بالعراق ، وقرية ببلخ ، وسكة بمرو . ولعل المقصود هنا : بلدة العراق .

ولم يكلفهم ربهم تعالى بأن يكتبوه بهيئة تشق عليهم ، وتصعب على مداركهم .

وإن الإملاء مهما تطوّر رسمه ، وتعدّدت مناحيه ؛ فإنه لا يغير نطقا ، ولا يحرّف معنى .

وإذا سلمنا بما يقوله بعضهم ، من أن الرسم القديم يتفق مع كثير من القراءات ؛ لوجب علينا أن نكتب المصحف المصرى بما يوافق اللهجة المصرية من القراءات .

وإلا فكيف نكلف العامة — بل الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن — قراءة ما لم يحيطوا به علما ، ولم يستطيعوا له فهما .

رأى مالك فى هجاء المصحف

قال أشهب رضى الله تعالى عنه : سئل مالك رحمه الله تعالى : أرأيت من استكتب مصحفا اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء ؟

فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكَتْبَةِ الأولى .

فسأله السائل عن نَقْط القرآن . فقال : أما الإمام من المصاحف (١) فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد فى المصاحف ما لم يكن فيها (٢) ، وأما المصاحف التى يتعلم فيها الصبيان ؛ فلا أرى بذلك بأسا .

---

(١) الإمام من المصاحف : هو المصحف الذى يعتبر أصلا لها . ويعنى به المصحف الذى أمر بكتابته عثمان رضى الله تعالى عنه : وهو إمام المصاحف كلها .

(٢) وقد زيد فى المصاحف : النقط ، والشكل ، وفواصل الآى ، وتقسيمه إلى أجزاء وأعشار ، وأرباع . ولم تقف الزيادة عند هذا الحد ؛ بل وضعت فيه علامات وإشارات ليست منه . كقلى ، وصلى . إشارة إلى أن الوقف أولى ، والوصل أولى ، وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

مغالطة علماء الرسم في رأى مالك

ومن العجيب أن علمـاء الرسم ، ومن لف لفهم ؛ يوردون من قول مالك رضى الله تعالى عنه ، ما يتفق ورأيهم ، فيذكرون منـه إلى قوله : ولكن يكتب على الكَتْبَةِ الأولى ، ويسكتون عن باقيه ، وهو جواز كتابة المصاحف بالرسم الحديث؛ لمن يتعلمون القرآن .

وقد أصبح الناس جميعا فى زماننا هذا — عالمهم وجاهلهم — فى حكم الصبيان الذين يتعلمون القرآن (١) . عدا بضع نفر ممن أكرمهم الله بفهمه .

ونَهْىُ مالك رضى الله تعالى عنه عن كتابته بخلاف الرسم الأول ؛ إنمـا هو نهى عن التلاعب بأصله ، المؤدّى لضياعه وتحريفه .

ونحن إذا جارينا علماء الرسم ، واتبعنا مالكا فيما أمر به ونهى عنه ؛ لوجب علينا أن نتبعه أيضا فى عدم النقط ، وعدم وضـع علامات رءوس الآى ، وعلامات الأحزاب والأرباع ، وعدم وضع أية إشـارة لم يضعها عثمان رضى الله تعالى عنه فى مصحفه ، الذى أجمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وإذا فعلنـا ذلك ؛ فإن أى مسلم ، بالغا ما بلغ من التعلم والثقافـة ؛ لا يستطيع قراءته ، ولا يقوى على تلاوته .

ولكن مالكا رضى الله تعالى عنه ؛ قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القـرآن ويتلقنونه ، مع بقاء المصحف الإمام ، والمحافظة على أصله كما هو ، بدون نقط ، ولا إحداث شىء فيه .

(١) وهذا مما يدعو إلى الأسف الشديد ؛ أن ينصرف المتعلمون والمتأدبون ، عن منبع العلم والأدب . ينصرفون عما ينفعهم فى الدين والدنيا ، ويتهافتون تهافت الذباب ، على قراءة الروايات البذيئة ، المحشوة بالأباطيل والأضاليل .

وهذا هو الرأى الذى نستصوبه، وندعو إليه ، ونُرَغِّبُ فيه . وهو أن يُكْتَبَ المصحف الإمام، كمصحف عثمان رضى الله تعالى عنه تماما : لا ينقط ، ولا يشكل ، ولا يدخل فيه ما ليس منه ، ويبقى كأصْلٍ يُحْفَظُ أثرا لبقاء الرسم الأول . وتكتب باقى المصاحف بالإملاء الحديث .

كراهة إحداث شىء فى المصحف

وقد جاء عن ابن عمر ، وقتادة ، وابراهيم ، وهشام ، وابن سيرين : كراهة نقط المصاحف ، وإحداث أى تحسين أو تميق بها . وقد أغلظوا فى ذلك ، وأعظموا فى إثمه .

وها نحن أولاء : قد نَقَّطْنَا المصحف، ونَمَّقْنَاهُ، ووضعنا به علامات، وأدخلنا فيه إشارات وعبارات، ليست منه وليس منها .

أليس كل ذلك لتسهيل قراءته ، وتبيين عبارته ، وتعرّف وقفاته ، وتبين مواضع سكتاته ، ومواطن سجداته ؟

فحيث أدخلنا عليه ما كرهه الأوائل ، ولم يرضوا عنه ، ولم يفتوا به . وذلك لمصلحة رأيناها ، وحكمة تبيناها . ولأجل أن يستطيع القارئ أن يقرأه ، والمتفهم أن يفهمه ؛ فلا أقل من أن نكتبه بالهجاء الذى تداوله الناس، واصطلحوا على علمه ومعرفته .

ولا بأس أن يحفظ أصل المصحف الإمام : مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه . بغير نقط ، ولا تعشير ، ولا إحداث شىء فيه . كما أفتى بذلك عالم المدينة ، وإمام الأئمة مالك رضى الله تعالى عنه .

قول بعض المدافعين عن الرسم القديم

قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف ، ما نصه :

وأعظم فوائده : أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه . (انتهى كلامه) .

بمثل هذا الهراء، ينطق أحد أئمة القراء ، وبمثل هـذا الكلام يحتج القائلون بوجوب الهجاء القديم . مع أن هـذا القول واضح البطلان ، بادى الخسران ، مردود على قائليه . لا يقبله من عنده أدنى تفهم وتعقل .

الرد على هذا القول

يا للعجب ! كأن الله تعالى لم يرد إيمان أهـل الكتاب ، ولم يخاطبهم بالقرآن، ولم يقل لهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ﴾ (١) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (٢) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٣) . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا ﴾ (٤) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ (٥) .

الخلاف بين الرسم القديم والهجاء الحديث

ونحن إذا أردنا أن نحصر الألفاظ التى وردت فى المصحف مختلفة عن رسم الهجاء الحديث ، لضاق بنا المقام .

ولكنا نكتفى بأن نورد طرفا يسيرا منها ، ليتبين القارئ مقدار الخلاف ، ومدى تشويهه للنطق ، ومبلغ صعوبته لو كلفنا المسلم الذى لم يحفظ القرآن — مهما أوتى من علم ، وفهم ، وثقافة ، ورقى — أن يقرأ فى المصحف على رسمه القديم .

وها هو جدول ببعض الكلمات كما وردت بالرسم القديم ، وما يقابلها من الهجاء الحديث :

---

(١) سورة آل عمران . آية ٦٤ .
(٢) سورة النساء . آية ١٧١ .
(٣) سورة آل عمران . آية ٦٥ .
(٤) سورة المائدة . آية ٥٩ .
(٥) سورة المائدة . آية ١٩ .

رسم الكلمة فى المصحف	رسمها الاملائى	رسم الكلمة فى المصحف	رسمها الاملائى
يَبۡدَؤُاْ	يَبْدَأُ	شُفَعَـٰٓؤُاْ	شُفَعَاءُ
يَـٰصَـٰلِحُ	يَا صَالِحُ	يَعۡفُوَاْ	يَعْفُوَ
طَـٰغِينَ	طَاغِينَ	وَمَلَإِيْهِمْ	وَمَلَئِهِمْ
لِيَسُـُٔواْ	لِيَسُوءُوا	الْمَشَـٰرِقِ	الْمَشَارِقِ
ضَلَـٰلٍ	ضَلَالٍ	نَشَـٰٓؤُاْ	نَشَاءُ
لِشَاْىۡءٍ	لِشَىْءٍ	يَاْيْـَٔسِ	يَيْأَسِ
صَـٰٓفَّـٰتٍ	صَافَّاتٍ	جِاْىٓءَ	جِىءَ
أَتَلُوَاْ	أَتْلُوَ	لَّـٰكِنَّاْ	لَٰكِنَّ
ءَالۡـَٔـٰنَ	الْآنَ	الْوَلَـٰيَةُ	الْوَلَايَةُ
سَـٰٓئِحَـٰتٍ	سَائِحَاتٍ	يَبْنَؤُمَّ	يَا ابْنَ أُمَّ
بِهَـٰدِ	بِهَادِى	نُجِّى	نُنْجِى
وَأُوۡلَـٰتُ	وَأُولَاتُ	الشَّهَـٰدَةِ	الشَّهَادَةِ
إِيَّـٰىَ	إِيَّاىَ	سَأُوْرِيكُمْ	سَأُرِيكُمْ
خِلَـٰلِهِ	خِلَالِهِ	ءَاتَـٰنِۦ	آتَانِى
غَضۡبَـٰنَ	غَضْبَانَ	لَأَاْذْبَحَنَّهُ	لَأَذْبَحَنَّهُ
جَلَّـٰهَا	جَلَّاهَا	أَفَإِيْن	أَفَإِنْ
لَـٰغِيَةً	لَاغِيَةً	وَجَزَٰٓؤُاْ	وَجَزَاءُ
أَنۢبَـٰٓؤُاْ	أَنْبَاءُ	بَلَـٰٓؤُاْ	بَلَاءُ
لۡـَٔيۡكَةِ	الْأَيْكَةِ	بِأَيْيْدٍ	بِأَيْدٍ
الْبَلَـٰغُ	الْبَلَاغُ	الَّـٰتِى	اللَّاتِى
الْعُلَمَـٰٓؤُاْ	الْعُلَمَاءُ	الْأَوْلَيَـٰنِ	الْأَوْلَيَانِ

هـذا مع ملاحظة أن القرآن قـد كتب فى المصحف الإمام ، بالرسم الأول بدون نقط ، ولا شكل .

وفى هذه الحال تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس[١] ، وتصير قراءة القرآن على صحته مستحيلة أو أشبه بالمستحيلات .

وذلك لأن القارئ فيه لا يستطيع أن يفرق بين لفظة « يَاصَاحِ » ، ولفظة « يَصْلُحُ » . لأن رسمها مجـردة من النقط والشكل هكذا : « نصلح » . ولا بين « لِيَسُوءُوا » ، و « لَيَسْوُا » . ولا بين « صَافَّاتٍ » ، و « صَفَتْ » . ولا بين « الآن » ، و « أَلَنْ » . ولا بين « أَنْبَاء » ، و « أُنَبِّئُوا » . ولا بين « البَلَاغُ » ، و « البلغ » . ولا بين « جِيءَ » ، و « جَاءَ » .

وقـد قال ببقائه على حالته هـذه من ألزم باتباع الرسم القـديم . فهل هذا فى الإمكان ؟

أخطاء الرسم لا تحـد

وليس ما أوردناه بهـذا الباب هو كل ما جاء برسم المصحف من متناقضات ومتباينات ؛ إذ هى أشياء تفوق الحصر ، وتخرج عن حدّ الوصف . وقـد أوردنا ما أوردنا على سبيل المثال . وهو من الوضوح بالمكان الذى لا يقبل دفاعًا ولا جدلًا . بل كل ما قيل فى الدفاع عن الرسم القديم ، والجدال حول صحته ؛ لا يخرج عن كونه لغوًا وعبثًا يجب أن تصان أفعال العقـلاء وأقوالهم عنه .

كتاب شيخ المقارئ

وقد اطلعت على كتيب لشيخ المقارئ الحالى[٢] أسماه « سمير الطالبين » ، وقـد نحا فيه إلى التَّزمُّت ووجوب التمسك بالرسم القـديم ، وأورد تعليلات

(١) وذلك للخطإ الموجود فى الرسم الإملائى ، ولانعدام النقط والشكل .

(٢) وهو الشيخ على محمد الضباع ، الذى كان مراجعا للصاحف قبل توليته مشيخة المقارئ .

عقيمة لما فى هذا الرسم من تناقض . وقد كان إيراده لها بالغًا غاية العجب، ونهاية الغرابة .

تهرّبه من رسم المصحف

فقد اضطرّته بعض هذه التناقضات إلى التسليم والتهرّب من رسم المصحف الذى أقرّه سلفه شيخ المقارئ السابق[1] ، وأجمعت عليه القرّاء — وشيخ المقارئ الحالى واحد منهم — وقد وضع خاتمه بالاجازة على عشرات الألوف من نسخه ، ولا يزال يجيزه بسائر ما فيه حتى الآن .

حذف ألف جمع المذكر السالم

فقد جاء فى كتابه هذا عند ذكر « حذف ألف جمع المذكر السالم » : حذفها من ﴿ طَاغِينَ ﴾ . فى سورتى الصافات و ن . و ﴿ لِلطَّاغِينَ ﴾ فى سورتى ص والنبأ .

مخالفة شيخ المقارئ لرسم المصحف

وقد أحس بعد ذلك أن المصحف الأميرى برسمه الحالى فَصَّلَ فى الرسم بين « طاغين » الصافات و ن ، وبين « طاغين » ص والنبأ ؛ فحذف الألف من الأولى، وأثبتها فى الثانية . فعلق على ذلك بالهامش بأن الصحيح ما قاله هو ، لا ما ثبت بالمصحف .

ومن المعلوم بالضرورة : أن الحق لا يتعدد ؛ فإما أن يكون ما قاله شيخ المقارئ الحالى فى كتابه : خطأ ، أو أن يكون ما أجمع عليه القرّاء حتى اليوم — وهو أحدهم — مبنى على الخطإ .

وعلم الله تعالى أن كلاهما مخطئ ، وكلاهما لغو وباطل ، لا يعبأ به ولا يعوّل عليه . فليس هناك فرق بين سائر لفظة «طاغين» الواردة بالقرآن حتى يفرّق بينها مثل هذا التفريق . وإنما هو خطأ الكاتب الأول كما قلنا آنفا .

(١) هو المرحوم الشيخ محمد على خلف الحسينى ، الذى أخرج المصحف بشكله الحالى .

منع الناس عن قراءة القرآن

وذكر أيضا فى كتابه عند « ما يجب على كاتب المصحف » : بأن كتابته على مقتضى الرسم القياسى مخالف للأحاديث وخرق لإجماع الصحابة وجميع الأمة ، وأن من لا يعرف هذا الرسم من الأمة يجب عليه ألا يقرأ فى المصحف حتى يتعلمه ،وأن الطعن فى كتابة المصحف كالطعن فى تلاوته .

تكفير من ينقص أو يزيد فى الرسم

ولم يكتف بهذه المغالاة فقط ؛ بل ذكر عن بعضهم أن من نقص حرفا أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف كان كافرا !

وقد علم هو ومن نقل عنه أن نسبة الكفر إلى المسلم كفر ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : «إِذَا قُلْتَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُكُمَا» .

وهل إذا نقصت ألفا من قوله تعالى : ﴿ لِشَاْىْءٍ ﴾ . وجعلتها كما يرضى العلم والعقل : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ . أكون فى عِداد الكافرين ؟

وهل إذا زدت ألفا فى قوله تعالى : ﴿ طَٰغِينَ ﴾ . وجعلتها كما ينطق بها اللسان، وتسمعها الآذان : ﴿ طَاغِينَ ﴾ . أكون فيمن استوجب الخلود فى النار ، ولم ينفعه دعاء الصالحين ، ولا شفاعة الشافعين !

من قال بعدم جواز الكتابة بالرسم الأول

ومن عجب أن يورد بعد ذلك رأى الإمام العز بن عبد السلام ، الذى قال بعدم جواز كتابة المصحف بالرسم الأول[(١)] لئلا يوقع فى تغيير من الجهال .

ويُرَدُّ عليه بأن هذا العلم أحد أركان القرآن ، ولا يصح تركه مراعاة لجهل الجاهلين .

وقد فاته أن الجهل بالجهل علم ،وأن العلم بالجهل جهل . وأن ما قصده العز بن عبد السلام بالجهال : هم الذين لم يحفظوا القرآن ، فيلتبس عليهم

(١) وهو قول نفيس ، يوافق العلم والعقل والدين .

ذلك الرسم المشوش الذى ليس له ضابط ولا اصطلاح ولا نظام؛ و يقرأون الجمع مفردا، والمفرد جمعا، والنفى إثباتا، والإثبات نفيا. إلى ما لا نهاية له.

النبي لم يأمر بهـذا الرسم لأنه أمى

وقد زعم أيضا أن النبى عليه الصلاة والسلام هو الذى أمر بكتابته على هيئته هذه بزيادة ما جاء فيه من زيادات، ونقصان ما جاء فيه من نقصان؛ وذلك لأسرار لا تهتدى إليها العقول إلا بفتح ربانى، وهو سر من الأسرار خص الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. فكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه معجز أيضا (١).

وهو كلام لا يحتاج إلى رد إطلاقا. فالرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم المسلمون جميعا أمى لا يقرأ ولا يكتب، ولم يخط بيده حرفا واحدا. وقد وصفه الله تعالى بذلك فى القرآن: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ (٢).

ولم يقل بعدم أميته سوى الكافرين والمعاندين، الذين قالوا باختلاقه لهذا القرآن.

وليس من الحكمة فى شىء، ولا من الدين فى شىء أن يجعل الله تعالى إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم: إرساله بالقرآن مع أميته؛ فنوافق الكفار فى نفى الأمية عنه، وإثبات مظنة اختراع القرآن وتأليفه.

زعمهم بأن المراد بالرسم عدم الاهتداء للتلاوة

ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل صحيح العرفان؛ ما ذكره الضباع هـذا فى كتابه: من أن فوائد هـذا الرسم كثيرة، وأسراره شتى. منها: عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بموقِّف، شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه. (كذا).

---

(١) انظر ما كتبناه عند «قول بعض المدافعين عن الرسم القديم».
(٢) سورة الأعراف. آية ١٥٧

يا للداهية الدهياء ! لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات ، واللوغارتمات ، والطلسمات ، والاصطرلابات ، وضرب الرمـل ، والتنجيم . وما شاكل ذلك . من العلوم التى يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرار لا تنال إلا بجهد جهيد ، وتَلَقٍّ طويل الأمد .

القرآن الذى نزل ليفهمه سائر النـاس ، لا يجوز تلاوته إلا إذا تلقيناه عن بعض الناس .

والرسول عليه الصلاة والسلام الذى كلف بتبليغه لسائر الناس قد تآمر عليه مع صحابته رضوان الله تعالى عليهم ، فأحاطوه بسياج كثيف من المبهمات ؛ لئلا يهتدى الناس إلى تلاوته حق التلاوة !

يا معشر القـرّاء ، إن الرسـول والاسلام منكم براء . حتى تتوبوا عن هـذا الهراء !

يقول الله تعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (١) . وأنتم تزعمون أنه أبعدهم منه ، وأضلهم عنه ، فما أكبر هذا الزعم ، وما أعظم هذه الفرية !

لقد أرسل الله تعـالى القرآن الكريم فى أمة هى كالأنعام ، بل أضـل سبيلا منها ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢) قـد انصرفوا إلى عبادة الأصنام والأوثان ، ووأد البنين خشية الفقر ، والبنات خشية العـار ، وبلغوا من التعصب والجاهلية

(١) سورة القمر . آية ١٧

(٢) سورة الفرقان . آية ٤٤

حدًا لا يقبل مزيدا . فهل إذا أراد أحد المخلوقين العقلاء أن يخاطبهم في شئونهم، ويصرفهم عما اعتادوه وألفوه، ووجدوا آباءهم عليه، وأشرب حبه في عقولهم وقلوبهم ؛ أكان يكتب لهم بالأحاجي والمعميات ، ويرمز لهم الرموز ، ويكني لهم بالإشارات ؛ أم يكتب لهم بما يقرب من أذهانهم ، وتستسيغه عقولهم ؟

لا شك أنه ما من أحد يقول إلا بالرأي الأخير المعقول المقبول . فإذا كان هذا شأن العباد المخلوقين ، فما بالك برب الأرباب وأحكم الحاكمين ! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(١) .

وإليك ما احتواه الرسم القديم من تناقضات واضحة فاضحة :

---

(١) سورة الكهف . آية ٥

التناقض الموجود فى رسم المصحف

والناظر لهـذا الاختلاف — الذى أوردنا بعضـه — يرى أن الرسم القـديم يقلب معانى الألفاظ ، ويشوّهها تشويها شنيعا ، ويعكس معناها بدرجة تكفر قاريه ، وتحرّف معانيه .

وفضلا عن هذا فإن فيه تناقضا غريبا ، وتنافرا معيبا ، لا يمكن تعليله ، ولا يستطاع تأويله .

تحريف صيغة التوكيـد الى صـيغة النفى

وإلا فقل لى أيها المسلم المنصف : كيف يقـرأ المتلقى للقرآن قـوله تعالى : ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُ ﴾ (١) ؟ وقد وردت بأداتى توكيد : لام القسم ، ونون التوكيد الثقيلة .

كيف يقرؤها القارئ ، وهى مرسومة أمامه هكذا : ﴿ لَاأَذْبَحَنَّهُ ﴾ ؟ بصورة نفى الذبح ، لا تأكيده .

هذا مع أن قوله تعـالى : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ (٢) فى نفس السورة ، وفى نفس الصفحة ، بل وفى السـطر عينه ؛ مرسومة حسب النطق تمـاما ؛ بأداتى توكيدها .

فمـا السبب فى اختلاف هـذين الرسمين ، وتناقض هاتين الكلمتين ؟ وما حجة القرّاء ، والمتمسكين بالرسم القديم فى هذا ؟

---

(١) سورة النمل ، آية ٢١ (٢) سورة النمل ، آية ٢١

وإذا كانت حجتهم فى بعض التناقضات ؛ هو احتمال بعض القراءات لها . فما حجتهم الآن ؟

وهل يوجد قارئ يقـرأ : «لَأَذْبَحَنَّهُ» بنفى الذبح : «لَا أَذْبَحَنَّهُ» كما ورد فى الرسم القديم ؟

وقد جاء فى بعض كتبهم دفاعا عن هذا : أنه إشارة الى أن الذبح لم يحصل .

وجوابنا على ذلك : ان التعذيب أيضا لم يحصل . فلم لا يزاد فى : «لَأُعَذِّبَنَّهُ» ألف ، مثل : «لَا أَذْبَحَنَّهُ» ؟

نقص الألف وزيادتها بغير موجب

وجاء فى سورة الفرقان لفظة : «وَعَتَوْ» (١) بدون ألف أمام الواو ، فى حين أنه فى نفس السورة يوجد لفظتا : «أَتَوْا» (٢) و «دَعَوْا» (٣) باثبات الألف . وليس ثمت فرق فى الحالتين .

وجاء فى سورة فاطر : «يَدْعُوا حِزْبَهُ» (٤) بإثبات ألف أمام الواو ، مع أنها ليست بواو جماعة ، ولا داعى لزيادتها ، مهما انتحلنا لهـا من أعذار ، وتمحلنا لهـا من علل .

هذا فى حين أنها قـد وردت كثيرا بصيغة الجمع بدون ألف . كقوله تعالى : «وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ» (٥) . وقوله جل شأنه : «وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ» (٦) .

---

(١) سورة الفرقان . آية ٢١ « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » .

(٢) سورة الفرقان . آية ٤٠ « ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا » .

(٣) سورة الفرقان . آية ١٣ « وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا » .

(٤) سورة فاطر . آية ٦ « إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

(٥) سورة البقرة . آية ٦١ (٦) سورة الأعراف . آية ١١٦

فقد رسمت فى المصحف — رغم أنف علماء الرسم، والتهجئة، وذوى العقول — بدون ألف، هكذا : ﴿ جَاءُو ﴾ و ﴿ بَاءُو ﴾ .

زيادة أحرف ونقصانها فى بعض الكلمات دون بعض

وجاء فى سورة الأنعام عند قوله تعالى : ﴿ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١)، زيادة ياء فى ﴿ نَبَإِ ﴾ ، هكذا : ﴿ نبإِىْ ﴾ .

فى حين أنه قد جاء فى سورة القصص : ﴿ مِنْ نَبَإِ مُوسَى ﴾(٢) ، بدون هذه الزيادة .

وقد قالوا فى ذلك : إن زيادة الياء فى لفظة ﴿ نَبَإِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾؛ إشارة الى قراءة حمزة وهشام : ﴿ مِنْ نَبَيِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فى هذا الموضع فقط .

وجاء فى سورة فصلت : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾(٣). بحذف الألف الأولى التى بعد الميم من : ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ . وإثبات الألف التى بعد الواو . فى حين أنها محذوفة الألفين فى سائر المصحف ؛ هكذا : ﴿ سَمَوَتٍ ﴾ .

وجاء فى سورة النساء، عند قوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ . ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾(٤) . بإثبات الألف فى لفظة : ﴿ بنات ﴾ . فى حين أنها فى كثير من مواضع المصحف محذوفة الألف .

---

(١) سورة الأنعام . آية ٣٤ «ولقد جاءك من نبإ المرسلين» .

(٢) سورة القصص . آية ٣ « نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» .

(٣) سورة فصلت . آية ١٢

(٤) سورة النساء . آية ٢٣

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾[1] ، فاذا قلنا : إن علة الحذف وجود أداة التعريف ، وجدنا قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾[2] . وقوله جل شأنه : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾[3] ، مثبتة الألف مع وجود أداة التعريف . وفى هذا ما فيه من التناقض البين .

وجاء فى سورة الكهف ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾[4] ، زيادة ألف فى ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ ، هكذا : ﴿ لِشَاْيْءٍ ﴾ .

فى حين أنه قد جاء فى سورة النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5] ، بدون هذه الزيادة .

وجاء فى سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾[6] ، برسمها المعروف فى الإملاء ، وهو الذى يوافقه العقل أيضا .

غير أنه جاء فى سورة طه ، هكذا : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾[7] ، بهذا الرسم العجيب الذى لا يتفق مع الإملاء الحديث ، ولا الاملاء القديم ، ولا الإملاء المقبل الى يوم القيامة .

وجاء فى سورة البقرة : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى ﴾[8] . باثبات الألف فى ﴿ إِحْسَانًا ﴾ فى حين أنه جاء فى سورة النساء : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى ﴾[9] بحذف الألف من : ﴿ إِحْسَانًا ﴾ هكذا : ﴿ إِحْسَنًا ﴾ .

---

(١) سورة النحل . آية ٥٧
(٢) سورة الصافات . آية ١٤٩
(٣) سورة الصافات . آية ١٥٣
(٤) سورة الكهف . آية ٢٣
(٥) سورة النحل . آية ٤٠
(٦) سورة الأعراف . آية ١٥٠
(٧) سورة طه . آية ٩٤
(٨) سورة البقرة . آية ٨٣
(٩) سورة النساء . آية ٣٦

وكأنى ببعض المتعصبين للرسم القديم ، وقد قدح زناد فكره ، وسبح فى بحار أوهامه وخيالاته . ثم انبرى يدافع عن هذا التناقض الغريب . فيقول : نعم إن هناك فرقا بين الكلمتين ، وشتان بين الإحسانين ، فالذى جاء فى سورة النساء : ﴿ إِحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَى ﴾ . أما ما جاء فى سورة البقرة فهو : ﴿ إِحْسَاناً وَذِى الْقُرْبَى ﴾ . بدون الباء ، فوجب أن تعوض باثبات الألف ، ليتساوى القولان وتتعادل الآيتان .

و إلا فماذا يقال فى مثل هذا المقام غير هذا الهراء ؟

وجاء فى سورة البقرة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾(1) ، بإثبات الألف فى لفظة ﴿ إِصْلَاحٌ ﴾ .

فى حين أنه قد جاء فى سورة النساء : ﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾(2) ، بحذف الألف هكذا : ﴿ إِصْلَحٍ ﴾ .

ولعل المدافعين يقولون : إن السبب فى ذلك أن أحدهما مجرور ، والآخر مرفوع . أو أن أحدهما بمعنى الصلح ، والآخر بمعنى الإصلاح .

وجاء فى سورة المائدة : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾(3) ، بحذف الألف من ﴿ جَزَاءُ ﴾ هكذا : ﴿ جَزَؤُا ﴾ . مع زيادة الألف فى آخرها بدون موجب .

وفى السورة نفسها : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(4) ، بإثبات الألف كرسم الاملاء الحديث .

---

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٠ (٢) سورة النساء . آية ١١٤

(٣) سورة المائدة . آية ٢٩ (٤) سورة المائدة . آية ٨٥

ولعل حجتهم فى ذلك أنه لا يستوى الجزاءان : جزاء الظالمين ، وجزاء المحسنين؛ فوجب إنقاص : ﴿جزاء﴾ الظالمين ، وإكمال ﴿جزاء﴾ المحسنين .

ولست أرى لهم حجة غير ذلك ، خصوصا إذا علمنا أن الألف محذوفة أيضا فى سورة الحشر عند قوله تعالى : ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١) . ومثبتة فى سورة الزمر ، عند قوله عز من قائل : ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) .

فوضح لنا من هذا : أنهم ما قصدوا سوى إثباتها للمحسنين ، وحذفها للظالمين .

رسم التاء مفتوحة فى بعض الكلمات دون بعض .

وجاء فى سورة البقرة : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (٣) ، برسم لفظة : ﴿نِعْمَة﴾ بالتاء المفتوحة هكذا : ﴿نعمت﴾ ، فى حين أنها جاءت فى سورة المائدة : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (٤) ، بالتاء المربوطة مع أن لفظ الآيتين واحد لا اختلاف فيه .

وجاء أيضا فى سورة فاطر : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٥) ، بالتاء المفتوحة فى لفظ ﴿سنة﴾ فى الثلاثة مواضع التى فى هذه الآية . هكذا « سُنَّتَ ، لِسنتِ » وفى مواضع أخر من القرآن .

---

(١) سورة الحشر . آية ١٧ (٢) سورة الزمر . آية ٣٤
(٣) سورة البقرة . آية ٢٣١ (٤) سورة المائدة . آية ٧
(٥) سورة فاطر . آية ٤٣

هـذا فى حين أنها جاءت فى سورة الفتح عند قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾[(١)] ، بالتاء المربوطة فى هذين الموضعين من هذه الآية . وفى مواضع أخر من المصحف .

وجاء فى سورة الواقعة : ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[(٢)] ، بالتاء المفتوحة هكذا : ﴿ وَجَنَّتِ ﴾ ، فى حين أنها فى سائر القرآن بالتاء المربوطة .

وجاء فى سورة آل عمران : ﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[(٣)] ، بالتاء المفتوحة هكذا : ﴿ لَعْنَتَ ﴾ .

وفى نفس السورة : ﴿ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ ﴾[(٤)] ، بالتاء المربوطة . وهكذا فى كثير من مواضع المصحف الكريم .

وجاء فى مواضع كثيرة من المصحف ، هذه الألفاظ برسمها : ﴿ آمْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾[(٥)] و ﴿ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾[(٦)] و ﴿ فِطْرَتَ اللهِ ﴾[(٧)] و ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ ﴾[(٨)] و ﴿ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾[(٩)] و ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ ﴾[(١٠)] و ﴿ رَحْمَتَ اللهِ ﴾[(١١)] بالتاء المفتوحة .

---

(١) سورة الفتح . آية ٢٣ (٢) سورة الواقعة . آية ٨٩

(٣) سورة آل عمران . آية ٦١ (٤) سورة آل عمران . آية ٨٧

(٥) سورة آل عمران . آية ٣٥ « إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا » .

(٦) سورة المجادلة . آية ٨ « ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول » .

(٧) سورة الروم . آية ٣٠ « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

(٨) سورة هود . آية ٨٦ « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » .

(٩) سورة الدخان . آية ٤٣ « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » .

(١٠) سورة القصص . آية ٩ « وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك » .

(١١) سورة البقرة . آية ٢١٨ « أولئك يرجون رحمة الله » .

وفى مواضع أخر كثيرة : هذه الكلمات نفسها بالتاء المربوطة ؛ كالإملاء الحديث المعقول المقبول .

تلمس الأسباب الواهية لهـذا الاختلاف

ومن العجيب أن علماء الرسم يتلمسون الأسباب الواهية لهـذا الوضع الغريب ، وينتحلون الأعذار الواهنة لهـذا التخبط . فيقولون : إن قراءة حفص توجب النطق بالتاء فى هذه المواضع وصلا ووقفا ؛ لذا وجب رسمها بالتاء المفتوحة . وفى غير هذه المواضع توجب النطق بها وصـلا لا وقفا ؛ لذا وجب رسمها بالهاء[1] .

وكأنهم بقولهم هذا ؛ يقرّرون أن القرآن ليس بعربى ، أو أنه أنزل بلغة أخرى لا تمت للعربية بصلة ، وليس للمنطق والبلاغة والعقل دخل فيها .

وإلا فلماذا يوقف على : ﴿ نعمة ﴾ التى فى سـورة البقرة بالتاء ، وعلى ﴿ نعمة ﴾ التى فى سورة المـائدة بالهاء ؟

مع أن نطـق الآيتين واحد ، ولفظهما واحد ، لا فرق فيـه مطلقا : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾[2] .

وهذا التمحل الذى يتمحلونه ؛ غاية فى التكلف ، ونهـاية فى التعسف ، ولم يقولوا به إلا حين وجدوا بالمصحف القديم لفظ : ﴿ نِعمة ﴾ . أحدها مرسوم بالتاء ، والآخر بالهاء .

---

(١) الجميع يقرأونها كذلك ، عدا ابن كثير ، وأبو عمـرو ، والكسائى ، فانهم يقرأونها بالتاء وصلا ، و بالهاء وقفا .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٣١ ، والمائدة . آية ٧

ونحن ننكر عليهم أن حفصا قد قرأ بالوقف بالتاء فى مواضع ، وبالهاء فى مواضع أخر ، مع تشابه الموضعين وتماثلهما .

فإن أصروا على إسنادها إلى حفص ؛ فنحن ننكر على حفص أيضا هذا التصرف ؛ إذ أن القرآن أسمى من أن يكون فيه اختلاف فى ألفاظه ، أو معانيه ، أو نطقه ، أو صورته ، أو حروفه .

وذلك لأنه من وضع الخالق ، المتعالى عن النقص والاختلاف .

وإنما الاختلاف فى الرسم فقط ، وهو من وضع البشر وصنعهم .

وإذا كان النقص والاختلاف ليس من شأن بعض المخلوقين ؛ فما بالنا بأحسن الخالقين ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(١) .

إبدال السين صادا فى بعض المواضع

وقد جاء أيضا فى المصحف لفظة ﴿ بسطة ﴾ بالسين ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾(٢) .

إلا أن هذه اللفظة بذاتها رسمت بالصاد هكذا : « بصطة » ، عند قوله تعالى : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾(٣) . بغير موجب .

حذف الألف من «قال» فى بعض المواضع

وجاء أيضا لفظ ﴿ قال ﴾ بدون ألف هكذا : ﴿ قل ﴾ ، بغير ما سبب لهذا الحذف . وفى مواضع كثيرة بإثبات الألف .

فقد جاء عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾(٤) ، بحذف الألف من ﴿ قال ﴾ ، وفى نفس السورة : ﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٥) ،

---

(١) سورة النساء . آية ٨٢ (٢) سورة البقرة . آية ٢٤٧
(٣) سورة الأعراف . آية ٦٩ (٤) سورة المؤمنون . آية ١١٢
(٥) سورة المؤمنون . آية ١١٤

بحذف الألف أيضا ، وقوله جل شأنه : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(١)، بحذف الألف أيضا .

هذا فى حين أنه قد جاء فى نفس السورة ؛ عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾(٢) بإثبات الألف . وأيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾(٣) . و ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٤) . و ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾(٥) . و ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾(٦) . كل هذا بإثبات الألف .

وجاء فى آخر السورة : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾(٧)، بحذف الألف . وجاء أيضا فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ ﴾(٨) ، بحذف الألف أيضا .

هذا فى حين أنه قد جاء فى الآية التى تليها : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾(٩) ، بإثبات الألف .

بطلان ما زعمه القراء من احتمال قراءة « قل »

ومثل هذا التناقض كثير جدا . و إذا سألتهم عن العلة فى ذلك ، قالوا : لاحتمال قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر ، لا بصيغة الماضى .

هذا فى حين أنها جاءت فى مواضع كثيرة ؛ لا تحتمل هذا التأو يل الفاسد ، وهذا التوجيه الباطل .

---

(١) سورة الأنبياء . آية ٤
(٢) سورة الأنبياء . آية ٥٢
(٣) سورة الأنبياء . آية ٥٤
(٤) سورة الأنبياء . آية ٥٦
(٥) سورة الأنبياء . آية ٦٣
(٦) سورة الأنبياء . آية ٦٦
(٧) سورة الأنبياء . آية ١١٢
(٨) سورة الزخرف . آية ٢٤
(٩) سورة الزخرف . آية ٢٦

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (١) ، بحذف الألف ، فإنها لا تحتمل هذه القراءة ، إذ أن الآية التي تليها : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (٢) . ولا يجوز أن يقول : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . إلا بتقدير : قل كم لبثتم فى الأرض عدد سنين . فقال لهم ذلك ، فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم . وهذا واضح البطلان .

وجاء أيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ ﴾ (٣) ، بحذف الألف ؛ مع أن تمام الآية يأبى قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر . وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . فإذا كان بصيغة الأمر ، احتاج إلى تقدير : قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . فقال لهم ذلك ، فقالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون .

وهذا التقدير مخل بنظم الكتاب الكريم . وليس فى الأمر أكثر من خطإ الكاتب الأول للمصحف .

حذف الألف من « الأيكة » فى بعض المواضع

وإذا قلنا — كما يزعم القراء — : إن كل رسم جاء فى المصحف مخالف للإملاء ، فليس له من سبب سوى احتمال إحدى القراءات ، فبماذا نفسر رسم لفظة ﴿ الأَيْكَةِ ﴾ هكذا : « لْئَيْكَةِ » (٤) ؟

---

(١) سورة المؤمنون . آية ١١٢ (٢) سورة المؤمنون . آية ١١٣

(٣) سورة الزخرف . آية ٢٤ (٤) سورة الشعراء . آية ١٧٦ ، وهى اسم القرية التى كانوا فيها ، أو هو اسم غيضة تنبت ناعم الشجر .

ورب مجيب من سادتنا القرّاء يقول : نعم إنهـا رسمت هكذا لموافقتها لإحدى القراءات « ليكة » [١] بحذف الهمزة .

وردّنا على ذلك : وما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٢]، فى سورة الشعراء، وقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [٣]، فى سورة ق .

فانها جاءت فى سـورة الشعراء هكذا : ﴿ لْـَٔيْكَةِ ﴾ ، وفى سـو رة ق هكذا : ﴿ الْأَيْكَةِ ﴾ .

ولعلهم يقولون : إن القارئ يقرأ هذه بالهمز، وتلك بدونه .

وهنا فقط نكون فى حل من أن نقول لهم : رحما كم معشر القرّاء فى كلام مولا كم ، رحما كم فإن ما تقولونه وتدّعونه لغـو وباطل وهـذيان ، لا يقرّه إنسان . ونعيد على مسامعكم قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [٤] .

و أنا أوّل المؤمنين بأن هـذا القرآن من عنـد الله، وأنه تعـالى برىء ممـا تنسبونه له من التناقض والاختلاف .

حذف النون من « فان لم » فى بعض المواضع

وجاء أيضا عند قوله تعـالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ [٥]، بحذف نون ﴿ فَإِنْ لَمْ ﴾ هكذا : ﴿ فَإِلَّمْ ﴾ . وجاء عند قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ [٦]،

(١) هى قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو جعفر : « ليـكة » بالفتح ، على أنهـا ممنوعة من الصرف .

(٢) سورة الشعراء . آية ١٧٦

(٣) سـورة ق . آية ١٤

(٤) سـورة النساء . آية ٨٢

(٥) سورة هود . آية ١٤

(٦) سورة القصص . آية ٥٠

بإثباتها . مع أن الموقف واحد فى الحالتين . وليس لذلك من تعليل؛ إلا أن يقول المكابرون المتفعون : إن النون قد أثبتت فى الثانيـة؛ لتحل محل ميم الجمع فى الأولى .

الخلاف الموجود فى كتابة المصاحف

وقد جاء فى كتاب « فتح المنان، على مورد الظمآن » لابن عاشر؛ وهو من أهم الكتب المعتمدة فى الرسم :

اختلفت المصاحف فى قوله عز وجل: ﴿ سَوْآتُهُمَا ﴾[1] . ففى بعضها بإثبات الألف ، وفى بعضها بالحذف ، وكلاهما حسن ؛ فليكتب الكاتب من ذلك ما أحب .

ترجيح رسم على آخر بلا موجح

وقد أورد علماء الرسم فى قوله تعالى: ﴿ تُكَذِّبَانِ ﴾[2]، حذف الألف ، على خلاف بينهم ، وترجيح عدم إثباتها . ولكن القائمين بأمر طبع المصحف المصرى؛ رجحوا الرأى المرجوح، وأثبتوا الألف، متبعين الرأى الأضعف فى نظر علماء الرسم ، وكأنهم بهذا قد اتبعوا ما استحسنوه هم، لا ما استحسنه علماء الرسم الثقاة .

أين رسم مصحف عثمان

فأين رسم مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه؛ الذى يريدون أن يفرضوا علينا اتباعه أيا كان ، وكيف كان ؟ وهل كتبه عثمان بالوجهين ؟ وإلا فبماذا نفسر هذا التحسين وهذا التوجيه ؟

قصور كاتب المصحف فى الهجاء

وعلم الله تعالى أن هذا الرسم لم يناقض بعضه بعضا؛ إلا لتوهم الكاتب للمصحف الأول ، وقصوره فى فنّ الهجاء، وخطئه .

---

(١) سورة طه . آية ١٢١ (٢) سورة الرحمن . آية ١٣ وما بعدها .

نعم أقولها واضحة جلية ، بدون موار بة ، فالحق لا يقبل المحاباة ، ولا المداجاة .

لأن ذلك الكاتب من البشر ، وسائر البشر يجوز فى حقهم السهو ، والخطأ ، والنسيان ، والقصور .

وقد قال بذلك ؛ عائشة ، وابن عباس ، وغيرهما من فضلاء الصحابة الذين أخذنا عنهم الشريعة ، والدين ، والقرآن .

أما إنا نقول : إنهم بهجائهم هذا أدرى منا فى علم الرسم ، وأخبر فى فنّ الهجاء ، ونجعل هذا الرسم توقيفيا ، كأن الله تعالى أنزله برسمه هذا من السماء ، وكأن هذا الاختلاف ضرب من ضروب إعجاز القرآن . كما قال بعضهم سامحه الله (١) .

هذا مع العلم بأن الله تعالى قد أنزل القرآن على نبىّ أمىّ ، لا يقرأ ولا يكتب . وهو أيضا مبعوث إلى أمة أمية ، لا تقرأ ولا تكتب . وقد أنزله الله تعالى بلفظه ؛ لا بصورته ، وبمعناه ؛ لا برسمه .

جواز كتابة المصحف وطبعه بأى هجاء

ولا حرج مطلقا فى أن يكتب المصحف كاتب ، أو يطبعه طابع ؛ بأى هجاء شاء . ما دام لا يخرج عن النطق المطلوب ، كما أنزله الله تعالى ، وكما تنطق به العرب .

وإذا تصورنا — مثلا — أن الرسول الأمىّ ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ أنزلت عليه آية من القرآن — وهو غير مستطيع للكتابة والقراءة

---

(١) انظر ما كتبناه عند « ما قاله بعض المدافعين عن الرسم القديم » .

طبعا — فطلب من أحد كتبةِ الوحى كتابتها . فكتبها بأى صورة ، وعلى أى هجاء . ثم تلاها الكاتب على الرسول كما أملاها عليه ؛ أكان يقول له : أنت خاطئ ، أو أنت آثم . أو لِمَ لم تكتبها بالألف دون الياء ؟ أو بالياء دون الألف ؟ .

طبعا لا يختلف اثنان من المؤمنين المنصفين ، فى أن المراد بالقرآن هو ألفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومراميه ؛ لا هجاؤه ورسمه وهيكله .

سبب الرسم الأول للمصحف

ولو تساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ ، أو ليكون رمزا ، ويظل طِلَّسماً[1] ، يتناقله القرّاء وحدهم ، ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ؛ ممن يتزلف إليهم بماله ونفسه ، ويمنعونه عمن يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاها ولا مالا ؟

إذا بحثنا ذلك ؛ وجدنا أن القرآن الكريم ما رسم بهذا الرسم ، ولا كتب بهذا الهجاء ؛ إلا لأنه هو الهجاء المعروف المتداول فى العصر الأول .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه موجودا فى هذا العصر ؛ لما وسعه إلا كتابة المصحف بالرسم الحديث ، والتهجئة الحديثة : الواضحة ، المعقولة ، المقبولة . التى يستطيع تلاوتها كل مسلم ، ويقوى على قراءتها كل مؤمن .

صعوبة قراءة الرسم القديم وتعسرها

وفضلا عن ذلك ؛ فان هذا الهجاء لم ينزل من لدن المولى جل وعلا ، ولم يلزِمنا به الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وإنما هو من وضع المخلوقين ، لصالح المخلوقين .

---

(١) الطلسم : الاشارات والخطوط التى يرسمها السحرة والمشعوذون ، فلا تفهم ولا تقرأ .

ونحن إذا أحضرنا شخصا — بالغا ما بلغ من العلم والثقافة — وكلفناه قراءة بعض القرآن برسمه القديم ؛ لَمَا استطاع أن ينطق به على وجهه ، بل وخلط فيه خلطا شنيعا ؛ وقرأ الجمع مفردا ، والمفرد جمعا ، والإثبات نفيا ، والنفى إثباتا . ولأخل بالمعنى إخلالا بينا . ولا نقلب القارئ — لو آخذناه على نطقه — من التعبد إلى الكفر والعياذ بالله !

وقد رأيت بعيني ، وسمعت بأذنى ؛ الكثير من هذا . وشاهده وسمعه الكثيرون .

رأى ابن خلدون فى كتابة المصحف

قال العلامة ابن خلدون — فى سياق كلامه عن الخط العربى — ما نصه :

فكان الخط العربى لأول الإسلام ، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام ، والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع .

وانظر ما وقع لأجل ذلك فى رسمهم المصحف ؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة فى الإجادة ؛ فخالف الكثير من رسومهم ؛ ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها .

ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها ؛ تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه ؛ من كتاب الله تعالى وكلامه . كما يقتفى لهذا العهد خط وَلِىٍّ ، أو عالم تبركا ، ويتبع رسمه خطأ أو صوابا .

وأين نسبة ذلك من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسما ، ونبه علماء الرسم على مواضعه .

ابن خلدون يقول بتغفل علماء الرسم وتحكمهم

ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين ؛ من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم، ليس كما يتخيل ؛ بل لكلها وجه .

ويقولون فى مثل زيادة الألف فى ﴿لَأَاذْبَحَنَّهُ﴾ (١) أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع . وفى زيادة الياء فى ﴿بِأَيْيدٍ﴾ (٢) أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك ؛ مما لا أصل له إلا التحكم المحض .

وما حملهم على ذلك ؛ إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط .

وحسبوا أن الخط كمال . فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه ؛ وذلك ليس بصحيح .

الخط ليس كمالا فى حق الأمة العربية

واعلم أن الخط ليس بكمال فى حقهم ؛ إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكمال فى الصنائع إضافى ، وليس بكمال مطلق ؛ إذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين ، ولا فى الخلال . وإنما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العمران والتعاون عليه ، لأجل دلالته على ما فى النفوس.

---

(١) سورة النمل . آية ٢١ انظر ما كتبناه فى « تحريف صيغة التوكيد إلى صيغة النفى »

(٢) سورة الذاريات . آية ٤٧ .

الأميـة كمال في حق الرسول

وقد كان صلى الله تعالى عليه وسـلم أميا ، وكان ذلك كمالا فى حقه ، وبالنسبة إلى مقامه ؛ لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية ؛ التى هى أسباب المعاش والعمران كلها .

وليست الأمية كمالا فى حقنا نحن ؛ إذ هـو منقطع إلى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها ، حتى العلوم الاصطلاحية ، فان الكمال فى حقه ؛ هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

« انتهى كلام ابن خلدون »

رسم المصحف ليس بحجة

ورأى العلامة ابن خلدون هـذا : يؤيد ما ذهبنا إليـه كل التأييد ، ويدل دلالة قاطعة ، على أن الرسم الإملائى للمصحف ؛ ليس على قاعدة علمية صحيحة ، وليس على نظام قويم ، ولا يجوز أن يكون حجة ، ولا مرجعا .

وكثيرا ما نجد بعض جهلة الكتاب ، وصغار المتعلمين ؛ يكتبون كلمات ناقصة مبتورة ، وأخرى زائدة . ويرون أن ما يكتبونه هو عين الصواب ، ونهاية الصحة .

ولقـد رأيت من بعض العلمـاء من يكتب فى خطاباته ما يستوجب السخرية ، ويثـير الضحك . فى حين أنه لم يتصف بالأميـة ، كاتصاف أفراد الأمة العربية .

إخلال رسم المصـحف بأصول الرسم العربي

والأعجب من هذا أن شيخ المقارئ المصرية[1] — بعـد أن حظر القراءة فى المصحف ، وأنكر كونها قرآنا ، وأنكر قرآنية المصاحف التى على غير الرسم القديم — قال ما نصه :

(١) هو المرحوم : الشيخ محمد خلف الحسينى . الذى أشرف على إخراج المصحف الجديد برسمه الحالى .

ولو كان الأخذ من المصاحف كافيا ؛ لكان مقتضى الرسم العثمانى صحيحا فى القراءة فى كل موضع ، وليس كذلك . بل قد يُخِلُّ بها فى مواضع خالف فيها خط المصحف ؛ أصول الرسم العربى إخلالا بينا .

وهذا القول من شيخ المقارئ رحمه الله تعالى ، يعتبر اعترافا واضحا ، وإقرارا صريحا ؛ بأن المصحف العثمانى قد أخل بأصول الرسم العربى إخلالا بينا . وهو الذى قررناه ، وقلناه آنفا .

ليس هناك إجماع على الرسم القديم

قد يقول قائل : وكيف نخالف الرسم الأول ، وقد أجمعت الأمة على وجوب اتباعه ؟

وجوابنا على هذا : ان الأمة الاسلامية ؛ لم تجمع مطلقا على وجوب اتباع هذا الرسم . بدليل اختلاف تهجئة المصاحف ؛ باختلاف العصور ، وها هى دور الكتب ملأى بالمصاحف المختلفة الخطوط ، والإملاء ، والتهجئة .

إنعقاد الإجماع على مخالفة الرسم القديم

بل ان الإجماع انعقد زمنا طويلا على مخالفة الرسم القديم ، حتى عام ١٣٣٧ هجرية ، حيث طبع المصحف المصرى بهذا الرسم ، الذى أشرف على وضعه ، وقام بكتابته : المرحوم الشيخ محمد خلف الحسينى شيخ المقارئ المصرية . وعقد إجماع القراء عليه فى الديار المصرية فحسب .

وقد كان ذلك بعد دعاية واسعة النطاق ، لم يقصد بها سوى احتكار تلقين القرآن الكريم وتلقيه .

الإجماع لا يكون حجة على السنة

وإذا سلمنا جدلا بانعقاد الإجماع على الرسم القديم، فهل يكون الإجماع حجة على السنة؟ هل يكون إجماع الناس المعرضين للخطإ والزلل، حجة على قول الرسول الكريم المعصوم، عليه الصلاة والسلام.

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ» فهل معنى هذا الحديث: أننا نجعل هذه الأمة الأمية، قدوة لنا فى فنّ الهجاء، ومرجعا فى فنّ الإملاء.

يقول الرسول عليه السلام: يا أيها الناس نحن أمة لا نتقن الكتابة، فلا تأخذوها عنا، بل خذوها عن غيرنا ممن أحسنها وأتقنها. أما المعانى فلنا فيها شأن وأى شأن، فقد أوتيت جوامع الكلم.

فهل بعد هذا يحتج إنسان بالإجماع على الرسم القديم، وأنه أفضل الهجاء، وأحكم الإملاء.

قول عثمان بأن فى كتابة المصحف لحنا

وقد جاء أن عثمان رضى الله تعالى عنه، قال — حين عرض عليه المصحف فى كَتْبَتِهِ الأخيرة: — أرى فيه لحنا، وستقيمه العرب بألسنتها.

ولا شك أن عثمان يقصد بذلك اللحن الذى ستقيمه العرب بألسنتها: الخطأ البادى فى الهجاء، والتناقض الموجود فى رسم المصحف القديم.

قول عائشة بخطإ كاتب المصحف الأول

روى أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت:

ثلاثة أحرف فى كتاب الله تعالى ، هى خطأ من الكاتب : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (١) ، و﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾ (٢) ، و﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٣) .

أما وقد ثبت لنا الآن من قول عائشة رضى الله تعالى عنها ، ومن قول كثير من فضلاء الصحابة : خطأ الكاتب للمصحف الأول ؛ فلا معنى للتمسك بهذا الرسم ، الذى ثبت خطؤه بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقول عثمان رضى الله تعالى عنه ، وقول عقلاء الأمة وأدبائها ومفكريها .

وقد كان هذا الرسم سببا فى خطإ بعض القراء المشهورين (٤) ، كما سنبينه فى الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة طه . آية ٦٣

(٢) سورة المائدة . آية ٦٩ .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ — انظر ما كتبناه فى « رأى عائشة رضى الله عنها » .

(٤) انظر ما كتبناه فى « رأى الامام الزمخشرى فى بعض القراءات » .

تلاوة القرآن وقراءاته

قرآناً عربياً غير ذي عوج

فضل تلاوة القرآن

القرآن منبع الخيرات

لا ريب أن القرآن الكريم ، هو منبع الخيرات ، ومصدر البركات ، ومهبط الرحمات ، وتلاوته من أفضل القربات ، وأعظم الحسنات ، الموصلة الى أعلى الدرجات ، فى نعيم الجنات .

من جعلوا دأبهم تلاوة القرآن

قال تعالى مثنيا على من كان دأبهم تلاوة القرآن : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ (١) .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » .

وقال أيضا : « أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » .

وجاء فى الأثر : « مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ؛ أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ » .

شفاعة القرآن

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » .

القرآن نور الدور والقصور

وقال أيضا : « نَوِّرُوا مَنَازِلَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » .

---

(١) سورة آل عمران . آية ١١٣ .

فالقـرآن الكريم ؛ هو نور الدور والقصور ، ونور القلوب والعيون ، فياسعادة من جعل ديدنه ترتيـله ، وشاغله تأويله . ويا فوز من اتخـذه إماما وسندا ، وهاديا ومرشدا ، وملاذا وملجأ ، وشفاعة ومنعة !

التعـوّذ قبل القراءة

ويجب التعوّذ قبل البدء فى قراءة القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١) .

صيغة التعوّذ

وصيغة التعوّذ التى انبنى عليها الإجماع ، هى : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِـيمِ » .

وقد كان جماعة من فضلاء السلف ؛ يستحبون قول : « أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .

وعن أبى السمال : « أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوى » .

وعن قـوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنه هو السميع العـليم » .

وقصارى القول : انه ليس لها حدّ ينتهى اليه . فمن شاء زاد ، ومن شاء نقص . والأولى اتبـاع ما انعقد عليه الإجماع : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

---

(١) سورة النحل . آية ٩٨ .

القراءات إنما جعلت للتيسير لا للتعسير

ومن لطف الله تعالى بعباده ، ورأفته بخليقته ؛ أنه لم يكلفهم ما يشق بهم ، ولم يلزمهم ما يعسر عليهم .

ألا ترى الى القراءات ووجوهها ، والقراء ومذاهبهم ؟ فهذا يرقق الراء ؛ لأنها لغة إحدى القبائل ، وذاك يفخم اللام ؛ لأنها لهجة قبيلة أخرى ، وهذا يسهل الهمز ، وهذا يقصر الممدود ، وآخر يمد المقصور .

وهكذا الى ما لا حصر له من التساهل ، والنزول الى حيث مدارك الناس وأفهامهم — على اختلافها وتباينها — شفقة عليهم ، ورحمة بهم .

تعسّف القرّاء وتنطعهم

قـرّاء القرآن ثـلاثة

روى ابن قتيبة ، فى كتابه عيون الأخبار : « حدثنا بكر بن خُنَيْس ، عن ضرارِ بن عمرٍو ، عن الحسن ، قال : قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ : رجُلٌ اتَّخذه بضاعةً ينقلُه من مصر الى مصر (١) ، يطلب به ما عند الناس (٢) .

وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، واستدرّوا به الولاة ، واستطالوا به على أهل بلادهم (٣) — وقد كثر الله تعالى هـذا الضرب فى حمـلة القرآن لا كَثَّرهُم الله —

ورجل قرأ القرآن ، فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه (٤) ، فسهر ليله ، وهملت عيناه . تسربلوا الخشوع ، وارتدوا الحزن ، وركدوا فى محاريبهم ، وجثوا فى برانسهم . فبهم يَسْقى اللهُ الغيثَ ، ويُنْزِل النصر ، ويرفع البلاء . والله لهَذَا الضرب فى حملة القرآن ، أقل من الكبريت الأحمر » .

---

(١) « من مصر الى مصر » أى : من مدينة الى مدينة .

(٢) وهم أمثال القرّاء فى عصرنا الآن .

(٣) وهم حفظة القرآن اليوم ، الذين يتكسبون بتلقينه .

(٤) قال تعالى « وشفاء لما فى الصـدور » وهؤلاء هم الذين يتلون القـرآن حق تلاوته كما أنزله الله تعالى على نبيه صـلوات الله تعالى وسلامه عليـه ، وكما نطق به الصحابة والتابعون رضى الله عنهم — فلم يتعسفوا فى نطقه ، ولم يبالغوا فى غنـه ومدّه ، بل كان كل ديدنهم : فهم معانيه ، و إدراك مراميه ، والتعبد بما جاء فيه ، وقليل ما هم .

اذا جازت قراءة القراءات فعلى أهلها

والقراءات — كما قدّمنا — إنما جعلت على ألسنة القبائل ولهجاتها ؛ تلطفا بالناس ، وتسهيلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم .

لأنهم إذا سمعوا القرآن بلهجة غير لهجتهم ؛ ثقل ذلك على أسماعهم ، و إذا كُلِّفُوا قراءته بغير ما أَلِفُوهُ ؛ شَقَّ على ألسنتهم .

فأراد الله تعالى — رحمة بعباده — ألا يكلم أحدا إلا باللهجة التى سكن إليها ، ودرج عليها .

وليس معنى هذا : أن نأخذ قراءة أقوام ، فنسمعها آخرين ؛ حيث يثقل عليهم علمها وفهمها ، و إنما نقرأ لكل شعب من الشعوب ، وقبيلة من القبائل ؛ بما يتناسب ونطقهم . هذا رغم تأكدنا من أن القراءات قد نسخت جميعها بأمر عثمان رضى الله تعالى عنه ، حين جمع مصحفه ، ودعا الناس الى قراءة واحدة ، وأقرّه سائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم (١) .

وسنورد أمثلة من القراءات التى لو تليت على غير أهلها ؛ لأفسدت معانى القرآن ، وشوّهت طلاوته وعذوبته :

القراءات المشوهة لمعانى القرآن

أنظر — مثلا — الى القارئ المصرى ، حين يقرأ على عامة المصريين : ﴿ اهْدِنَا الزِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . مكان : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) .

---

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « كتابة المصحف » .

(٢) سورة فاتحة الكتاب . آية ٦ والذى قرأ « الزراط » هو خلاد عن حمزة ، والأعجب من هذا أن هذه الصاد تبدل زايا فى هذه اللفظة دون مثيلاتها فى سائر القرآن . حتى اللفظة الواردة فى الآية التالية لهذه الآية .

فتكون قراءتهما « اهدنا الزراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم » .

وقرأ خلف عن حمزة : جميع لفظ « صراط » فى سائر المصحف بالزاى ، وكذا الصادات الساكنة التى يعقبها دال . كقوله تعالى « أصدق » و « يصدر » هكذا « أزدق » و « يزدر » .

أو ﴿ إِنَّا نَبْشُرُكَ ﴾ . مكان : ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾(١) . أو ﴿ أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .
و ﴿ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ﴾ . مكان : ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .
و ﴿ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾(٣) . و ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾(٤) .

السكت على الساكن قبل الهمز

أو حين يقرأ — على طريقة من يسكت على الساكن قبل الهمز، وعلى الممدود قبلها(٥) — مثل « هَا ... ؤُلَا ... ءِ » و « السَّمَا ... ءِ » و « أُولَا ... ئِكَ » وأمثال ذلك .

انظر — مثلا — الى القارئ حين يقرأ بهذه القراءة قوله تعالى :
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَـؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾(٦) . فانه يقرؤها هكذا :
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَا ... ؤُلَا ... ءِ وَهَا ... ؤُلَا ... ءِ مِنْ عَطَا ... ءِ رَبِّكَ ﴾ .

أو قوله جل شأنه : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾(٧) .
فانه يقرؤها هكذا : ﴿ لَا ... إِلَى هَا ... ؤُلَا ... ءِ وَلَا ... إِلَى هَا ... ؤُلَا ... ءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ .

---

(١) سورة مريم . آية ٧ والذى قرأ « نبشرك » بفتح النون ، وسكون الباء ، وضم الشين والراء هو حمزة . وتمامها « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » .

(٢) سورة النور . آية ٣١ « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . والذى قرأ « أيه » فى سائر مواضعها . هو ابن عامر .

(٣) سورة الرحمن . آية ٣١ « سنفرغ لكم أيها الثقلان » .

(٤) سورة الزخرف . آية ٤٩ « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك » .

(٥) وهى قراءة حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة .

(٦) سورة الإسراء . آية ٢٠

(٧) سورة النساء . آية ١٤٣

أو قوله عز من قائل : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾(١) . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ إِذْ ... أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْ ... أَرْضِ وَإِذْ ... أَنْتُمْ ... أَجِنَّةٌ ﴾ .

أو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾(٢) . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ وَجَا ... ؤُا ... أَبَاهُمْ عِشَا ... ءً يَبْكُونَ ﴾ .

أو قوله جل وعز : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾(٣) . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ فَجَا ... ءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَا ... ءٍ قَالَتْ ... إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ .

فانظر أيها المؤمن الى أى حد بلغ تشويه المعنى ، حين يصل القارئ إلى قوله تعالى : ﴿ عَلَى اسْتِحْيَا ﴾ . وبعد السكت يقول : ﴿ ءٍ قَالَتْ ﴾ . فيصير كأنه يقول : ﴿ إن قالت ﴾ . بنطق « إن » الشرطية .

واذا قرأ القارئ بنفس هذه الطريقة ، قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾(٤) . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ... إِنَّنِي ... أَنَا اللَّهُ ﴾ .

فانظر الى أى حد بلغ فساد المعنى ، حين يسكت عند قوله تعالى : ﴿ يُوحَى ﴾ . ثم ينطق بقوله : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ . وحين يسكت ثانية ، بعد قوله : ﴿ إِنَّنِي ﴾ . ثم ينطق بقوله تعالى : ﴿ أَنَا اللَّهُ ﴾ .

---

(١) سورة النجم . آية ٣٢ — (٢) سورة يوسف . آية ١٦

(٣) سورة القصص . آية ٢٥ — (٤) سورة طه . آية ١٣

أو حين يقرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (١) . فانه يقرؤها : ﴿ لَا تَسَـ ... ـأَلُوا عَنْ ... أَشْـيَا ... ءَإِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

فانظر الى التحريف البالغ بسبب هـذه القراءة ، حيث ينتقل المعنى من تقرير حصول الاساءة فعلا فى حالة بدو هذه الأشـياء المسئول عنها ، الى الاستفهام هكذا : ﴿ أَئِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ؟ أى : هل تسؤكم إذا بدت ؟

إدغام الهمز

وانظر أيضا الى القارئ ، حين يقرأ هذه الكلمة : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ . فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٢) . هكذا : ﴿ وَإِمِّنُمَّةٍ ﴾ . بإدغام النون فى الميم الأولى ، والألف فى الميم الثانية (٣) .

وأيضا هذه الكلمة : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ . فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٤) . فان القارئ يقرؤها هكذا : ﴿ مَنَامَنَ ﴾ (٥) . كأنه يقول : ﴿ منامنا بِاللهِ ﴾ . من النوم ، لا من الإيمان .

و إنى أتحدّى القرّاء أنفسهم : أن ينطق أحدهم هذه الألفاظ بمفردها مجرّدة عن باقى الآية بنطقها الصحيح ، أو يفهمها كما هى مرسومة .

من قال بعدم تواتر القراءات

وهذه القراءات ، معروفة متواترة . وقد قال بعضهم : بعدم تواترها ؛ وذلك لأنها عبارة عن كيفيات لأداء القرآن ، وكيفية الأداء لا تنضبط .

---

(١) سورة المائدة . آية ١٠١ (٢) سورة فاطر . آية ٢٤

(٣) وهى قراءة ورش (٤) سورة المائدة . آية ٦٩

(٥) وهى قراءة ورش أيضا .

وقال آخرون : بأن المتواتر من القراءات ، هو غير الأداء منها ؛ كالمد ، والتسهيل ؛ لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع (١) .

من دوّن القراءات

ولم يزل القـرّاء يتداولون القراءات وروايتها ، الى أن كتبت العـلوم ودوّنت ، فكتبت القـراءات فيما كتب من العـلوم والفنون ، وصارت صناعة مخصوصة ، وعلما منفردا .

مجاهـد

وتناقله الناس بالمشرق والأندلس جيلا بعد جيل ، الى أن ولى شرق الأندلس مجاهد من موالى العامريين (٢) — وكان معتنيا بفنّ القـراءات — واختص بعد ذلك بإمارة دانية (٣) ، والجـزائر الشرقية ، فنفقت (٤) بها سـوق القـــراءة .

أبو عمرو الدانى

وقد ظهر فى عهده : أبو عمرو الدانى (٥) ، وبلغ الغـاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها ، وانتهت الى روايته أسانيدها ، وتعددت تآليفه فيها ، وعوّل الناس عليها ، وعدلوا عن غيرها .

وقـد ألف فيما ألف : كتاب التيسير . وقـد كتب أيضا فى علم الرسم كتبا عدّة . أشهرها : كتابه « المقنع » وأخذ به النـاس ، وعوّلوا عليه .

الشاطبى

ونظمه أبو القاسم الشاطبى (٦) ، فى قصيدته الرائية المشهورة .

---

(١) قال بذلك العلامة ابن خلدون فى مقدمته ؛ عند الكلام فى القراءات .

(٢) العامريين : نسبة الى المنصور بن أبى عامر .

(٣) دانية : بلد بالمغرب . (٤) نفقت : راجت .

(٥) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الدانى .

(٦) نسبة الى شاطبة : بلد بالمغرب .

ابن فيره

ثم ظهر بعد ذلك بأجيال : أبو القاسم بن فِيرُّه(١) ، فعمد الى تهذيب ما دوّنه أبو عمرو وتلخيصه ؛ فنظم ذلك كله فى قصيدة استوعب فيها فن القراءات استيعابا حسنا ، وعنِي الناس بحفظها وتلقينها للولدان ، وجرى العمل على ذلك فى أمصار المغرب والأندلس .

وظهر من المتأخرين بالمغرب الخراز(٢) ، ونظم أرجوزة أخرى ، زاد فيها على كتاب « المقنع » واختلف معه . واشتهرت هذه الأرجوزة بالمغرب ، واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها سائر الكتب المتقدّمة فى هذا الفن .

وأمثال هذا كثير ، وكثير جدّا . وإنه ليضيق صدرى ، ولا ينطلق لسانى ! ولست بقائل إلا ما قاله القرّاء : من أنها قراءة صحيحة معتمدة .

لا يجوز قراءة القراءة التى مات أهلها

ونحن إذا سلمنا بهذا القول ؛ فانما نسلم به جدلا . ونقول : إن مثل هذه القراءة — التى تضيع من الألفاظ بهجتها ، وتسلب من الكلمات معانيها وعذوبتها — إذا صح سندها ، وحسنت روايتها ؛ فلا يصح استعمالها وقراءتها ؛ فقد مات أهلها ، ومن ينطقون بها .

واذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، ولا هذه البلاد أوطانهم .

لا أصل لهذه اللهجات

ولقد أجريت بنفسى أبحاثا خاصة ، لِتَعَرُّفِ هذه اللهجات . فعلمت — بعد التحرّى الزائد من أصدقاء لى بسوريا ، وفلسطين ، والعراق ،

---

(١) من علماء الرسم والقراءات . وكان من أهل شاطبة (احدى بلاد المغرب) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم الفاسى ، الشهير بالخراز .

وشرقى الأردن ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وغيرها من البلاد — بأنه ليس لأهل هذه اللهجات وجود إطلاقا . بل وأنكروا احتمال وجود مثل هؤلاء فى سابق الأزمان .

ساد بعض القراءات لغة

جاء عن الإمام ابن الجزرى ما نصه :

وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ، أو كثير منهم . ولم يعتبر إنكارهم . كإسكان : ﴿ بَارِئْكُمْ ﴾(١) و ﴿ يَأْمُرْكُمْ ﴾(٢) وخفض ﴿ وَالْأَرْحَامِ ﴾(٣) ونصب ﴿ لِيُجْزَى قَوْماً ﴾(٤) والفصل بين المضافين فى قوله تعالى : ﴿ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾(٥) . وغير ذلك .

« انتهى كلام ابن الجزرى »

---

(١) سورة البقرة . آية ٥٤ ، والذى قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم » بكسر الهمز . وحجة من أسكن الهمز : أنها لغة بنى أسد وتميم . طلبا للتخفيف ، عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد .

(٢) سورة البقرة . آية ٦٧ ، والذى قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » بضم الراء .

(٣) سورة النساء . آية ١ ، والذى قرأها حمزة . والقراءة المشهورة « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بفتح الميم .

(٤) سورة الجاثية . آية ١٤ ، والذى قرأها يزيد بن القعقاع . والقراءة المشهورة « ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ، ومقتضى العربية فى قراءة « ليجزى » بضمير الغائب : أن تكون « ليجزى قوم » لا « قوما » .

(٥) سورة الأنعام . آية ١٣٧ ، وهى قراءة ابن عامر . والقراءة المشهورة « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » أنظر ما كتبناه عند « رأى الإمام الزمخشرى فى بعض القراءات » .

ويقاس على ما أورده ابن الجزرى قراءة من قرأ : ﴿ وَيَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ﴾ (١) . وأمثال ذلك كثير .

وكأن ابن الجزرى يريد بقوله هذا : أن القرآن ليس عربيا بجملته وتفصيله . فى حين أن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٢) .

عدم صحة القراءات التى تنافى اللغة

ونستطيع أن نقول — ونحن آمنون مطمئنون — إن هذه القراءات وأمثالها ليست صحيحة ، لمنافاتها اللغة العربية ، ومجافاتها نظم القرآن الكريم . وان جميع ذلك من خطإ المتلقين فى سماعهم ، أو خطإ الكاتبين فى كتابتهم .

إنكار الرسول لبعض القراءات المشهورة

أخرج الحاكم فى مستدركه ، من طريق حُمْرَانَ بن أَعْيَنَ ، عن أبى الأسود الدؤلى ، عن أبى ذرّ رضى الله تعالى عنه . قال : «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : يَانَبِيءَ اللهِ . فقال : لَسْتُ بِنَبِيءِ اللهِ ، وَلَكِنِّى نَبِيُّ اللهِ » .

ولكن القرّاء — أثابهم الله — يأبون إلا أن قراءة « نبىء » (٣) بالهمز . قراءة صحيحة ، متواترة . يأثم جاحدها ، و يكفر منكرها .

وأنا أشهد الله تعالى وملائكته ورسله ؛ أنى بها أول الجاحدين ، ولكلام القرّاء أول المكذبين ، ولحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم — الذى أنزل عليه القرآن — أول المصدّقين .

---

(١) سورة الإسراء . آية ١٣ ، القراءة المشهورة «ونخرج له يوم القيامة كتابا» ومقتضى العربية فى قراءة « ويخرج » أن تكون « ويخرج له يوم القيامة كتاب » لا « كتابا » .

(٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) قرأ بها نافع بن أبى رويم .

قراءة بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

قـراءة عمر بن الخطاب

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قرأ من سورة الفاتحة :

﴿ صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ ﴾ (١) .

ومن سورة آل عمران : ﴿ الٓمٓ . اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيَّامُ ﴾ (٢) .

ومن سورة المدثر : ﴿ فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ يَافُلَانُ مَا سَلَكَكَ فِى سَقَرَ ﴾ (٣) .

قـراءة علىّ ابن أبى طالب

وروى عن علىّ رضى الله تعـالى عنه : أنه قـرأ من سـورة البقرة :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَآمَنَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

قـراءة أبىّ بن كعب

وروى عن أبىّ بن كعب رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء :

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

(٢) سورة آل عمران . آية ١ و ٢ ، والقراءة المشهورة « الحى القيوم » . والقيام والقيوم : بمعنى . وهو الذى لا ند له .

(٣) سورة المدثر . آية ٤٠ — ٤٢ ، والقراءة المشهورة « فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر » .

(٤) سـورة البقرة . آية ٢٨٥ ، والقراءة المشهورة « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون » .

(٥) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة « فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ » بغير زيادة : « إلى أجل مسمى » .

ومن سورة البقرة : ﴿ لِلَّذِين يُقْسِمُونَ ﴾(١) . و ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾(٢) .

ومن سورة المائدة : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ ﴾(٣) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نَمْلَةٍ ﴾(٤) . قراءة عبد الله ابن مسعود

ومن سورة آل عمران : ﴿ وَارْكَعِي وَاسْجُدِي فِي السَّاجِدِينَ ﴾(٥) .

ومن سورة البقرة : ﴿ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَثُومِهَا ﴾(٦) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : ﴿ وَتَزَوَّدُوا وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾(٧) . و ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ فَابْتَغُوا حِينَئِذٍ ﴾(٨) .

---

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٦ ، والقراءة المشهورة « للذين يؤلون » والإيلاء بمعنى القسم : آلى ، وائتلى ، وتألى : أقسم .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وهى فى معناها بتقدير « لا » كقراءة أبىّ بن كعب .

(٣) سورة المائدة . آية ٨٩ ، والقراءة المشهورة « فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم » .

(٤) سورة النساء . آية ٤٠ ، والقراءة المشهورة « إن الله لا يظلم مثقال ذرّة » والذرّة : النملة الصغيرة ، أو هى دابة أصغر منها . ولعل المقصود : الهباء المنتثر فى الهواء .

(٥) سورة آل عمران . آية ٤٣ ، والقراءة المشهورة « واسجدى واركعى مع الراكعين » .

(٦) سورة البقرة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « وفومها » مكان « وثومها » والفوم : الثوم .

(٧) سورة البقرة . آية ١٩٧ ، والقراءة المشهورة « وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى » .

(٨) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » . بدون هذه الزيادة .

و﴿ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ ﴾(١) . و﴿ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَهُ ﴾(٢) . و﴿ مَا نُنْسِكَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا ﴾(٣)(٤) .

ومن سورة المائدة : ﴿ بَلْ يَدَاهُ بَسْطَانِ ﴾(٥) .

ومن سورة التوبة : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ وَرَحْمَةٍ لَكُمْ ﴾(٦) .

ومن سورة يونس : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكُمْ ﴾(٧) .

ومن سورة مريم : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(٨) .

ومن سورة العصر : ﴿ وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، وَإِنَّهُ فِيهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٩) .

قراءة ابن عباس

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أنه قرأ من سورة البقرة : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾(١٠) . وكان يقول : لا تقولوا ﴿ بِمِثْلِ

---

(١) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأتموا الحج والعمرة لله » .

(٢) سورة البقرة . آية ١٤٤ ، والقراءة المشهورة « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . وشطره ، وقبله : بمعنى .

(٣) من النسيان .

(٤) سورة البقرة . آية ١٠٦ ، والقراءة المشهورة « ما ننسخ من آية أو ننسها » .

(٥) سورة المائدة . آية ٦٤ ، والقراءة المشهورة « بل يداه مبسوطتان » .

(٦) سورة التوبة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « قل أذن خير لكم » .

(٧) سورة يونس . آية ٢٢ ، والقراءة المشهورة « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » .

(٨) سورة مريم . آية ٣٤ ، والقراءة المشهورة « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق » ، ويمترون : يجادلون .

(٩) سورة العصر . آية ١ – ٣ ، والقراءة المشهورة « والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

(١٠) سورة البقرة . آية ١٣٧ ، والقراءة المشهورة « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » .

فإن الله تعالى ليس له مثل . قولوا : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ أو ﴿ بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ (١) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (٢) . و ﴿ أَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ ﴾ (٣) . و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ ﴾ (٤) . و ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ﴾ (٥) .

ومن سورة آل عمران : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ (٦) . و ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ (٧) .

ومن سورة النساء : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (٨) . و ﴿ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (٩) .

---

(١) يؤخذ من ذلك : أنه رضى الله تعالى عنه ، كان يجيز القراءة بالمعنى . وهو مذهب بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . أنظر ما كتبناه عند فصل « من قرأ القرآن بالمعنى » و « عدم جواز قراءته بالمعنى » .

وقد ردّ ابن أبي داود على هذا : بأن التعبير بالمثل جائز سائغ فى لغة العرب . وقد جاء بها الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وهى فى معناها بتقدير « لا » كقراءة ابن عباس ، وأبىّ بن كعب .

(٣) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأتموا الحج والعمرة لله » .

(٤) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « فى مواسم الحج » .

(٥) سورة البقرة . آية ٢٣٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « وصلاة العصر » .

(٦) سورة آل عمران . آية ١٥٩ ، والقراءة المشهورة « وشاورهم فى الأمر » .

(٧) سورة آل عمران . آية ١٧٥ ، والقراءة المشهورة « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » .

(٨) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « إلى أجل مسمى » .

(٩) سورة النساء . آية ١٦٠ ، والقراءة المشهورة « طيبات أحلت لهم » بغير « كانت » .

ومن سورة يس : ﴿ يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ ﴾ (١) .

ومن سورة النصر : ﴿ إِذَا جَاءَ فَتْحُ اللهِ وَالنَّصْرُ ﴾ (٢) .

قراءة ابن الزبير

وجاء عن عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما : أنه قرأ من سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ ﴾ (٣) .

ومن سورة آل عمران : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ (٤) .

ومن سورة المائدة : ﴿ فَيُصْبِحَ الْفُسَّاقُ عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (٥) .

ومن سورة الفاتحة : ﴿ صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦) .

مصاحف بعض الصحابة

وهذه القراءات التى قدّمناها فى هذا الباب ثابتة فى مصاحف أصحابها، ومنقولة عنها .

وقد وجد اختلاف يسير ، فى مصاحف أخر من مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ كمصحف عبد الله بن عمرو ، ومصحف أم المؤمنين عائشة ، ومصحف حفصة ، ومصحف أم سلمة .

---

(١) سورة يس . آية ٣٠ ، والقراءة المشهورة « يا حسرة على العباد » .

(٢) سورة النصر . آية ١ ، والقراءة المشهورة « إذا جاء نصر الله والفتح » .

(٣) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « فى مواسم الحج » .

(٤) سورة آل عمران . آية ١٠٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « ويستعينون بالله على ما أصابهم » .

(٥) سورة المائدة . آية ٥٢ ، والقراءة المشهورة « فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

(٦) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم » .

مصاحف التابعين

وكذا مصاحف التابعين رضى الله تعالى عنهم ؛ فقد جاء فيها ما لا يخرج عما قدّمناه فى مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقراءاتهم .

وقد اكتفينا بما ذكرناه عن إيراد باقيه ؛ لضيق المقام .

الزيادات فى المصاحف تفسير لبعض الكلمات

وقد ذهب بعضهم إلى أن أغلب ما وجد من الخلاف ؛ إنما هو من وضع بعض كلمات بين الأسطر ، تفسيرا لما فى المصحف — فظنها القارئ من جنس القرآن خطأ — وليست من القرآن .

وهذا القول لا بأس به فيما كان زائدا على الكلمات . أما الكلمة التى أبدلت بكلمة أخرى من معناها ؛ فهى — ولا شك — قراءة أخرى ، وليست بتفسير .

تفسير القرآن

وقد تنوقل تفسير بعض القرآن الكريم عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، ولم يزل ذلك متناقلا فى الصدر الأوّل ، حتى صارت المعارف علوما ، ودوّنت الكتب . فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . وانتهى جميع ذلك إلى أئمة التفسير . أمثال : الطبرى ، والواقدى ، والثعالبى ، وأضرابهم . فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه . وقد جمع المتقدّمون فى ذلك الشيء الكثير . إلا أن كتبهم اشتملت على الغث والسمين ، والمقبول والمردود.(١)

---

(١) وهذا واضح فى شتى كتب التفاسير من إيرادهم لقصص اليهود و إفكهم : كقصة زينب بنت جحش ، وقصة داود عليه السلام ، والغرانيق ، وأمثال ذلك مما يكاد إجماعهم أن ينعقد عليه رغم ظهور بطلانه . وذلك للأسباب التى ذكرناها ، والتى أشار إليها العلامة ابن خلدون عند الكلام فى التفسير .

سبب تسرب الخطإ الى التفسير

وسبب هذا : أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ، ولا علم . و إنما غلبت عليهم البداوة والأمية . فإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء مما تتوق إلى معرفته النفوس البشرية ، فى أسباب المكنونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ؛ فإنهم يسألون عنه أهل الكتاب . ويستفيدونه منهم (وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى) وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ كانوا من أهل البادية أمثالهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب . ومعظمهم من حمير ، الذين كانوا على دين اليهودية (١) ، فلما أسلموا ؛ بقوا على ما كان عندهم من الأكاذيب والأباطيل ، فامتلأت

كتب التفسير الصحيحة

كتب التفاسير مما نقل عنهم ، وتساهل فى أخذه المفسرون . عدا بعض أئمة التفسير والعربية : كالإمام القرطبي ، فإنه قد ألف تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » فلم يدوّن به ما أخذ من اليهود ، ودوّنه المفسرون فى كتبهم (وهذا الكتاب من أجل كتب التفسير) والإمام الزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » غير أن بعض من تسموا بأهل السنة ، يأخذ عليه الاعتزال فى العقائد ، وفى قولهم نظر .

ولسنا الآن بسبيل مخالفته أو تأييده . وكل ما نستطيع أن نقوله : إن هذا التفسير تنتهى إليه ضروب البلاغة والإعجاز ، وقد أحاط بكل ما يراد معرفته من فنون اللغة وآدابها . وقد نقله بأحرفه الإمام النسفى ، وادّعى تأليفه ، بعد أن أسقط منه ما ادّعوه من الاعتزال .

---

(١) وهم : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم .

من قرأ القرآن بالمعنى

وروى ورقاء ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبىّ ابن كعب ، أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ (١) :

﴿ لِلَّذِينَ آمنوا أَمْهِلُونَا ﴾ ، ﴿ لِلَّذِينَ آمنوا أَخِّرُونَا ﴾ ، ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ارْقُبُونَا ﴾ .

وكان يقرأ قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ (٢) :

﴿ مَرُّوا فِيهِ ﴾ ، ﴿ سَعَوْا فِيهِ ﴾ .

قال الطحاوى فى ذلك :

إنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات (٣) . وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ، وقراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لعدم علمهم بالكتابة والضبط ، و إتقان الحفظ .

وهذه الرخصة كانت فى أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر ، وتيسر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة .

شذوذ هذه القراءات

وقد انعقد إجماع القراء على ان هذه القراءات المتقدمة شاذة ، ولا تصح تلاوتها لعدم تواترها ، وهذا بالرغم من ورودها فى أمهات كتب الحديث الصحيحة المعتمدة .

---

(١) سورة الحديد . آية ١٣

(٢) سورة البقرة . آية ٢٠

(٣) أنظر ما كتبناه عند فصل « نزول القرآن على سبعة أحرف » .

القراءات لم تختلف في التشريع

وهـذه القراءات مهما تنوزع فيها ، وقيـل بشأنها ؛ فإنها لا تختلف فى الحدود ، ولا الفرائض ، ولا شىء من شرائع الإسلام – قل أو كثر – بل هى مما اقتضته الفطرة اللغوية ، واختلاف اللهجات والألسن ؛ مما قام وقت نزول القرآن ، ولم تعد للناس به حاجة ، خصوصا بعد إجماع عثمان وسائر الصحابة على تركه .

القراء فى صدر الإسلام

وقد اشتهر من القراء فى صدر الإسلام سبعة . وهم : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى . وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين .

أئمة قراء الشواذ

ومن عجب أن للقراءات الشاذة أئمة عَرَّفَ بهـم التاريخ والمؤلفون ؛ فهناك ابن شَنَبُوذَ المتوفى سنة ٣٢٨ ، وكان رجلا كثير اللحن ، قليل العلم ، فى سلامة[١] وحمق وغفلة ؛ فكان من أشهر قراء الشواذ .

ثم أخذ فى سبيله أبو بكر العطار النحوى المتوفى سنة ٣٥٤ ، وكان من أئمـة نحاة الكوفيين ، ومن أعرف الناس بالقراءات ، و إنما أفسد عليـه أمره أنه من نحاة الكوفيين . فخالف الإجماع ، واستخرج لقـراءته وجوها من اللغة والمعانى ما أنزل الله بها من سلطان .

فمن ذلك قراءته فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا[٢] ﴾ ، فإنه قرأها ﴿ نُجُبًا ﴾ ، فأزال بذلك الآية عن أحسن وجوه البيان العربى . وقد انفرد فى سائر قراءاته ؛ كعادة الكوفيين فى الرواية .

(١) أى أنه كان يعتقد صحة ما يقرأه ؛ رغم بطلانه عقلا ونقلا .
(٢) سورة يوسف . آية ٨٠

هذا وقد أورد ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أسماء كثيرة من أهل الشواذ فى كثير من الأمصار .

من قرأ القرآن بالمعنى متعمدا

وقد أجاز بعض المتقدّمين قراءة القرآن بالمعنى ، لمن لا يحسن القراءة ؛ ويسيء فهم بعض الكلمات .

فمن ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ أنه كان يلقن أعرابيا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾(١) . فكان الأعرابى يقول : ﴿ طَعَامُ الْيَتِيمِ ﴾ . فلما رأى عمر منه عدم استطاعة النطق بلفظ : ﴿ الْأَثِيمِ ﴾ . قال له : ﴿ طَعَامُ الْفَاجِرِ ﴾ . فقرأها الأعرابى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْفَاجِرِ ﴾ . على معنى أن الفاجر هو الأثيم ، والأثيم هو الفاجر .

عدم جواز القراءة بالمعنى

ولسنا فى هذا المقام ندعو الى قراءة القرآن بالمعنى ؛ فقراءته يجب أن تكون بألفاظه وحروفه التى نزل بها . ولكنا نريد أن نثبت أن القرّاء أبعد الناس عن فهم القرآن ، وأنهم يتعسفون كل التعسف ، و يخطئون كل الخطإ ، و يأثمون كل الإثم ؛ بتضييقهم على عباد الله ، و بتصعيبهم كلام الله ، وجعله مقيدا بقيود ثقيلة ، مشروطا بشروط مرهقة ما أنزل الله بها من سلطان .

جهل القرّاء

قد يقول بعض القرّاء : إن الذى حدا بك الى ما تقول ؛ هو جهلك بما نعلمه ، والإنسان بطبعه عدوّ لما يجهل .

وجوابى على هذا : أننى — بفضل الله تعالى — قد علمت ما تعلمون ، وفوق ما تعلمون ، ودرست ما درستموه ، وفوق ما تدرسون . ولكنكم

---

(١) سورة الدخان . آية ٤٣ و ٤٤

أنتم الذين تجهلون ما أقول ولا تفهمونه ، فأنتم الأعداء لما تجهلون وما تعلمون .

ويعلم الله تعالى والعقلاء أن القرآن الكريم ما نزل لنتلقاه عنكم ، ونأخذه منكم . بل لنأخذه عمن أنزل اليه، وكما أنزل اليه .

ولعلكم تقولون : هكذا أنزل، وهكذا الينا وصل ، فهو كما نتلوه عليكم بحركاته وسكناته، لا كما تقول أنت من التفريط والمساهلة .

وجوابى على هذا أيضا : أنى لا أطالب إلا بقراءته كما أراد منزله تعالى، وهو القائل : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [١] . وكما أراد من نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكما تنطق العرب بلهجاتها ولغاتها . وهم ينكرون الكثير مما تدّعونه من القراءات، كما بينا ونبين .

رأى الزمخشرى فى بعض القراءات

قال الإمام الزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » عند قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ [٢] :

وأما قراءة ابن عامر : ﴿ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء، على إضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشىء لو كان فى مكان الضرورات — وهو الشعر — لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد :

* زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَه *

---

(١) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠

(٢) سورة الأنعام . آية ١٣٧

فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن ، المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف : ﴿ شُرَكَائِهِمْ ﴾ مكتوبا بالياء[1] . ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء — لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم — لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب .

قلة ضبط الرواة وقلة دراية القراء

وقال الإمام الزمخشرى أيضا فى تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[2] :

ومدغم الراء فى اللام : ﴿ فَيَغْفِلِّمَنْ يَشَاءُ ﴾ لَاحِنٌ ، مخطئ خطأ فاحشا ، وراويه عن أبى عمرو ، مخطئ مرتين : لأنه يلحن ، وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم .

والسبب فى نحو هذه الروايات : قلة ضبط الرواة . والسبب فى قلة الضبط : قلة الدراية .

« انتهى كلام الزمخشرى بلفظه » .

والذى نستخلصه من كلام الإمام الزمخشرى رضى الله تعالى عنه : أن من القراءات المعتمدة ، التى بلغت مبلغ التواتر والصحة ؛ ما هو خارج عن المعقول ، وغير جائز لغة . بل وباطل سمج مردود .

ويؤخذ منه أيضا : أن الرسم الأول ، كان سببا فى خطإ ابن عامر . وهو أحد القراء السبعة ، المشهود لهم بالحفظ والدقة والدراية ، ومعرفة العربية .

---

(١) أى أن الذى حمل ابن عامر على الوقوع فى هذا الخطإ هو انحراف الرسم ، وكتابة لفظ « شركائهم » بالياء ، وأمثال ذلك كثير فى المصحف .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٨٤

فكيف بنا الآن بعامة هـذه الأمة فى هذا العصر ، حين نكلفهم بأخذ القـرآن عن هـذا الرسم العقيم ، و بهذا الإملاء السقيم ، وبهـذه القراءات الفاسدة المتناقضة .

انكار الأخفش لإحدى القراءات

وقد قال الأخفش — وهو من كبار أئمة العربيـة — حين سمع قراءة أبي عمرو لقوله تعالى : ﴿ فَرُهْنٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ (١) بإسكان الهاء : إنها قبيحة شاذة . كما أنكرها كثير من فضلاء المتقدّمين .

وجوب اتباع قراءة قريش

وقد علمت مما سبق آنفا أن عثمان رضى الله تعالى عنـه ؛ لم يكتب المصحف إلا خشـية الاختلاف فى القراءات ، والتغالى فيها ، وتفضـيل إحداها على الأخرى .

لذا وجب علينا اتباع القـراءة التى كتب عليها المصحف لا غير . وهى القـراءة التى تتفق ولغـة قريش — التى نزل بها القـرآن الكريم — حيث قال عثمان رضى الله تعالى عنـه لمن انتدبهم لكتابة المصحف ، من أجلاء القرّاء ، وكتبة الوحى : إذا اختلفتم فى شيء فردّوه الى لغة قريش ، فإنما نزل القرآن بلسانها .

لم يجمع عثمان القرآن إلا لتوحيد القراءة

وعثمان رضى الله تعـالى عنه ، لم يجمع القرآن الكريم ؛ لغرض جمعه بعد أن كان مفرقا ؛ بل بقصد جمع الناس على قراءة واحدة .

و إنمـا جمعه أبو بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه .

---

(١) سورة البقرة . آية ٢٨٣ ، والقراءة المشهورة : « فرهان مقبوضة » .

(٢) أنظر ما كتبناه فى « جمع القرآن فى زمان أبي بكر رضى الله تعالى عنه » .

قال الحارث المحاسبي : المشهور عنـد الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ؛ إنمـا حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار وقع بينـه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار ، لمـا خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات[١] .

فأما قبل ذلك ؛ فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات ، على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن .

فأما السابق إلى جمع الجملة ؛ فهو الصدّيق رضى الله تعالى عنه .

وقـد قال علىّ كرم الله وجهه : لو وليِّت ؛ لعملت بالمصاحف الذى عمل بها عثمان[٢] .

من أين بدأ الاختلاف فى القراءات

و يرجع تاريخ الاختلاف فى القراءات ، إلى زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وهو الذى حدا بعثمان رضى الله تعالى عنه إلى كتابة مصحفه ، وجمع الناس على قراءة واحدة .

إجماع الصحابة على قراءة واحدة

وقد أخرج ابن أبى داود — بسند صحيح — عن سُوَيْدِ بن غَفَلَةَ ، قال : قال على رضى الله تعالى عنـه : لا تقولوا فى عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف ، إلا عن مَلَإٍ مِنَّا . قال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك . وهذا يكاد يكون

---

(١) أنظر ما كتبناه فى « اختلاف الناس فى القراءات » .

(٢) أى : لو وليت الخلافـة ؛ لعملت فى المصاحف مثل عمل عثمان بها ، من توحيـد القراءة ، وجمع الناس عليها ، ورفض ما عداها .

كفرا . قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنِعم ما رأيت !

وجوب الدعوة الى قراءة واحدة

ولسنا نحن بأفضل من عثمان ، ولا بأعلم منه ، ولن يسعنا — وقد بلغ الاختلاف فى القراءات الآن حدّا لا مزيد عليه — إلا ما وسع عثمان رضى الله تعالى عنه ، فى الدعوة إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وفى مصحف واحد .

سبب جمع أبي بكر للصحف

وقد قال كثير من أئمة المحدثين بأن جمع أبى بكر رضى الله تعالى عنه للصحف ، إنما كان خشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حَفَظَتِهِ ، لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد ، بل كان متفرّقا ؛ فجمعه فى صحائف ، ورتب آياته وسوره ، على ما وقفهم عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

سبب جمع عثمان للصحف

أما جمع عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلم يكن إلا لكثرة اختلافهم فى وجوه القراءة ، حتى أنهم قرأوه بسائر لغاتهم ، على اتساع تلك اللغات ؛ فأدّى ذلك إلى اختلافهم ، وتخطئة بعضهم بعضا ، فلما خشى عثمان تفاقم الأمر ، واختلافهم على الكتاب المجيد ، كما اختلفت اليهود والنصارى على كتبهم جمع المصحف مقتصرا على لغة قريش ، محتجا بأنه قد نزل بلغتهم ، و إن كان قد وُسِّع فى قراءته بلغة غيرهم ، دفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر .

وقد رأى عثمان أن الحاجة لتلك التوسعة قد انتهت ، ولم تعد فائدة فى بقائها ، ولم يبق إلا ما خلفته من ضرر محقق ، وهو الاختلاف ؛ فاقتصر على لغة واحدة .

وجوب اتباع رأى عثمان

وليس لإنسان ، كائنا من كان ، أن يضرب برأى عثمان بن عفان عرض الحائط — وهو من أجلاء الصحابة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، الواجب الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم — وينادى بوجوب قراءة القرآن بالقراءات المختلفة ، واللغات المتباينة ، واللهجات التى بادت قبائلها ، ولم يوجد منها متكلم ، وليس لها سامع ولا فاهم .

زعم القراء بأن اختلاف رسم المصحف لأوجه القراءات

قد يقول قائل : إن عثمان رضى الله تعالى عنه قد كتب المصحف برسم وهجاءٍ ، يحتمِل الكثير من القراءات المعتمدة المتواترة .

وجوابنا على هذا : أن سبب كتابة عثمان للمصحف ؛ هو رغبته فى توحيد القراءة لاختلاف المسلمين فيها ، وخشية تطاول هذا الاختلاف ، فيكون كاختلاف اليهود والنصارى .

فلا يعقل أن يهرب من اختلاف القراءات ، الى اختلاف أشدّ منه فى القراءات . و إذا قلنا بذلك ؛ فما معنى تصريحه لكاتبى المصحف بأنهم إذا اختلفوا فى شىء فليردّوه الى لغة قريش ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل تعدّاه الى أنه رضى الله تعالى عنه أحرق ما عدا ذلك من الصحف المدوّن بها اختلاف القراءات . وعلى هذا أجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا .

وقد كان القرآن الكريم مجموعا من عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه — كما قدّمنا — ولا حاجة لإعادة جمعه من جديد . بل الذى فعله عثمان هو توحيد القراءة فقط ، و إيجاب قراءة واحدة بلغة قريش .

قد يقول بعض القرّاء : إن القراءات نفسها داخلة فى لغة قريش .

وجوابنا على هذا : قد يكون ما يقولونه حقا ، إلا أن ثمة اختلاف فى القراءات بين قريش نفسها ، على عهد عثمان رضى الله تعالى عنه ، وقد سعى لإزالة أسباب هذا الاختلاف ، بتوحيد القراءة ، بموافقة جل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، كما بينا .

والذى حدا ببعض القرّاء إلى قراءة ما يقرأونه ، هو اختلاف رسم المصحف .

اختلاف رسم المصحف أدّى الى اختلاف القرّاء

فقد التبس على بعضهم رسم بعض الكلمات بالياء ، مكان الألف ، كقوله تعالى : ﴿ مَجْرِيهَا ﴾ و ﴿ مُوسَى ﴾ و ﴿ يَحْيَ ﴾ و ﴿ الضُّحَى ﴾ و ﴿ سَجَى ﴾ و ﴿ قَلَى ﴾ و ﴿ يَغْشَى ﴾ و ﴿ تَجَلَّى ﴾ و ﴿ الْأَشْقَى ﴾ و ﴿ الْكُبْرَى ﴾ (١) و ﴿ ضُحَيهَا ﴾ و ﴿ تَلَيهَا ﴾ (٢) . وأمثال ذلك . فأراد أن يتوسط بين الألف والياء ، فأمال ، واتبعه الكوفيون (٣) .

الإمالة

وأخرج ابن أشتة عن أبى حاتم ، قال : احتج الكوفيون فى الإمالة بأنهم وجدوا فى المصحف : الياءات فى موضع الألفات ، فاتبعوا الخط وأمالوا ، ليقربوا من الياءات .

---

(١) جميع هذه الكلمات ترسم إملاء بالياء ، وتنطق بالألف . ولعل القارئ الذى قرأ بالإمالة غاب عنه ذلك ، فأمال كل ما هو مرسوم بالياء ، منطوق بالألف .

(٢) هكذا رسمت فى المصحف . وصحتها فى الإملاء : « ضحاها وتلاها » .

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى وغيرهما .

أما من قال من القرّاء بأن الفتح لغـة أهل الحجاز ، والامالة لغـة أهل نجد ؛ فهو غير صادق فى دعواه . وها هى نجد تنطق بالفتح ، وليس فيها من يميل مطلقا ، وهكذا تلقوا لغتهم عن آبائهم وأصولهم .

رأى الزركشى فى القرآن والقراءات

قال الإمام الزركشى فى كتابه « البرهان » :

القرآن والقراءات : حقيقتان متغايرتان . فالقـرآن : هو الوحى المنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، للبيان والإعجاز .

والقراءات : اختـلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحـروف وكيفيتها ؛ من تخفيف وتشديد وغيرهما .

تواتر القراءات السبع

والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة . والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة [1] .

أما تواترها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه نظر .

« انتهى كلام الزركشى »

وقول الزركشى : ان تواتر القراءات عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه نظر . دليل على أن القراءات متواترة من أصحابها إلينا فقط .

أما تواترها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم ؛ فهو ما لا يوافق عليه ، ولا يقرّه ، أو هو على الأقل موضع شك ، و بحث ، ونظر .

القراءات لا يجوز قـراءتها على غير أهلها

وليس فيما قدّمنا منقصة ، أو طعن فى القراءات الصحيحة الثابتـة ، فحاشا أن ننكر ما أجمعت عليه الأمة .

---

(١) يعنى بهم القرّاء السبعة .

إلا أن القراءات : إذا صح بعضها ، بالإجماع عليها ، وتواترِ روايتها ، وجاز تلقيها وعلمها وحفظها ؛ فإنه لا يجوز أن تقرأ على غير أهلها — وأين هم ؟ — إذ ليس من الحكمة فى شىء ، أن نجعل ما أنزله الله تعالى للتيسير على عباده ؛ سببا فى التعسير عليهم .

منع القراءة بما يخالف خط المصحف

وقد قال أبو محمد مكى بن أبى طالب فى كتابه « الإبانة » : ومنع عثمان رضى الله تعالى عنه القراءة بما خالف خط المصحف ، وساعده على ذلك زهاء اثنى عشر ألفا من الصحابة والتابعين ، وكان المصحف قد كتب بلغة قريش ، وعلى حرف واحد ، ليزول الاختلاف بين المسلمين .

نزول القرآن على سبعة أحرف

اختلاف عمر مع هشام فى القراءة

روى البخارى فى صحيحه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ فى صلاته سورة الفرقان ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ قراءة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكدت أُسَاوِرُه (١) فى الصلاة . فصبرت حتى سلم ، فَلَبَّبْتُه بردائه (٢) ، وقلت : من أَقْرَأَكَ هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أَقْرَأَنِيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أرسِله (٣) . وقال له : اقرأ ياهشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال لى : اقرأ ياعمر . فقرأت القراءة التى أقرأنى . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك أنزلت « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » .

---

(١) أساوره : أى آخذ برأسه .

(٢) فلببته بردائه : أى جمعت ثوبه عند نحره . كما يفعل الناس بأعدائهم عند الخصومة . والمعنى : أنه خنقه بثوبه ، حنقا وغيظا .

(٣) أرسله : أى اتركه . ودع إمساكك بخناقه .

رأى أبي عبيد فى نزول القرآن على سبعة أحرف

قال أبو عبيد : معنى « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » : أى أنزل على سبع لغات ، لسبع قبائل . وهم : قريش ، وكنانة ، وأسـد ، وهذيل ، وبنو تميم ، وضبة ، وقيس .

وهم الذين انتهت إليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدَّخَلِ بسبب مخالطة الأعاجم .

رأى الكرمانى فى ذلك

وقال الإمام الكرمانى فى شرحه على البخارى ، عند ذكر هذا الحديث : وسبعة أحرف : أى لغات . وقيـل : الحرف الإعراب . يقـال : فلان يقـرأ بحرف عاصم . أى بالوجه الذى اختاره من الإعراب . وقال الأكثرون : هو حصر فى السبعة . وقيل : هو فى صورة التلاوة من إدغام ، وإظهار ، ونحوهما . ليقرأ كل بما يوافق لغته ؛ فلا يكلف القرشى : الهمز . ولا الأسدى : فتح حرف المضارعة . وقيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها .

« انتهى كلام الكرمانى »

رأى القاضى عياض

وقال القاضى عياض : هى توسعة ، وتسهيل ، لم يقصد به الحصر .

رأى ابن قتيبة

وقال ابن قتيبة : قد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات ، فوجدتها سبعة أحرف :

اختلاف القراءة بغير تغيير معناها وبقاء صورة الكتابة

أولهـا : الاختلاف فى إعراب الكلمة ، وفى حركات بنائها ؛ بمـا لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة ، ولا يغير معناها .

نحو قوله تعـالى : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (١) و ﴿ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة هود . آية ٧٨ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٢) وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .

و ﴿هَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ و ﴿هَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾(٢) . و ﴿يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾(٣) و ﴿بِالْبَخَلِ﴾(٤) . و ﴿نَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾(٥) و ﴿إِلَى مَيْسُرَةٍ﴾(٦) .

اختلاف القراءة مع تغيير المعنى وبقاء صورة الكتابة

والوجه الثانى : أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة ، وحركات بنائها ، بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتابة :

نحو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ و ﴿رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٨) . و ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾(٩) و ﴿تَلِقُونَهُ﴾(١٠) . و ﴿ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(١١) و ﴿بَعْدَ أَمَهٍ﴾(١٢) .

---

(١) سورة سبأ . آية ١٧ ، وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .

(٢) وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٣) سورة النساء . آية ٣٧ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٤) وهى قراءة حمزة ، والكسائى ، وخلف .

(٥) سورة البقرة . آية ٢٨٠ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٦) وهى قراءة نافع .

(٧) سورة سبأ . آية ١٩ بصيغة الطلب والدعاء . وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٨) بصيغة الماضى . وهى قراءة يعقوب . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام «بعد» بتشديد العين المكسورة ، من التبعيد .

(٩) سورة النور . آية ١٥ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(١٠) ولق : بفتح اللام . يلق بكسرها : أسرع . و«إذ تلقونه بألسنتكم» بكسر اللام أى : تسرعون فى قراءته بألسنتكم . وهى قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء .

(١١) سورة يوسف . آية ٤٥ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(١٢) الأمه : بفتح الألف والميم : النسيان . وهى قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وهى شاذة لم يقرأ بها أحد .

اختلاف القراءة مع تغيير المعنى والحروف وبقاء صورة الكتابة

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة، دون إعرابها، بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها:

نحو قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ (١) و﴿نُنْشِزُهَا﴾ (٢).

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (٣) و﴿فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (٤).

اختلاف القراءة بتغيير صورة الكتابة وعدم تغيير المعنى

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتابة، ولا يغير معناها:

نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (٥)، و﴿زَقْيَةً وَاحِدَةً﴾ (٦) و﴿كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٧)، و﴿كَالْعِهْنِ﴾ (٨).

اختلاف القراءة بتغيير المعنى وصورة الكتابة

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها:

نحو قوله عز وجهه: ﴿وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾ (٩) فى موضع ﴿طَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ (١٠).

---

(١) سورة البقرة. آية ٢٥٩، و «ننشرها» أى: نحييها. وهى قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما. و «أنشره» الله تعالى: أحياه. ومنه قوله تعالى: «ثم إذا شاء أنشره».

(٢) «النشز» بسكون الشين: المكان المرتفع. و «إنشاز» عظام الميت: رفعها إلى مواضعها، وتركيب بعضها على بعض. وهى القراءة المشهورة «حفص».

(٣) سورة سبأ. آية ٢٣، وهى القراءة المشهورة «حفص».

(٤) وهى قراءة شاذة، لم يقرأ بها أحد.

(٥) سورة يس. آية ٢٩، وهى القراءة المشهورة «حفص».

(٦) «زقية»: أى صيحة. وهى قراءة شاذة، لم يقرأ بها أحد من القرّاء.

(٧) سورة القارعة. آية ٥، وهى قراءة شاذة.

(٨) «العهن»: الصوف. وهى القراءة المشهورة «حفص».

(٩) سورة الواقعة. آية ٢٩، «والطلع»: ما يطلع من النخلة، ثم يصير تمرا. وهى قراءة شاذة، لم يقرأ بها أحد.

(١٠) «الطلح المنضود»: الموز المرصوص. وهى القراءة المشهورة «حفص».

اختلاف القراءة بالتقديم والتأخير

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير .

نحو قوله عز وجل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ (١) فى موضع ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (٢) .

اختلاف القراءة بالزيادة والنقصان

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان .

نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٣) . ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٥) . و ﴿ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦) .

وقرأ بعض السلف ، رضوان الله تعالى عليهم : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى ﴾ (٧) . و ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا ﴾ (٨) .

« انتهى كلام ابن قتيبة »

رأى الباقلانى فى السبعة أحرف

وحكى الباقلانى عن بعض العلماء : أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء :

منها ما تتغير حركته ، ولا تتغير صورته ولا معناه . مثل : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ . ﴿ وَيَضِيقَ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة ق . آية ١٩ ، وهى قراءة شاذة .

(٢) وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٣) سورة يس . آية ٣٥ ، وهى قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائى .

(٤) وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٥) سورة لقمان . آية ٢٦ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٦) وهى قراءة نافع ، وابن عامر .

(٧) سورة ص . آية ٢٣ ، وهى قراءة شاذة . والقراءة المشهورة بدون لفظ « أنثى » .

(٨) هى ليست بقراءة ، وإنما هو تفسير كتبه الكاتب . فظن الناقل أنه من القرآن خطأ .

(٩) سورة الشعراء . آية ١٣ ، والقراءة المشهورة بالرفع . وقرأ يعقوب بالنصب ، على أنه عطف على « أن يكذبون » .

ومنها ما لا تتغير صورته، ويختلف معناه . مثل : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ . و ﴿ بَاعَدَ ﴾[١] .

وقد يكون الاختلاف فى الصورة والمعنى بالحرف . مثل : ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾ . و ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾[٢] .

أو بالكلمة مع بقاء المعنى . مثل : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ ﴾[٣] .

أو باختلاف الكلمة ، واختلاف المعانى . مثل : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ . و ﴿ طَلْعٍ مَنْضُودٍ ﴾[٤] .

أو بالتقديم والتأخير . مثل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ . و ﴿ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾[٥] .

أو بالزيادة . مثل : ﴿ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى ﴾[٦] . ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾[٧] ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٨] .

« انتهى كلام الباقلانى »

(١) سورة سبأ . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « باعد » بصيغة الطلب والدعاء . و « باعد » بالفعل الماضى ، قراءة يعقوب .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، وهى قراءة ابن عباس ، والقراءة المشهورة بالزاى .

(٣) سورة القارعة . آية ٥ ، والقراءة المشهورة « كالعهن » والصوف : هو العهن أيضا .

(٤) سورة الواقعة . آية ٢٩ ، والقراءة المشهورة « وطلح » بالحاء . أما بالعين فقراءة شاذة .

(٥) سورة ق . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « سكرة الموت بالحق » أما الأخرى فشاذة .

(٦) سورة ص . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « أنثى » .

(٧) سورة الكهف . آية ٨٠ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « كافرا وكان » .

(٨) سورة النور . آية ٣٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « لهن » .

ما قيل فى معنى الأحرف السبعة

وقال قوم : إنها : الحلال، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ، والإنشاء، والإخبار .

وقال غيرهم : إنها : الناسخ ، والمنسوخ ، والخاص ، والعام ، والمجمل ، والمبين ، والمفسر .

وقال آخرون : إنها : الأمر ، والنهى ، والطلب ، والدعاء ، والخبر، والاستخبار ، والزجر .

وقال جماعة : إنها : الوعد ، والوعيد ، والمطلق ، والمقيد ، والتفسير ، والإعراب ، والتأويل .

القراءات ليست هى السبعة أحرف

وقد زعم بعض القرّاء : أن معنى حديث « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » هو القراءات السبع .

وهذا القول إن دل على شيء ، فلا يدل إلا على سعة جهل قائليه ، وقلة تبصرهم .

قال أبو شامة : ظنّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن ، هى التى أريدت فى الحديث . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل .

وقال مكى : من ظنّ أن قراءة هؤلاء القرّاء ؛ كنافع ، وعاصم ، وأمثالهم ؛ هى الأحرف السبعة التى فى الحديث ، فقد غلط غلطا عظيما .

كانت القراءات للتيسير

والذى يدل تمام الدلالة على أن القراءات لم تكن إلا للتيسير : مارواه الترمذى، عن أُبَيّ بن كعب رضى الله تعالى عنه . قال : « لَقِيَ رَسُولُ اللهِ

صلى الله تعالى عليهِ وسلم جِبريلَ ، فقال : يا جِبرِيلُ إنِّى بُعِثْتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ ، منهمُ العَجُوزُ ، والشَّيْخُ الكَبِيرُ ، والغُلَامُ ، والجَارِيَةُ ، والرجُلُ الَّذِى لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ . قال : يامحمد إنَّ القرآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » .

ومعنى ماتقدم من الأحاديث فى هذا الباب : أن القرآن قد أنزل بسبعة أوجه ؛ وذلك بسبب اختلاف ألسنتكم ، ولهجاتكم ، وضعفكم ، وأميتكم . فاقرأوا ما تيسر لكم من هـذه الأوجه ، وما كان سهلا عليكم ، قريبا من نطقكم وفهمكم .

وذلك لأنه لو أراد كل فريق من المسلمين ، أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا ، وناشئا ، وكهلا ؛ لاشتدّ ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيـه ، ثم لم يمكنه ذلك ؛ إلا بعـد رياضة طويلة للنفس ، وتذليلٍ للسان ، وقطع للعادة . فأراد الله عز وجل بلطفه ورحمته : أن يجعل لهم متسعا فى اللغات ، ومتصرفا فى الحركات ، كتيسيره عليهم فى الدين .

ومن عجب أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : «فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنـه»[(١)] . ونحن نأبى إلا أن نقرأ ما تعسر منه على ألسنتنا ، وشذ على أسماعنا ، وشق على أفهامنا .

قـراءة القـرآن حسب الاستطاعة

ويؤخذ أيضا من معانى الأحاديث التى تقدمت فى هذا الباب ، ومما قدّمناه : أن هذه القراءات ، جعلت للتسهيل والتيسير .

---

(١) هو بحرفه فى الحديث الذى قدّمناه فى « اختلاف عمر مع هشام بن حكيم فى القراءة » وهو بلفظه فى القرآن الكريم سورة المزمل . آية ٢٠

بل وأكثر من هذا فقد جاء فى الحديث الأخير، الذى رواه الترمذى، ما يفيد جواز قراءة الأمى — الذى لم يقرأ كتابا قط — للقرآن، قدر طاقته وحسب استطاعته.

ويكون المقروء قرآنا، له حرمته ومكانته. ويصح العمل به، والتعبد بتلاوته.

وبهذا يبطل ما يدّعيه القرّاء، من وجوب القراءة بطرق معينة، ومدود مقدّرة، وقلقلة، وإدغام، وإشمام. إلى غير ذلك مما هو مدوّن فى كتبهم أراحنا الله تعالى منها.

تضييق القرّاء وتعسفهم

وقد بلغ من تضييق القرّاء وتعسفهم: أن جعلوا القرآن الكريم، السهل، السمح، الميسر للتدبر والتفكر: صعبا، شديدا، مغلقا، مبهما.

لقد شدّدوا تشديدا كبيرا، وضيقوا تضييقا بالغا، بدرجة جعلت قراءة القرآن وقفا عليهم هم. فى حين أنه قد نزل لسائر الناس، وطلب العمل بما فيه من سائر الناس.

لقد صعبوا كتابته، وتلاوته، والنطق به. مع أنه لم يزد عن كونه كلاما عربيا، يتركب من الأحرف التى يتركب منها سائر كلام العرب، ويُنْطَقُ به كما تنطق العرب بكلامها: ﴿ الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ، الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ، المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ (١).

---

(١) أى: إن هذا الكتاب المعجز، وتلكم الآيات البليغة: لا تخرج عن كونها مكوّنة من أحرف كحروفكم تماما: من ألف، ولام، وميم. وألف، ولام، وراء. وألف، ولام، وميم، وراء، وهكذا.

وقد بلغ من تضييقهم : أن جعلوا بآخر المصحف[١] تعريفا لإرشاد القراء إلى الأحرف المـزيدة ، والأحرف التى تزاد وصـلا لا وقفا ، والإدغام ، والإشمـام ، والإخفاء ، والمـد ، والإمالة . إلى ما لا نهاية له من العنت والضيق ، والتحكم .

وسنورد مثالا لذلك ليعلم القارئ الحكيم ، مقدار عبثهم واستبدادهم :

الإشمام

جاء فى تعريف الإشمام — بآخر المصحف — ما يأتى :

ووضع النقطة الخالية الوسط ، فوق آخر الميم ، قبيل النون المشدّدة ، من قوله تعالى : ﴿ مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[٢]. يدل على الإشمام . وهو ضم الشفتين ، كمن يريد النطق بضمة ، من غير أن يظهر لذلك أثر فى النطق .

فبربك أيهـا القارئ المنصف : ما لزوم ضم الشفتين ، كمن يريد أن ينطق بضمة ، من غير أن يظهر أثر ذلك فى النطق ؟

أيريد القرّاء أن يقوم المسلمون — أثنـاء تلاوتهم قانونهم الأسمى ، وكتاب ربهم الأعلى — بحركات بهلوانيـة ، غير مفهومة ، وغير معلومة . بل وغير لازمة ، كحركات القردة والمهرجين ؟

وإلا فمـا معنى أن ينطق الإنسان بالحرف مفتوحا ، ثم يمط شفتيه كمن يريد أن يضم الحرف ، بشرط ألا يظهر أثر ذلك الوضع العجيب فى النطق ؟

---

(١) وهـو المصحف الذى طبع بمصر ، وأشرف على طبعـه ووضعه شيخ المقارئ السابق المرحوم الشيخ محمد خلف الحسينى .

(٢) سورة يوسف . آية ١١

ما يقوله القراء باطل مردود

إننى أقولها فى صراحة الحق ، وجرأة المحق : إن ما يقولونه — ويريدون أن يلزموا به سائر المسلمين — باطل ، مردود ، سمج ، مرذول ، ممجوج . لا يرضى به منزل القرآن جل وعلا ، ولا من نزل عليه القرآن ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، ولا من نزل إليهم القرآن من العقلاء المكلفين .

وهو من العبث ، الذى يجب أن تصان عنه أفعال الراشدين .

رأى كبار القراء فى قراءة القرآن ورسمه

ومن العجيب أن يصرح شيخ المقارئ المصرية السابق(١) — فى مؤلف له — بأن أخذ القرآن من المصحف لا يجوز ، ولو كان مضبوطا .

وهذه جرأة عظيمة على الحق ، واحتكار لكتاب الله تعالى الذى أنزل للعامة قبل الخاصة ، وللجهال قبل العلماء ، وللأشقياء قبل الأتقياء .

وقد قرأت له أيضا مقالا بجريدة الأهرام الصادرة فى ٢٧ شوال عام ١٣٥٦ ذكر فيه ما نصه :

ولا يخفى أن الشىء ينعدم بانعدام ركنه ، فلا يكون المكتوب بغير الرسم العثمانى ، ولا المتلو بدون مشافهة ، ممن تلقاه بالسند المتصل بالحضرة النبوية ، قرآنا . وتاليه كذلك آثم ، لأنه أخرجه عن قرآنيته .

« انتهى كلام الشيخ رحمه الله »

وهو بقوله هذا يقرر أن المكتوب فى سائر المصاحف — عدا المصحف الذى قام بوضعه — ليس قرآنا ، وأن القارئ فى المصحف — سواء فى ذلك المصحف العثمانى أو غيره — ليس بقارئ للقرآن ، ولا يكون القرآن

---

(١) هو المرحوم الشيخ محمد خلف الحسينى ، الذى أشرف على إخراج المصحف الجديد برسمه الحالى .

قرآنا ؛ إلا إذا تلقيناه عن أحد شيوخ المقارئ ، أو من فى حكمهم ، وأن القرآن لا يكون قرآنا ؛ إلا إذا كتب بالرسم الذى ابتدعه شيخ المقارئ ابتداعا ، واخترعه اختراعا ، وأراد أن يلزم به المسلمين قاطبة ، ويضطرهم إليه .

وهذا ما لم يقل به أحد ممن يُعْتَدُّ برأيه ، ويُهتَدَى بِهَدْيِهِ .

نسخ المصحف بسائر الأقطار ليست كمصحفنا

وها هى دار الكتب المصرية ، ودور الكتب العامة فى سائر الأقطار والأمصار ، ملآى بنسخ من المصحف الكريم ، يرجع تاريخها إلى أقدم العصور ، وخير القرون . ولا توجد بها هذه الأوضاع السقيمة ، وتلك الرموز العقيمة .

وكيف يجوز لإنسان بالغا ما بلغ ، وكائنا من كان ؛ أن يجعل القرآن المكتوب — على غير ما رسمه هو — ليس بقرآن ، والقرآن المتلو — على غير تلاوته هو — ليس بقرآن .

كيفية قراءة القرآن

وليس معنى هذا : أنا نجيز قراءة القرآن لمن لم يتعلم القراءة والكتابة على وجهها الأكمل ؛ فمثل هذا لا تصح قراءته للقصص والجرائد — فضلا عن القرآن الكريم — أما من استطاع القراءة فى الكتب العربية وتفهمها ، فلا حرج عليه مطلقا ، فى أن يقرأ القرآن جهد طاقته ، وأن يتعبد بتلك القراءة ، وأن يقرئها غيره ، من الأميين الذين لا يقرأون ، ولا يكتبون .

تنطع القرّاء فى مخارج الحروف

من المعلوم بالضرورة : أن الحروف ما جعلت إلا لتتكون منها الكلمات ، والكلمات ما جعلت إلا للدلالة على معان مخصوصة . وليس للحروف ، ولا للكلمات وظائف غير ذلك .

فمن التنطع السمج ، والتعسف البارد : أن يتمسك القرّاء بمخارج خاصة للحروف، غير المخارج الطبيعية، بدرجة لا تمكن الإنسان من النطق . اللهم سوى من روّض نفسه ، وعوّد لسانه، على إخراج أحرف معينة، بصعوبة شديدة، ليس من الدين ، ولا من القرآن فى شىء ؛ التمسك بها ، وإبطال ما عداها .

أثر تعسف القرّاء فى صلاة العامة

وإذا شئت أيها المتأمل المنصف، دليلا على ما أقول، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس فى صلاتهم، عند ما يصلون من الفاتحة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنك تجد أكثرهم وقد ردّدها هكذا «ولَاَ الضْـ... وَلَاَ الضْـ... وَلَاَ الضْـ ... » وهكذا يظل يردّد ، إلى أن يفتح الله تعالى عليه بإخراج باقى الكلمة، لا من لسانه فقط، ولا من فمه وحلقه فحسب ؛ بل من قعر بطنه . ويصير مثله فى ذلك ، كمثل من يريد أن يتقايأ ، لا أن يقرأ القرآن ، ويتقرّب للرحمن .

ويظل المصلى فى صلاته هكذا : يراعى مخارج الحروف المتعسفة . كأنه يشتغل بصناعة فنية ، متعبة ، مؤلمة . حتى يخرج بذلك عن معنى الصلاة ، وعن معنى قراءة القرآن ، وعن معنى العبادة ، وعن معنى الوقوف بين يدى الله تعالى . وتنصرف عنه ، وعن قلبه ، وعن ذهنه كل هاتيك المعانى ، ولا يبقى معه سوى الصناعة الرديئة ، والإجادة المتكلفة .

وعلم الله تعالى، أن هذه ليست بصناعة ولا بضاعة، وليست بإجادة ولا إفادة .

وهل من القرآن : الخروج عن معانى القـرآن ، والتمسك بألفاظه ومخارج حروفه ؟

وهل من العبادة : الانشغال عن لب العبـادة ، والتمسك بقشورها ؟

وهل من آداب الوقوف بين يدى الله تعالى : الانصراف عنه بمثل هذه الصورة، التى تدل على عدم المعرفة به، والجهل بآداب الوقوف بين يديه ؟

رأى الغزالى

قال الغـزالى رضى الله تعالى عنـه : أكثر النـاس قد مُنِعوا من فهم القرآن ؛ لأسباب وحُجُبٍ سـدلها الشيطان على قلوبهم ، فعُمِّيَتْ عليهـم عجائب أسرار القرآن .

صرف الشيطان عن معانى القرآن

منهـا : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف ، بإخراجها من مخارجها ، وهذا يتولاه شيطان وكل بالقرّاء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله تعـالى .

فلا يزال يحملهم على ترديد الحـروف ؛ يُخَيِّلُ إليهم أنهـا لم تخرج من مخارجها . فلهذا يكون تأملهم مقصورا على ذلك ،فأنَّى تنكشف لهم المعانى؟

وأعظم ضحكة للشيطان : من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس .

تلاوة القرآن حق تلاوته

ثم قال : وتلاوة القـرآن حق تلاوته : أن يشترك فيـه اللسان ، والعقل ، والقلب .

فحظ اللسان : تصحيح الحروف، وحظ العقل : تفسير المعانى، وحظ القلب : الاتعاظ ، والتأثر ، والانزجار ، والائتمار .

فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ .

تجويد القرآن

وقد أجمع علماء القراءات، على أن التجويد: هو عدم الإخلال بالمعنى والإعراب (١) .

وهذا بخلاف ما يزعمه قرّاء اليوم، من أن التجويد: هو ما يزعمونه من الغنّ، والمدّ، والقلقلة، والإشمام، وغيره .

ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم "رُبَّ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرآنُ يلعنه" .

وقد غاب عنهم أن القرآن يلعن غير العاملين به وبأحكامه، ويلعن أيضا المنشغلين عن معانيه ومبانيه، وأوامره ونواهيه؛ بخزعبلاتهم وتُرَّهَاتِهِم .

تعسف القرّاء في التسهيل

وهناك ما أسموه تسهيلا . وهو من أصعب الصعب: فلو أن مسلما قرأ في مصحفهم قوله تعالى: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ﴾ (٢) بإظهار الهمزتين، أو ﴿آعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ﴾ (٣) بإبدال الهمزة الثانية ألفا: يكون في نظرهم مخطئا وآثما (٤) .

وذلك لأن القرّاء يحتمون — وأقول القرّاء، لأنني على تمام اليقين أن هذا التحتيم من القرّاء فحسب، لا من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا من منزل القرآن جل وعلا — يحتمون قراءة هذا اللفظ؛ بهيئة مخصوصة، ونطق معين، لا يستطيع أداءه سواهم . وهذا ما لم يقل به أحد من عقلاء المؤمنين .

---

(١) وقد قال بذلك: شيخ الاسلام زكريا الأنصارى وغيره .

(٢) سورة فصلت . آية ٤٤، وهى قراءة حمزة، والكسائى، وشعبة .

(٣) وهى قراءة ورش .

(٤) وذلك بالنسبة لقراءة حفص .

فالقرّاء يريدون أن ينطق المسلمون جميعا بهـذه الكلمة — كما رسموها في مصحفهم — هكذا : ﴿ أَأَعْجَمِيٌّ ﴾ (١) بشرط ألا يكون نطقها ﴿ أَأَعْجَمِيٌّ ﴾ (٢) باظهار الهمزتين ، ولا ﴿ آعْجَمِيٌّ ﴾ (٣) بتسهيل همزة الاستفهام ، ولا ﴿ أَهَعْجَمِيٌّ ﴾ (٤) بإبدال الهمزة الثانية هاء ، ولا ﴿ أَعْجَمِيٌّ ﴾ (٥) بإسقاط الهمزة الأولى .

وإني أتحدّى سائر القرّاء أن يوجدوا لنا واحدا من البشر ؛ يستطيع أن ينطق هذه الكلمة كما يريدون .

وحيث اننا وصلنا إلى هذه الدرجة من التعسف ، والمشقة ، والعنت ؛ فلا أقل من أن نجاهر بأن هذا لا يرضى به الله تعالى ؛ وقد أنزل كلامه لسائر البشر . فـلا يرضيه أن يظل القرآن موقوفا على طائفـة مخصوصة ، لا يبلغ عددها واحدا في كل عشرة من الملايين . وهو القائل : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (٦) .

ولا يخفى أن معنى تيسيره : تيسير قراءته ، وتيسير فهمه ، وتيسير كتابته ، وتيسير نطقه ، وتيسير حروفه .

وتعالى الله من أن يكلف عباده ما يحرجهم ، أو يشق عليهم .

تعسف القرّاء في المدّ وغيره

وترى القرّاء — أثابهم الله — يلزمون القارئين للقرآن ؛ بأشياء مرهقة ، لم ينزل الله تعالى بها سلطانا : كالإظهار ، والإدغام ، والإقلاب ، والإخفاء ،

(١) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
(٢) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وشعبة .
(٣) وهي قراءة ورش .
(٤) لم يقرأ بها أحد من العشرة . (٥) وهي قراءة ابن عامر برواية هشام .
(٦) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠

والإشمام . وغير ذلك مما لا حاجة لأحد فى حفظ اسمه ؛ فضلا عن إتقانه وعلمه ، ودراسته وإجادته .

المبالغة فى المدّ

ويلزمونهم أيضا بمدود معينة ، قد وزنوها بموازين فى أدمغتهم ، ليس لها أصل فى العلم أو الدين ، ولم يقل بها أحد من السلف الصالح ، أو الخلف الراشد .

ويفرطون فى هذه المدود إفراطا معيبا ، بل ويجعلونها واسطة لأداء النغمات على وجهها ، ضاربين صفحا عن صحة الأداء ، وإظهار معانى الكلمات ، مضيعين بذلك بهجة الألفاظ ورونقها .

فمن ذلك إفراطهم فى المدّ الذى قبل الهمز ؛ وهو فى الواقع لا أصل له إطلاقا . بل كل ما يطلب من القارئ أن يمدّ بالقدر الذى يكفى لإظهار الهمز ، وإخراجه من مخرجه . وهذا لا يحتاج إلا لمدّ قليل جدا ، لا يبلغ عشر ما يفعلونه ، وما هو مدوّن فى كتبهم .

المدّ المتصل

ويقرّرون أن من هذه المدود ، ما هو متصل : وهو الذى يقع قبل الهمزة متصلا بها فى نفس الكلمة . نحو : ﴿ جَاءَ ﴾ ، و ﴿ قُرُوءٍ ﴾ ، و ﴿ سَمَاءٍ ﴾ .

المدّ المنفصل

ومنها ما هو منفصل . وهو الذى يقع قبل الهمزة منفصلا عنها فى كلمة أخرى . نحو : ﴿ قُولُوا آمَنَّا ﴾ و ﴿ فِي أُمِّهَا ﴾ .

المدّ اللازم

ومنها ما هو لازم ، وينقسم ذلك المدّ اللازم إلى قسمين : كلمِى وحرفِى ، وهما مُثَقَّلَان ومُخَفَّفَان ، وغير ذلك مما هو مدوّن فى كتبهم ، ممتلئة به أدمغتهم ، ناطقة به ألسنتهم .

مقادير هذه المدود

ويقدّرون كل نوع من هذه المدود بمقادير معينة ، وحركات خاصة ، يعدّونها على أصابعهم بهيئة تتنافى مع إنسان عاقل رشيد، يقرأ كتابا عربيا ، سهلا ، سمحا ، غضا .

فالمتصل : يقـدّرونه بأربع أو خمس حركات . والمنفصل أيضا بأربع أو خمس . واللازم بست حركات .

ويظل القارئ يتلو القرآن، حتى يصل بقراءته إلى أحد هذه المواضع ، فيعـدّ على أصابعه تارة ، ويخمن العدد المطلوب أخرى . ويدع التأمل فى معانى ما يقرأ ، ويشغل نفسه وحسه ، فى مراعاة المدّ تارة ، والغن أخرى ، والإعلال ، والإبدال ، والإدغام ، والإشمام . إلى ما لا نهاية له من الأشياء التى لم يلزمنا الله تعـالى بها ، ولم يأمرنا الرسول صلوات الله وسـلامه عليه باتباعهـا .

المبالغة فى الغنّ

وتراهم أيضا يبالغون فى الغنّ بدرجة كبيرة ؛ تجعل القارئ يطنّ كطنين الذباب . ويرون أنهـم بغير هـذا لا يكونون قـد أدّوا القراءة على وجهها الأكمل .

وقـد روى عن حمزة — وهو من كبار القـرّاء ، وأحد السبعة — أنه قال لقارئ سمعه يبالغ فى الغنّ — وربما كان دون غنّ كثير من قرائنا الآن — قال له : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وما فوق الجعودة (١) قطط (٢) ، وما فوق القراءة ليس بقراءة .

(١) الشعر الجعد : الذى فيه التواء وتقبض . وهو خلاف المسترسل .

(٢) شعر قطط : شديد الجعودة . وفى التهذيب : القطط : شعر الزنجى .

حكمة نزول القرآن

ونحن إذا وافقنا القرّاء فيما ذهبوا إليه : لتركنا الحكمة التى من أجلها نزل القرآن . وهى التأمل والتدبر ، والتذكير والتذكر ، والتفكر فى معانيه ، والبحث فى مراميه ، والعمل بما جاء فيه .

وإلا فما الفائدة من المحافظة على هذه الأشياء الشكلية المتكلفة ؛ إذا نحن تركنا روح القرآن ولبه ، والتفهم لعباراته ، والتنبه لإشاراته .

فالقرآن الكريم لم ينزل لمحض التبرك به فى المنازل ، واستجلاب الرحمات به فى المقابر ، والتحزن به فى سهرات المآتم ، وترديد كلماته ، وسرد صفحاته ، وتعداد آياته ، ومراعاة مدوده ، والمحافظة على غناته ، وملازمة سكناته .

إنما نزل القرآن لنقف على أسراره ، ونسير فى أضوائه وأنواره !

عدم جواز القراءة على من لا يعرفونها

ونحن إذا سلمنا جدلا بصحة جميع ما يقرأ من القراءات ؛ فإنا لا نسلم بجواز تلاوتها على من لا يعرفونها ، ولا يدرونها .

والقراءات — كما قدّمنا — نزلت على ألسنة القبائل ولهجاتهم ، تلطفا بهم ، وتسهيلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم . لأنهم لو سمعوا القرآن بلهجة غير لهجتهم ، ربما ثقل ذلك على أسماعهم ، فأراد الله تعالى — رحمة بعباده — ألا يكلم أحد إلا باللهجة التى سكن إليها ، ودرج عليها .

القرّاء فى مصر

غير أن قرّاء مصر — أثابهم الله تعالى — قد تباروا فى إسماع بنيها ما لم يعتادوه ، ولم يألفوه . بل ولم يستطيعوا نطقه من القراءات ؛ التى هى بعيدة كل البعد عن لهجة مصر ، ولغة مصر .

ما يناسب كل قطر من القراءات

والذى يناسب مصر من القراءات : هى قراءة حفص (١) ، غير بضع كلمات قرئت بالإمالة .

وهى تناسب أيضا تركيا ، والهند ، وجاوه ، وأغلب البلدان الشرقية .

كما أن قراءة ورش (٢) تناسب بلاد المغرب .

وقراءة أبى عمرو (٣) تناسب بلاد السودان .

وهكذا كل قراءة من القراءات : تناسب طائفة من النـاس ، وقطرا من الأقطار .

وهذا لا ينافى ما قدّمناه من نقد بعض القراءات ، التى ثبت عدم صحتها لغة ، وعدم وجود من يقرأ بها ماضيا وحاضرا .

القراءات لا تجوز قراءتها فى مصر

فما بال القرّاء يلزموننا سماع تلك القراءات ؟ ويتعبون العامة بتكليفهم فهم ما لم يكلفهم الله تعالى به ؟

وما لنـا وتفخيم اللامات ، وترقيق الراءات ، وإبدال الأحرف مكان الأخرى ، وإدغامها فى بعضها ، حتى ليكاد السامع لا يفهم ما يقال ، وهو من أرقى الكلام ، وأحسن النظام !

---

(١) هو حفص بن سـليمان الكوفى ، وهو غير حفص الدورى ، الراوى عن أبى عمـرو ، والكسائى .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عدى المصرى ، وقد كان من كبار القرّاء والفقهاء . وقد بلغ نهـاية الصلاح والتقوى . وغلب عليـه لقب ورش . وأصـله من القيروان (مدينة بالمغرب) ومولده ووفاته بمصر .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء .

هـذا غير تعسفهم فى الغنّ والمدّ ، بمـا يخرِج الكلام عن طلاوته ، واللفظ عن حلاوته .

فتراهم يمططون الأحرف ، و يمضغون الكلمات . وهم فى كل ذلك مقيدين بفنّ القراءة — فى عرفهم — ولا يزالون يجوّدون ، و يعدّون المدّ على أصابعهم ، و يصرفون كل همهـم ، ويبذلون كل همتهـم فى ذلك ؛ بحيث يشغلهم عن تدبر معانى كتاب الله تعـالى ، و يصرفهم عن الخشوع فى تلاوته .

وجوب القـراءة بمـا يفهم الناس

و يعلم الله تعالى أن القرآن لم ينزل لتتخذه فئة من الناس صناعة لهم ، فيقرأون بمـا لايفهم الناس ، ولا يفهمونه هم أنفسهم ، و يعتقدون أنه هو القرآن . و إذا قرأه غيرهم بمـا لاتهوى أنفسهم ؛ قالوا : انه ليس بقرآن ، وليست له حرمة القرآن .

و يستدلون على تفننهم فى هذه القراءة ، وغنهم ، ومدّهم ، و إدغامهم ، وتمطيطهم ، وقلقلتهم ، بقوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيـلاً ﴾ (١) .

وقد غاب عنهم أن هـذه الآية بعيدة كل البعد عما يرمون إليه ، لأن المقصود منهـا : القراءة ببطء وتأنٍّ ؛ حتى تفهم وتعلم . أو المراد : كثرة التلاوة ، والدأب على القراءة .

القراءة يجب أن تكون كما تنطق العـرب

أفرأيتم لو أن أعرابيـا أراد أن يقول : هؤلاء القوم . أو : يا أيهـا الناس ، أو ما أشبه ذلك ؛ أ كان يمدّ فى قوله هذا ، كما يمدّ هؤلاء القرّاء ،

(١) سورة المزمل . آية ٤

الذين قسموا مدّهم الى أقسام : متصل، ومنفصل، وكِلِمى، وحرفِى، ومثقل، ومخفف، وغير ذلك مما يعيي الذهن، ويوهن العقل .

لقد أنزل الله تعالى القرآن عربيا ، وهيأه للتلاوة ، ويسره للذكر ، وقال يا معشر الناس : لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر .

فانظروا كيف تنطق العرب بكلامهم ، وانطقوا بالقرآن بمثل ما تنطق، وإلا فما تقرأون به هو الخطإ، وما تتكلم به العرب هو الصواب.

القـرّاء يكفرون من لا يقـرأ على قواعدهم

لقد بلغ من تعسف القـرّاء أنه لو قرأ القرآن أمامهم مسلم ، ونقص فى أحد الممدود ، أو زاد فيها ، أو قصر فى غنّ ، أو إشمام ، أو إبدالٍ ؛ عنفوه وأسكتوه ، ونسبوه — لا للخطإ فحسب — بل للكفر والعصيان ، والخروج على تعاليم الرحمٰن . ويعلم الله تعالى أيهما المحق ، وأيهما المبطل ، وأيهما المخطئ ، وأيهما المصيب !

ومن عجب أن يقول القرآن للمسلمين : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) ، وذلك لتعليمهم كيف يجادلون الكفار وأهل الكتاب . ويزعم القرّاء أن سائر المسلمين آثمين لعدم قراءتهم القرآن بطريقتهم التى اخترعوها وابتدعوها .

كلام العرب

وهل لو تكلم أمامنا عربى قح فصيح — وهو الذى يعتبر بحق حكما فى النطق بالألفاظ ، ومرجعا فى الأداء — أكان يمدّ فى ألفاظه بمثل ما يمدّون ، ويتعسف بمثل ما يتعسفون ؟

(١) سورة العنكبوت . آية ٤٦

ولو أن أعرابيا . قال — مثلا — : هؤلاءِ القومِ . أكان يقولها كذلك ، أم كان يقولها : « هـَ ... ـؤلآ ... ءِ القومِ » كما يزعم القرّاء ؟

تعسف القراء في القلقلة

ومن عجب أنهم يتغالون فى التمسك بما يسمونه (القلقلة) و يحدّدون حروفها بخمسة ، يجمعها لفظ « قطبجد » فأى حرف جاء سا كنا من هذه الأحرف وجبت إمالته الى الكسر .

نعم ان هناك أحرفا لا يستطيع الإنسان النطق بها سهلة ، إلا إذا قلقلها من تلقاء نفسه بدون إرشاد .

وتوجد بالقرآن كلمات تنطبق على قياسهم المتقدّم ، إلا أنها تشوه تشويها كبيرا لو نطق بها مقلقلة .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ و ﴿ تَطْلُعُ ﴾ و ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ . فإن هذه الأحرف لو قلقِلت ؛ لصارت ثقيلة على اللسان والآذان ، محرّفة فى النطق .

وقد تغالى جلّ القرّاء — إن لم يكن كلهم — فى القلقلة ، حتى أنهم ليكسرون الحرف كسرا ، وبلغ من تعسفهم أنهم لو سمعوا قارئا ينطق بالحرف سا كنا كحركته الأصلية ؛ خَطَّؤُوهُ وأسكتوه ، بل وكَفَّرُوه . فى حين أنهم يسمع بعضهم بعضا فى القراءة وهم ينطقون بالحرف المقلقل ظاهر الكسر ، فلا يعيب أحدهم على ذلك . مع أن هذا فيه فساد للمعنى ، وللنطق ، وللعربية التى نزل بها القرآن .

تعسف القراء فى تعطيش الجيم

وتراهم أيضا لا ينطقون الجيم من مخرجها الطبيعى ، المعروف المعتاد ، بل يقولون بوجوب تعطيشها .

وتعطيشها عندهم : أن يُميلونَهَا الى الشين . فتصير بَيْنَ بَيْن . إلا أنهم يتغالون فى ذلك ؛ حتى تصير الجيم أقرب منها إلى الشين .

هذا فى حين أن الجيم إذا عطشت كما يرغبون : خرجت من عربيتها ، وصارت حرفا أعجميا : جيم تركية (چ) ، أو جيم افرنجية (G) .

وإذا سمعوا أحد القرّاء لايراعى بعض هذه القيود ، التى وضعوها ظلما للقرآن ؛ من تعسف فى المدّ ، وإفراط فى القلقلة ، وتشويه فى الإدغام ، وتحريف فى الإشمام ؛ لايستمعون لقراءته ، ولا يراعون للقرآن حرمة ، ويلغون فيه . لأنه ليس بقرآن فى زعمهم .

ويعلم الله تعالى أنه هو القرآن ، وأن ما يتصنعونه — بتكلفاتهم وتعسفاتهم — ليس من القرآن فى شىء . وإنما هو من التنطع الممقوت .

وفى الحديث الشريف : « هَلَكَ المتنطِّعونَ »(١) .

السكت الوارد فى المصحف

وترى القرّاء أيضا يلزمون القارئين بالسكت فى مواضع من القرآن ، نستطيع أن نقول : إنها تشوّه المعنى تشويها كبيرا ، وتفقِد الألفاظ جمالها ، وحسن تنسيقها .

فمن ذلك السكت عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾(٢) . فإنهم يسكتون بين « بل » و « ران » .

هذا فى حين أن « كلا » حرف ردع وزجر ، و « بل » للاضراب ، وإبطال ماسبق وإثبات حكم غيره ؛ وهو : ﴿ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ، أى غطى عليها .

---

(١) المتنطعون : هم المتعمقون الغالون ، الذين يتعمقون فى نطقهم .

(٢) سورة المطففين . آية ١٤

فكيف يسوغ الفصل بالسكت، بين : ﴿ بَلْ ﴾ التى أحد معانيها : إثبات حكم آت ، وبين هذا الحكم . الذى هو : ﴿ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ؟

السكت عند «وقيل من راق»

ومن ذلك أيضا سكتتهم عند قوله جل شأنه : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ . فإنهم يسكتون بين « من » و « راق » .

هـذا فى حين أن « من » مبتدأ ، و « راقٍ » خبر . ولا يجوز الفصل بين المبتدإ والخبر بحال .

وهذه السكتات لا معنى لهـا إطلاقا ، ولا حجة لهم عليها، سوى أنهم تلقوها من القرّاء هكذا .

أصل السكت

ولعل أصل هذه السكتات : أن أحد القـرّاء القدماء تنفس بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق؛ فقلدوه فى ذلك بغير فهم ولا علم .

أما ان الله تعـالى أنزله هكذا ، وجبريل عليـه السلام أقرأه للرسـول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا السكت؛ فهو ما لا نسلم به مطلقا، ولا تجيزه اللغة العربية .

الوقوف على رؤس الآى ليس بسـنة

وقد اعتاد كثير من القـرّاء التزام الوقوف على رؤس الآى ، والابتداء من أوائلها بدون مراعاة المعنى ، ولا مراعاة الاحتياج الى الوصل .

وحجتهـم فى ذلك أن الوقوف على رؤس الآى ؛ سنة عن رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد فاتهم أن الرسول عليه السلام ، إنما وقف عليها ؛ ليعلم مكانها . ولِتُدَوَّنَ الفَوَاصِلُ ، وتعدّ الآيات .

ولولا وقوف الرسول عليه السلام على رؤس الآى ؛ لما علمنا : كم آية نزلت ، ولما أدركنا مواضعها ، وأمكنتها ، وأوائلها .

وجوب وصل يستحق الوصل ما عند الفواصل

ولا شك أن الرسول الأمين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، كان يقف على رأس كل آية ؛ فيصل ما يستحق الوصل ، ويدع ما يكون قد اكتملت معانيه ، واستتمت مراميه .

أما المحافظة على الفواصل ، لمجرد أنها رؤس آى فحسب ، بدون مراعاة لحسن النظم والتئامه ، وارتباطه بما قبله ؛ فليس من الحكمة ، ولا من البلاغة فى شىء .

وإن من الآيات ما يكون الابتداء به على جانب كبير من الخطإ ، اذا لم يوصل بما قبله ؛ ليتم المعنى ، ويبين المغزى .

الفصل بين الفعل ومتعلقه

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١) . فإنها رأس آية . فاذا ما وقف عليها القارئ ، وابتدأ فى الآية التى تليها بدون وصل ؛ لفسد المعنى ، واضطرب النظم . وهى قوله تعالى : ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ .

ولكنه لو وصل وقرأ : ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ لاستقام المعنى ، وصح النظم ، وحسن الترتيب .

---

(١) سورة هود . آية ٥٤

وذلك لأن ﴿ تُشْرِكُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ : متعلق الفعل . ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) . فان هذه الآية لها معنى مستقلا . ولكنا لو قرأنا ما بعدها من الآيات ؛ لوجب علينا الوصل حتما .

وذلك لأن الآية التى تليها : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ . فماذا يفهم من الآية الأخيرة ؛ إذا قرئت استقلالا بدون وصل ؟ مع أن المعنى لا يستقيم إلا إذا قرئت : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ متصلة .

وذلك لأن : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ : متعلق الفعل ، ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾(٢) . فاذا قرأنا ما بعدها بدون وصل ؛ لما صح المعنى . لأن ما بعدها لازم لها ، وينقطع الكلام بدونه . وهو قوله : ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ . بل يجب أن يقرأ : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ .

وذلك لأن : ﴿ غُلِبَتْ ﴾ : فعل ، و ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ : متعلق بـ ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ . ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾(٣) . فاذا قرأنا ما بعدها بدون وصل ؛ لما وضح له معنًى .

---

(١) سورة النحل ، آية ٤٣ (٢) سورة الروم ، آية ١

(٣) سورة الصافات ، آية ٢٢

وهو قوله جل شأنه : ﴿ مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ .
بل يجب أن يقرأ : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ .

وذلك لأن ﴿ يَعْبُدُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ : متعلق به ، ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾[1] . وهى رأس آية . فاذا ما بدأنا بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ لمَا فُهِمَ له معنى ، وَلَكَانَ مُشَوَّهًا مُشَوَّشًا .

وذلك لأن ﴿ تُشْرِكُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ متعلق به ، ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

الفصل بين المستثنى والمستثنى منه

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[2] . فانه لو وقف عليها و بدأ فى الآية التى تليها بدون وصل ؛ لما جاز .

وذلك ، لأن ما بعدها : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ . ومن المعلوم أن ﴿ إِلَّا ﴾ : أداة استثناء ، و ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ : مستثنى منه . ولا يجوز الفصل بين المستثنى والمستثنى منه .

الفصل بين الفعل والفاعل

ومن ذلك أيضا قوله جل شأنه : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[3] . فان هذه الآية لا تستقيم إلا إذا وصلت بما بعدها ، وهو ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ .

---

(١) سورة غافر . آية ٧٣ (٢) سورة هود . آية ١١٨
(٣) سورة النور . آية ٣٦

فانظر الى ارتباط الآيتين ، ووجوب الوصل بينهما ؛ لأن المعنى : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ﴾ . فكيف تفصل بين الفاعل ؛ وهو ﴿رِجَالٌ﴾ ، وبين الفعل ، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾ ، بدون أن نصل بينهما ؟

الفصل بين السبب والمسبب

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١) . فاذا قرأنا ما بعدها بدون وصل ؛ لما جاز ذلك إطلاقا . لأن ما بعدها متعلق بها ، وهو قوله : ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ . والباء فيها سببية ، أى يفرح المؤمنون بسبب نصر الله . ولا يجوز الفصل بين السبب والمسبب .

الفصل بين القول والمقول

والذى يقطع بما قدمناه ، ويجزم بوجوب الوصل عند رؤس الآى مادام المعنى ناقصا وغير تام : قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾(٢) وهو رأس آية . فاذا وقفنا على ذلك بدون وصل ؛ لم يجز . لأنه إخبار بأنهم يقولون ، بدون ذكر لما يقولونه . واذا بدأنا الآية التى تليها بدون وصل ؛ لكان ذلك مكفرا . لأن البادئ بذلك يقول : ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ . كأنه يقرر أن الله قد ولد . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

وفى مثل هذه الحال يجب الوصل وجوبا . فيقول : ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

وذلك لأن ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ : مقول القول ، ولا يجوز الفصل بين القول ومقوله .

---

(١) سورة الروم . آية ٤

(٢) سورة الصافات . آية ١٥١

وقد أوردنا هذه الآيات على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، ففى القرآن الكريم كثير من أمثال هذه الآيات ، فَلْيُلَاحِظْ ذلك وَلْيَتَدَبَّرْهُ من يرجو رحمة الله تعالى ، ويخشى عقابه ؛ ولا يعبأ بقول من أوتوا من العلم القشور دون اللباب ، فتعالموا على الناس بغير علم ، وتفاهموا بغير فهم .

الوقوف على غير رءوس الآى

وينبغى الوقوف فى مواضع ليست برءوس آى . كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(١) . فإنه يجب الوقوف على : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ . ثم يبدأ بقوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ . لأن ذلك استئناف لا مقولهم ؛ فيقف على ذلك خشية الالتباس .

المواضع التى لا يصح الوقوف عليها

وينبغى أيضا على القارئ ألا يقف على المضاف دون المضاف اليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه ، ولا المرفوع دون رافعه ، ولا الناصب دون منصوبه ، ولا المنصوب دون ناصبه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا « إن » ، أو « كان » ، أو « ظن » وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته : إسميا أو حرفيا ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرف دون متعلقه ، ولا الشرط دون جزائه .

---

(١) سورة يونس . آية ٦٥

النّاسخ والمنسُوخ

اختلف المتقدّمون اختلافا كبيرا فى الناسخ والمنسوخ ، ولهم فى ذلك مؤلفات شتى .

وقد تغالوا كثيرا فى ادعاء نسخ كل الآيات التى لم يتفق لهم فهمها ، أو التى لم يستطيعوا أن يوفقوا بينها وبين باقى الآيات .

أقسام المنسوخ

وقد قسموا ذلك إلى أقسام : منها ماهو منسوخ الحكم باقى التلاوة ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة باقى الحكم ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة والحكم معًا .

ولهم فى ذلك استدلالات واستنتاجات عقيمة ، لا يؤيدها منطق ، ولا يسندها دليل .

منسوخ الحكم التلاوة

فمن ذلك ما ادعاه بعضهم من أن قوله جل شأنه : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (١) منسوخ بآية السيف : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (٢) .

كأنه والحالة هذه لا يجوز أن نقول للناس حسنا . وإذا راعينا باقى الآية المنسوخة ؛ لوجدناها تنهى عن عبادة غير الله تعالى ، وتأمر بالإحسان

---

(١) سورة البقرة . آية ٨٣ «وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» .

(٢) سورة التوبة . آية ٥

الى الوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين . ففى حالة النسخ يكون جميع ذلك غير واجب المراعاة .

وأيضا فان هـذه الآية تأمر بإقامة الصلاة ، و إيتاء الزكاة . فتكونا أيضا غير مفروضتين ، و بالتالى غير واجبتين . اللهم إلا إذا كان النسخ على شطر الآية الخاص بالقول الحسن فحسب .

هذا فضلا عن أن هذه الآية وردت فى القرآن الكريم حكاية عما أخذه الله تعالى على بنى اسرائيل من الميثاق (١) . فهى خبر لا معنى للنسخ فيه مطلقا .

وأغرب من جميع ذلك ، وأشدّ شناعة وقبحا : ادّعاؤهم بأن آية السيف المتقدّمة نُسِخَتْ أيضا فيما نُسِخَ بقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٢)

وقد غاب عنهم أن ربهـم هو أحكم الحاكمين ؛ سواء أمر بالقتال ، أو أمر بالسلم ، وسواء قضى بالنعيم ، أو بالعذاب الأليم .

منسوخ التلاوة باقى الحكم

ومن أعجب العجب ادّعاؤهم أن بعض الآيات قد نسخت تلاوتها ، و بقى حكمها ، وهو قول لا يقول به عاقل إطلاقا .

وذلك لأن نسخ أحكام بعض الآيات ، مع بقاء تلاوتها ؛ أمر معقول مقبول . حيث ان بعض الأحكام لم يتنزل دفعة واحدة ، بل نزل تدريجيا ، لتألفه النفـوس ، وتستسيغه العقـول . وهنـا كانت الحكمة جليـة ظاهرة فى نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها .

---

(١) وهو قوله تعالى فى أول الآية « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبـدون إلا الله و بالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا » .

(٢) سورة التين . آية ٨

أما ما يدّعونه من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها ، فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه ، ويقدّر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل . إذ ماهى الحكمة فى نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها ؟

ما الحكمة فى صدور قانون واجب التنفيذ ، ورفع ألفاظ هذا القانون مع بقاء العمل بأحكامه ؟

ويستدلون على باطلهم هذا بإيراد آية من هذا النوع يدّعون نسخها ، ويعلم الله تعالى أنها ليست من القرآن ، ولو كانت منه لما أغفلها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ولدوّنها السلف الصالح فى مصاحفهم .

وهى : ﴿ الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . آية الرجم

وفى رواية أخرى : ﴿ الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ بِمَا قَضَيَا مِنَ اللَّذَّةِ ﴾ .

ويزعمون أن عمر رضى الله تعالى عنه قد هَمَّ بكتابتها فعلا فى المصحف ، لولا أنه لم يجد شاهدين يؤيدانه عليها .

وهذا قول فاسد باطل مردود . فلو أراد عمر كتابتها ما استطاع منعه إنسان ، وهو من هو فى شدّته فى الدين ، وجرأته فى الحق .

ومن ذلك أيضا مايدّعونه من نسخ تلاوة ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ الثَّانِى ، وَلَوْ كَانَ إِلَيْهِ الثَّانِى لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا الثَّالِثُ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ وَإِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ ، غَيْرَ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ ، وَمَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ إِنَّ اللهَ سَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبَ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وكثير غير هذا يضيق المقام عن ذكره ، ويعلم العقلاء أنه ليس بكلام الخالق تعالى ، وليست له طلاوته ، وليست به حلاوته وعذوبته ، وليست عليه بهجته . بل ويتبرأ من ركاكته المخلوقون ، فكيف برب العالمين !

من أين دليل الرجم ؟

بقى سؤال واحد ، وهو : من أين أتى دليل رجم المحصن والمحصنة فى الإسلام ؟

والجواب على ذلك : أنه قد أخذ من تشريع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . ويدخل تحت قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾(1) أى ﴿ أَطِيعُوا اللهَ ﴾ فيما يأمركم به فى القرآن ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ فيما يأمركم به من الأوامر ، وينهاكم عنه من النواهى ، ويشرعه لكم من الشرائع .

هذا وقد كان رجم الزانى والزانية (المحصنين) مشروعا فى سائر الشرائع المتقدمة .

ولولا أن تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانته ؛ لَدُسَّ فيه ما ليس منه ، كما دس فى الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله ، فلم يبق

---

(١) سورة النور . آية ٥٤

فيها سوى ما دخل عليها من ركيك الكلام ، و باطل القول . ولكن الكتاب الكريم قد نفى كل غريب ، وسلم من الشوائب والدخل ، فلم يبق إلا كلام الرب سليما صافيا محفوظا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ومن آية حفظ الله تعالى له ألا يستقر المسلمون على ما ادعاه القرّاء من قراءة القرآن بوضع مخصوص ، وطريق مخصوص ، يغاير كلام العرب ونطقهم .

خطأ من قال بنسخ التلاوة

ويجوز أن يكون هـذا وحيا ، وليس كل وحى بقرآن . و يقاس عليه كل ما قرئ وقيل بنسخ تلاوته و بقاء حكمه .

ولا يبعد إطلاقا أن يخطئ مَنْ جَعَلَ مثل هذا الكلام من القرآن ؛ كابن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، وغيرهما . أو أن يُكْذَبَ عليهم ؛ كَيْدًا لهـذا الدين ، وتوهينا لحبل الله المتين .

ورود الخبر عن الصحابى ليس بحجة

ولا يَتَوَهَّمَنَّ أحد أن نسبة بعض القول إلى فضلاء الصحابة وأجلَّائهم نص فى صحة هـذا القول . فإنهم رضى الله تعالى عنهم غير معصومين ، وقد وردت روايات كثيرة صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء فى القرآن وغيره من أمور الدين على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفضلا عن ذلك فقد كُذِبَ عليهم فى شتى الأحاديث . فليفهم هـذا وليتدبره من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !

حديث عائشة فى إرضاع الكبير

ومن كبر عليه ما قلته ، وشقّ عليـه ما أوردته ، فليسمع معى حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها — وقد ورد فى جل الصحاح ، إن لم يكن كلها — قالت :

« جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ امْرَأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إنى أرى فى وَجْه أبى حُذَيفة(١) من دخول سالم — وهو حَليفه(٢) — فقال : أَرْضعى سالمًا خَمْسًا تَحْرُمِى بها عليه » .

بطلان هذا الحديث

فانظر معى أيها المنصف الحكيم ، واعجب لدين يحرم النظر إلى الأجنبية ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(٣) ، ويبيح ارتضاع ثديها !

وانظر معى أيضا لِزَوْج يَغَارُ على امرأته أن يراها أجنبى ؛ فيُذْهِبَ هذه الغيرة بأن تكشف له عن مواضع من جسدها ، ولا يُكْتَفَى بكشف هذه المواضع فحسب ؛ بل ولمسها . وليس لمسها فحسب ؛ بل ومصها . وليس المص مرة واحدة فحسب ؛ بل يظل يرتضع ثديها خمس مرات .

أنظر معى أيها المؤمن وتدبر : هل ترى تصديق مثل هذا ؟ أو أنت أميل إلى التكذيب ، وإن لم يكنه ، فإلى أن هذا الحديث وأمثاله مما دسه الدساسون الأفاكون ؛ ليذهب ببهاء ذلك الدين القويم ! وحاشا أن يقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ما لم يقله الله تعالى ؛ بل ويتناقض كل التناقض مع ما ورد فى الكتاب المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(٤) .

(١) أرى فى وجهه : أى من دلائل الكدر والغيرة ، لدخول رجل أجنبي على امرأته .

(٢) الحليف : المعاهد . وحالفه : عاهده . والمراد هنا : شريكه .

(٣) سورة النور . آية ٣٠

(٤) وقد تلمس بعضهم تعليلا لهذا : أن الرضاع لم يكن بطريق الامتصاص من الثدى ، بل بواسطة شرب اللبن بعد حلبه من المرأة . ويرد على هذا أن الشرب لا يعطى معنى الرضاع الوارد فى الحديث ، وعلى فرض حصوله بالشرب فإنه لا يضيع الغيرة الذى طلب الرضاع من أجلها .

ومذهب على ، وآبن عمر ، وآبن مسعود ، وجمهور التابعين . كل أولئك على خلاف ما قيل بوروده عن عائشة .

وهناك الكثير من أمثال هذا الحديث ، مما يناقض العقل والمروءة ، والآداب ؛ وقد وردت جميعها فى أمهات الكتب الصحيحة المعتمدة ، وسأورد طرفا منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر .

طواف الرسول على نسائه

فمن ذلك ما روِى عن إحدى أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهنّ قالت : « كان رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يطُوفُ على نِسائِه فِي الليلة الواحدة بغسلٍ واحدٍ » . وقد جاء هذا الحديث بروايات أخرى ، وعن طرق شتى بهذا المعنى .

بطلان هذا الحديث

والحديث كما ترى : يرفضه الذوق السليم ، وتمجه النفوس السامية .

فإذا ما حاولنا أن نبحث طريق وصوله لراويته — أو لراويه — عجبنا كل العجب ، وحق لنا أن نعجب . إذ ليس له سوى طريقين لا ثالث لهما :

أولهما : أن يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه لإحدى زوجاته : لقد مررت فى هذه الليلة على سائر ضرائرك ، وفعلت بهن كيت وكيت .

وهذا ما نستبعد وقوعه من عصاة الأمة وطغاتها ، فما بالنا بأكرم مخلوق تحلى بأعظم الأخلاق ، وحاشا أن يفعل الرسول عليه السلام ما يستوجب اللوم ، أو ما يوجب الزراية . ولا أحط من أن يذكر مثل هذا أمام إحدى الضرائر .

ثانيهما : أن يكون دخل عنـد راوية الحديث فأفضى إليها كما يفضى الرجل إلى امرأته ، ثم تركها ، فتبعته ، فدخل عند إحدى زوجاته الأخريات فنظرت من شق الباب ورأت ما رأت ، وخرج من عند الأخرى إلى غيرها فتبعته الأولى ونظرت إليهما أيضا من شق الباب ، وهكذا حتى طاف على نسائه جميعهن بغسل واحد كما جاء فى هذا الحديث المكذوب .

ومن أعجب العجب ألا يتعرّض شراح الأحاديث لمثل هـذا الحديث بتجريح أو تصحيح . بل كل ما يقولونه ، ويصرفون الجهد فيه هو : هل كان نساء الرسول صلوات الله وسلامه عليـه — اللاتى مر عليهنّ فى ليـلة واحدة — تسعا أم سبعا فى هذا العهد .

وإنى أترك المؤمن الذى لا يتقيد بالتقليد الأعمى ، ولا يتبع الأسمـاء الرنانة ، التى دس الدساسون ، وأبطل المبطلون تحت ستارها ، وهى من كل هذا براء . إنى أتركه ليفكر فى نفسه : هل مثل هذا صحيح ؟ وهل نشر مثله على سواد الأمة جائز ؟

قوة الرسـول فى الجماع

ومن ذلك أيضا ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم: « أُوتِيتُ قُوَّةَ أربعينَ فى البَطْش والجِماعِ » .

تبرئة الرسـول مما قالوا

ياللداهية الدهياء ، والخطة العمياء ! الرسول الكريم الذى يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ » . والذى ورد من صفاته وشمائله : أنه كان يستحيي كاستحياء البكر فى خدرها ، والذى يقول الله تعالى فيـه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١) .

(١) سـورة القلم . آية ٤

هـذا الرسول ، وتلك صفاته وأخلاقه ، وهـذه شهادة الله تعالى له ؛ يزعمون أنه قد جلس بين صحابته وقال : يا أيها الناس أنا أوتيت قوة أربعين منكم فى الجماع !

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! وأستغفره تعالى مما نسب إلى الرسول الطاهر المطهر، الذى بعث ليقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [(١)] . لا ليقول : يا أيها الناس أنا أقوى من أربعين فى إتيان النساء .

وتعالى الله من أن يرسل رسولا هذا شأنه ، وتلك رسالته فى الحيـاة .

لا ضير من بطلان بعض الأحاديث

على أن هذه الأحاديث وأمثالها ؛ سواء صح سندها أو لم يصح ، فهى — على ضعفها وظهور بطلانها — قِلَّةٌ لَا يُعْتَدُّ بها ، ما دام إلى جانبها إجماع الأمة ، وتظاهر الأحاديث الصحيحة التى تدمغها ، وتظهر أغراض الدين والمشرع بأجلى مظاهرها . فـلا يَقْتَحِمَنَّ مُجْتَرِئٌ ، ولا يُبَالِغَنَّ مبطلٌ ، ولا يَفْتَرِيَنَّ مفترٍ . إن هى إلا فتنة امتحننا الله تعالى بها ، وكأنمـا عناها بقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [(٢)] .

الديانات قبل الإسلام

ولقد كانت الديانات الأخرى محاطة بسياج من العراقيل ، مشوبة بكثير من الأباطيل ؛ فقـد اخترع لهـا واضعوها ومروّجوها رمـوزا وطقوسا ، وأقاموا السـدود والقيود ، وحدّدوا بقاعًا ضيقة من الأرض لا يجوز التعبد

---

(١) سورة الحج . آية ١ (٢) سورة الحج . آية ١١

إلا بها، ولا طلب المغفرة إلا فيها؛ بعد بخور وعطور ، وطبول وزمور؛ كأنما يتقربون للشيطان ، أو يستحضرون عفريتًا من الجان .

بساطة الاسلام

فجاء الدين الإسلامى فوسع الضيق ، وأطلق المقيد ، وخلص النفوس من الزلل ، وأبرأ القلوب من العلل ، ونقى محيط العبادة من الظواهر الكاذبة ، والمظاهر الباطلة ، وجعل الأرض كلها مكان عبادة[١] . وجعل روح الدين في البيت وفى الشارع وفى السوق كروحه فى المسجد تماما ؛ فروحه فى البيت والشارع والسوق : عبادة عملية ، وفى المسجد : عبادة نظرية ؛ هى أقرب ما يكون إلى تصفيةِ وجرد شئون الحياة كلها .

روح الاسلام فى البيت والشارع والسوق

الدين المعاملة

ولو فهم الناس أن الدين فى البيت والسوق أهم منه فى المسجد ؛ لاستطاعوا أن يجمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة !

فالمسلم فى بيته إذا أحسن لزوجه[٢] ، ورعى أبناءه ، ورحم خدمه[٣] ؛ كان فى عبادة وأى عبادة !

والمسلم فى سوقه إذا أدّى حق الله تعالى فى تجارته ؛ فلم يبخس الناس أشياءهم ، ولم يغش أحدا من عباد الله ، ولم يطفف الكيل والميزان[٤] ؛ كان فى عبادة كبيرة لا تعدِلها عبادة المساجد ، وملازمة المعابد .

---

(١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

(٢) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله » . والمراد بالأهل : الزوجة .

(٣) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... » .

(٤) قال تعالى : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

ليس فى الدين احتكار

ولم يجعل الدين طبقـة معينة تحتكرشئونه : وتتزيا له بأزياء خاصـة ، وتحبس أنفسها فى الظاهر عن كل مباح ، وتستحل فى الباطن كل محظور ، وتتصرف فيما هو من شأن الله تعالى ؛ فلا غفران إلا بصك منهم ، ولا نعيم إلا بإرضائهم ، ولا جحيم إلا بإغضابهم .

لا فضـل لأحد إلا بالتقوى

بل طالب الإسلام سائر معتنقيه أن يتعلمونه و يعلمونه ، و يسترشدون بهديه و يرشدون به ؛ فهو ليس وقفـا على أحد ، ولا مخصوصا بأحد . بل الكل أمام خالقهم ورازقهم سواء : لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . والجاهل التقى ، خير من العالم الغوى !

الأثر الاجتماعى للقرآن

والقرآن الذى نزل لهداية العالم أجمع ؛ ما كان يصح أن يتخذه بضع نفر وقفا عليهـم ، يلوون ألسنتهم به ، و يتشدقون بحفظه ، و يحظرون تلاوته وكتابته وتلقيه إلا بواسطتهم وعن طريقهم .

ألا ترون إلى أمة العرب وقـد تطوّرت — بواسطة القـرآن — من الجاهلية الجهـلاء ، إلى المدنية العلياء ، فى أقل من ربع قرن . وهى مدّة لو كانوا قلبوا البيوت فيها مدارس ، والقرى معاهد ، وأتوهم بكبار فلاسفة اليونان والرومان والفرس ؛ لمـا استطاعوا أن يزحزحوهم عما كانوا عليه من مصائب اجتماعية ، و بلايا أخلاقية .

لقد كانوا كالبهائم ، بل وشرا من البهائم ، فإذا بهم — طفرة — خلفاء الله تعالى فى أرضه ، وأمناؤه على رسالته .

القرآن الذى هذا شأنه ، وذلك أثره ، ليس لنا منه سوى سماع الأصوات ، والاهتزاز للنغمات ، ومراعاة غَنّهِ ومَدّهِ ، وملاحظة حركاته وسكناته .

أما التأمل فى معانيـه ، والتدبر فى مراميـه ، فليس منا ولسنا منـه فى شىء !

القرآن الذى أحيا آباءنا من العدم ، وجعل منا خير الأمم ؛ لا حظ له عندنا سوى تحسين رسمه ، والمحافظة على هيكله .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

خلاصة القول فى منع القــراءات

ويهمنا قبل أن نختم باب القــراءات أن نشير الى النهى الصريح الوارد عنها ، الذى يقطع بعدم جواز القراءة بها فى زماننا الآن . ولا نرى فى النهى عن القراءات ، وعدم الوثوق بها أكثر من أمر عثمان رضى الله تعالى عنـه بتركهـا — وهو من أجلاء الصحابة رضى الله عنهـم — ومتابعـة فضلاء الصحابة له ، وإقرارهم لفعله .

قول ابن جرير الطبرى فى ذلك

قال ابن جرير الطبرى[1] رضى الله تعالى عنه :

« ثم لمـا رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه اختلاف الناس فى القراءة ، وخاف من تفـرق كلمتهم ؛ جمعهم على حرف واحد ، وهو هـذا المصحف الإمام . واستوسقت[2] له الأمة على ذلك ، بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية ،وتركت القراءة بالأحرف السبعة[3]

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية .

(٢) استوسقت الإبل : اجتمعت . والمعنى المراد : اجتمعت له الأمة على ذلك .

(٣) لعل الإمام ابن جرير كان يرى تأويل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » : على أنها القراءات السبع ؛ وهو قول لا يتفق مع ما حققناه آنفا عند ذكر هذا الحديث ، وما قاله جلة العلماء الفضلاء .

التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها طاعة منها له ، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعفت آثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ؛ لدثورها وعفو آثارها ... فان قال من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة » .

« انتهى كلام الطبرى بلفظه »

والطبرى وهو أقرب منا لوقت نزول القرآن وقراءة القراءات بأكثر من عشرة قرون ونصف ؛ يقول باندثارها وعفو آثارها ، وأنها درست من الأمة معرفتها . فمن أين جاءوا لنا بالقراء والقراءات بعد مضى مئات السنين ، وانقراض ملايين الملايين ؟

قول الطحاوى والباقلانى وابن عبد البر فى ذلك

وقد أجمع الإمام الطحاوى ، والقاضى الباقلانى ، وأبو عمر بن عبد البر ، وغيرهم من أئمة الكلام ؛ على أن القراءات جميعها كانت رخصة فى أول الأمر لتعسر القراءة بلغة قريش على كثير من الناس ، ثم نسخت بزوال العذر ، وتيسر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة (١) .

القراءة الحقة الواجبة

لم ينزل الله تعالى القرآن الكريم ليتقعر بعض الناس فى مخارج حروفه ، ويتنطع فى قراءته ، ويشغلون أنفسهم فى إحصاء أحرفه ، وفى تعداد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصاف الأحزاب وأرباعها ، إلى غير ذلك من الأمور

---

(١) وهذا القول من أوجه ما قيل فى القراءات .

التى تدل على كساد العقل ، وفساد الذهن . وذلك بغير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودعه الله تعالى فيه . ويسمون أنفسهم بالقراء ؛ وهم أبعد الناس عن القراءة والقرآن ؛ لأن القرآن الكريم شبه الكافر بالأعمى والأصم . فى حين أن الكافر من حيث الحواس الظاهرة أشد إبصاراً وسماعا من المؤمن .

ولكن الكافر لما كان غير مستفيد بما يرى ولا بما يسمع : سمى بالأعمى والأصم . فكذا قارئ القرآن إذا شغل نفسه بما لم ينزل القرآن من أجله ، وأضاع عمره فيما لا طائل وراءه ؛ فليس بقارئ .

وإن العامى الذى يقرأ القرآن فتتندى عيناه حين يمر بآى العذاب، وتنفرج أساريره حين يمر بآى الرحمة ؛ لهو أقرأ من سائر القراء ، وأعلم بالقرآن من سائر العلماء . لأنه ينتفع بما يقرأ ، ويستفيد بما يعلم !

وجوب ترجمة القرآن وإذاعته

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

تمهيد

القرآن هو المعجزة الكبرى

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى أبد الدهر ، والمرشد الأسمى إلى معرفة الله تعالى ، والهادى الأعلى إلى طريق الجنة ونيل خيرى الدنيا والآخرة . وكان تبليغه واجبا إلى الخلق كافة ؛ لا فرق بين أعجمى وعربى ، ورومى وفارسى ؛ كان الواجب على العلماء — الذين هم ورثة الأنبياء — وعلى سائر الناطقين بالضاد ؛ أن يبادروا إلى تبليغه للأمم التى لم يصلها نوره ، ولم ترتق بتعاليمه ؛ لتتم بذلك رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام . إذ أنه أرسل إلى الخلق كافة ، ولم يرسل إلى العرب خاصة .

واجب العلماء والمثقفين حيال الترجمة

ولما كان هذا التبليغ لا يتم إلا بترجمة هذا « النور » إلى لغات الأقوام المراد هدايتهم ؛ وجب على الأمة الإسلامية عامة ، وعلمائها ومثقفيها خاصة : القيام بمهمة ترجمته إلى سائر اللغات الذائعة الشائعة .

رأى المرحوم الأستاذ المراغى

لذلك قام المرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر ؛ بالدعوة إلى ترجمة القرآن إلى اللغات الحية ، لتتم الرسالة ، وتسقط المعذرة .

وقد وجد لهذا المشروع مؤيدون كثيرون ، كما وجد له أيضا معارضون .

ومما يدعو للأسف أن أكثر المعارضين قد اتخذ هـذه المعارضة سبيلا للطعن فى أشخاص المؤيدين ؛ مما أخرج كلامهم عن دائرة البحث العلمى ، المبنى على البرهان العقلى .

وقد تخبط بعض هـؤلاء المعارضين فى أدلته ، فلم يميز بين ما يصح أن يكون دليلا له ، وما يصح أن يكون دليلا عليه .

كتب مؤيدى الترجمة

وقد اطلعت على كتب عدة طبعت فى هذا السبيل . منها للمؤيدين :

«بحث فى ترجمة القرآن الكريم وأحكامها» للمرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى . وقد سبق نشر بعض فصوله فى الجرائد السيارة منذ أعوام ، وهو فى نهـاية الجودة، وغاية الإفادة . إلا أنه يقول بجواز الترجمة لا وجوبها . مع أنهـا واجبة حتما ، لا جائزة فحسب — كما سنورد من الأدلة — وشتان بين الجواز والوجوب .

وكتاب « الأدلة العلميـة » فى جواز ترجمـة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية » للأستاذ محمد فريد وجدى بك، مدير مجلة الأزهر . وهو كتاب لا بأس به ، غير أن مؤلفه الفاضل قد استعمل فيه صناعته ، أكثر مما استعمل عقيدته . وهو يقول بالجواز أيضا .

وقد وضع هذا الكتاب تأييدا لمـا كتبه المرحوم المراغى .

كتب معارضى الترجمة

وقد قرأت أيضا كتبا للمعارضين . منها :

كتاب « ترجمـة القرآن الكريم ، غرض للسيـاسة وفتنة فى الدين » للمرحوم الأديب محمـد الهيهاوى صـاحب المنبر، وقد نحا فيـه مؤلفه منحى سياسيا هو بعيد كل البعد عن القرآن ، وترجمة القرآن .

و « آية النظيم ، تدافع عن القرآن الكريم » للأستاذ الشيخ أحمد فهمى محمد المحامى الشرعى . وهى منظومة شعرية بعيدة كل البعد عما نحن بسبيله وهى أيضا خلو من الأدلة التى يعبأ بها ، أو يردّ عليها .

و « القول السديد ، فى حكم ترجمة القرآن المجيد » للأستاذ محمد مصطفى الشاطر ، القاضى الشرعى . إلا أن أدلته لا تخرج عن أدلة كتاب حدث الأحداث .

و « حدث الأحداث فى الإسلام » للمرحوم الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا . وقد قرأنا له كتبا غير هذا الكتاب ، قد بلغت بعض فصولها غاية الجودة . غير أن قريحته — رحمه الله تعالى — قد خانته فى هذا الكتاب ، فأمسى يتلمس الدليل له ، فلا يسوق إلا دليلا عليه .

نتيجة دراسة كتب المؤيدين والمعارضين

وبعد دراسة أدلة الفريقين : مؤيدين ومعارضين . رأيت أن أدلى ببعض الأدلة العقلية والنقلية ، التى يرتاح لها ضمير العقلاء ، ويطمئن إليها خاطر العلماء . تاركا الكثير من الأدلة التى تناولها غيرى من المؤيدين ، مكتفيا بالقدر الذى لا يدع لذى غرض مقالا ، ولا لذى طعن منالا .

وسأحاول جهد الطاقة : سرد الأدلة التى لا تحتمل إشكالا ، ولا تقبل جدالا . وسأورد من القرآن ، ما يوجب ترجمة القرآن ، وإن لم تصدّق فإليك البيان :

وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات

عربية القرآن
دليل الترجمة

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١) . وقال أيضا : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾(٢) .

ومعنى ذلك — كما لا يخفى على ذى بصيرة : —

أننا قد يسرنا القرآن للتذكر، وسهلناه للتدبر، حيث جعلناه قرآنا عربيا بلسانك ، لتستطيع أن تفهمه لهم ، لعلهم يتذكرون معانيه ، ويتدبرون مراميه .

لأنه ليس من الحكمة أن نرسله أعجميا إلى أمة العرب ، فلا يستطيعون قراءته ولا فهمه ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾(٣) .

ومن هاتين الآيتين المتقدمتين، يؤخذ وجوب الترجمة . إذ أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة ، ولم يرسل لأمة العرب خاصة .

وقد تقرر فى معنى الآيتين أنه لا يصح أن يرسل الله تعالى للعرب قرآنا أعجميا ، فكذلك لا يصح أن يرسل للأعاجم قرآنا عربيا .

---

(١) سورة الدخان . آية ٥٨

(٢) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠

(٣) سورة فصلت . آية ٤٤

نزول القرآن للناس كافة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾(١) .

والمقصود بـ﴿ يا أيها النَّاسُ ﴾ : هو سائر من على وجه الأرض من بنى الإنسان ؛ لا فرق بين عربى وعجمى .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾(٢) . والمقصود بالإشارة : هو القرآن .

وقال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(٣) .

والمقصود بالموعظة هو القرآن أيضا .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾(٤) . أى لسائر الناس ؛ عربيهم وعجميهم .

فهل أراد الله تعالى إبلاغ القرآن للعرب فقط دون باقى الأمم الذين يبلغون أضعاف أضعاف العرب ؟

وما هو الذنب الذى جنته الأمم الغير العربية والإثم الذى اقترفته ؛ حتى استحقت الحرمان من الهداية ؟

هذا مع أن الجميع — قبل نزول القرآن — فى الكفر سواء . بل وأمة العرب كانت أشد الأمم كفرا ، وأعظمها طغيانا وفجورا ، كما سنبين فيما بعد .

---

(١) سورة النساء . آية ١٧٤ (٢) سورة آل عمران . آية ١٣٨
(٣) سورة يونس . آية ٥٧ (٤) سورة الكهف . آية ٥٤

وقال تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (١) .

ومعنى هذه الآية : وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به أيها العرب الموجودون الآن ، وأنذرَ بِهِ من بَلَغَهُ من سائر الأمم ، ممن سيوجد إلى يوم القيامة .

وجوب إنذار العرب لسائر الأمم

فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : يا أمة العرب ، لقد أنذرتكم بهذا القرآن ، فَأَنْذِرُوا به من وَرَاءَكُمْ ، وأَبْلِغُوهُ إليهم لِيُنْذَرُوا بِهِ ، ولتقوم عليهم بذلك الحجة ، وتسقط المعذرة .

وبهذا يكون من لم يبلغه القرآن من سائر الأمم خارجا عن الإنذار .

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٢) . أى تَقَدَّسَ وتَنَزَّهَ الله الذى أنزل القرآن على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لينذر به العالمين . وهم سائر الأنس — عربهم وعجمهم — وسائر الجن أيضا .

احتجاج المعارضين بانفراد القرآن بالعربية

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) . وقال أيضا : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٤) . وقال أيضا : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥) . وقال أيضا :

---

(١) سورة الأنعام . آية ١٩ (٢) سورة الفرقان . آية ١

(٣) سورة يوسف . آية ٢ (٤) سورة الشعراء . آية ١٩٣ — ١٩٥

(٥) سورة الزمر . آية ٢٧ و ٢٨

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) . وقال أيضا : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) . وقال أيضا : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾(٣) . وقال أيضا : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾(٤) .

وقد احتج بهـذه الآيات بعض المانعين للترجمة . ووجه احتجاجهم بها : أن فيها ذكر عربية القرآن ، فيصح أن تكون دليلا على عدم الترجمة ، ووجوب المحافظة على عربيته . وفاتهم أن الله تعالى لم ينزل هذه الآيات وأمثالها ليعلمنا أن القرآن عربى ، وأنه بلسان عربى ؛ لأن هـذا من اللغو الذى يَتَنَزَّهُ القرآن عن مثله .

فالقرآن بين أيدينا ، وتحت سمعنا وأبصارنا ؛ نتلوه صباح مساء ، ونعلم كل العلم أنه عربى ، وبلسان عربى . ومن تحصيل الحاصل أن يقول مخلوق عاقل — فضلا عن الرب المتعالى عن النقائص — يا أيها الناس إن هـذا القرآن الذى بين أيديكم عربى وليس بعجمى . ويريد بذلك تقرير أنه عربى فحسب .

والواقع أن لهذه الآيات معنى آخر أسمى من هـذا المستوى الذى يريد المعارضون أن ينزلوا بالقرآن إليه .

وهذا المعنى : هو أن العلوم والمعارف ، والكتب السماوية السابقة ؛ قد نزلت كلها أعجمية ، فلو نزل القرآن بلغتها لقالوا : إنه منقول منها ،

---

(١) سورة الزخرف . آية ٣ (٢) سورة الأحقاف . آية ١٢
(٣) سورة مريم . آية ٩٧ (٤) سورة طه . آية ١١٣

ومأخوذ عنها — وقد قال ذلك فعلا بعض المكذبين — ولغة العرب لم ينزل بها كتاب سماوى سوى القرآن ، وقد أرسل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أمّيا لا يقرأ ولا يكتب ؛ لئلا يُتَّهَمَ بقراءة الكتب السابقة، واختراع هذا القرآن من عند نفسه . وقد نزل القرآن الكريم عربيا باللغة التى لم ينزل بها كتاب من قبل .

وهذه هى حكمة ذكر هذه الآيات وأمثالها فى القرآن .

ويصح أن يكون معنى هذه الآيات : يا أيها العرب إنا أنزلنا هذا القرآن عربيا بلغتكم ، فما بالكم لا تفهمونه . لا أنه يريد أن يقول : إنا أنزلنا لكم قرآنا عربيا فلا تترجمونه للأعاجم، ودعوهم فى جهلهم وكفرهم كما فهم المعارضون فى هذه الآيات .

وهناك معنى آخر لهذه الآيات : وهو أنها نزلت لما اعترض العرب على القرآن وقالوا : إن فيه ألفاظا خاطئة ليست من العربية . كقوله تعالى ﴿ عُجَابٌ ﴾[1] و ﴿ كُبَّارًا ﴾[2] وأمثالها مما توهموا فيه ذلك لجهلهم ، وقد اتضح أنه من صميم العربية . فنزلت هذه الآيات وأمثالها ؛ لتعريف أن القرآن عربى غير ذى عوج[3] . أى ليس به خطأ كما ظننتم وتوهمتم .

جهل المعارضين بمعانى القرآن

وقد استدل بعض المعارضين أيضا بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ

---

(١) سورة ص . آية ٥ وتمامها « أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب » .

(٢) سورة نوح . آية ٢٢ وتمامها « ومكروا مكرا كبارا » .

(٣) وذلك لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » .

عربي مبين ﴾[١]. وقوله جل شأنه : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾[٢].

وقد طنطنوا بهاتين الآيتين . وقالوا : إن الله تعالى قد رفض أن يكون القرآن أعجميا ، وأن ينزله أعجميا .

ولا أدرى ولا المنجم يدرى : أين يوجد المعنى الذى ذهبوا إليه ؟ وإنما الذى أستطيع أن أعلمه وأدريه ، ويعلمه سائر الناس ويدرونه : هو أنهم قد أساءوا فهم هذه الآيات ، وقد عاقهم حبهم للمعارضة عن فهمها بالمعنى الذى أنزلت من أجله .

يريد الله تعالى أن يقول : إنكم معشر المكذبين الذين تدعون أن محمدا لم يأت بهذا القرآن من عند الله تعالى ، وإنما علمه إياه بعض الأعاجم[٣] ؛ مخطئون ومخالفون للعقل والمنطق السليم . وكيف تعتقدون ذلك وتقولونه ، مع أن هؤلاء الأعاجم الذين اتهمتموهم باختلاق القرآن لمحمد ، لم يكونوا من العرب الذين يتقنون العربية ، فكيف ينشئون هذا المنطق الفصيح المبين ؟ ونحن لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم فقرأه عليكم بالعربية ؛ لما آمنتم لفرط عنادكم ، ولازددتم طغيانا وكفرا .

---

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ (٢) سورة الشعراء . آية ١٩٨

(٣) وذلك لقوله تعالى « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » وكانوا يعنون بذلك غلاما لحويطب ، يقال له (عائش) أو (يعيش) وكان صاحب كتب . أو هو (جبر) غلام رومى لعامر بن الحضرمى ، أوهما عبدان (جبر ويسار) كانا يقرآن التوراة والانجيل . فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع لما يقرآن . أو هو سلمان الفارسى . وكلهم أعاجم لا يتقنون العربية .

والمطلع على هذا يرى أنه بعيد كل البعد عما ذهبوا إليه وتوهموه .

وإن أخوف ما نخافه على القرآن الكريم ، هو من المعارضين المحرفين لمعانيه ، لا من المترجمين الساعين لنشر آدابه وأحكامه .

الذى يصح حجة للعرب يجوز حجة للعجم

ومن أغرب الغرائب أن يستدل المعارضون على منع الترجمة بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[1] .

وقد فهموا فى هذه الآية — مع أنهم من صميم العرب وجلة العلماء والفضلاء — أنها جاءت لمنع الترجمة ، وأن الله تعالى قد أنزلها ليمنع عن أكثر من تسعة أعشار العالم : استماع القرآن ، والاهتداء بهديه ، والاستنارة بنوره .

أنزلها ليقول لأمة العرب : إياكم وتبليغ القرآن إلى مَنْ عَدَاكُمْ من الأمم ؛ فإليكم وحدكم أنزلته ، وعن غيركم منعته ، وأنتم المكلفون ، وغيركم ليسوا مسئولين ولا معذبين .

هكذا فهم المعارضون ، وهكذا يريدون أن يفهم الناس جميعا .

مع أن هذه الآية لا تحتمل إطلاقا ما ذهبوا إليه ، وهى — كما يرى المطلع المنصف — دليل ناصع ، و برهان قاطع على وجوب الترجمة كما سنبين :

يقول الله تعالى : ولو جعلنا هذا القرآن العربى أعجميا ؛ لقالت العرب : كيف نطيق ذلك ؟ وهل فى وسعنا أن نفهم غير لغتنا ؟ وهلا أنزله الله تعالى

---

(١) سورة فصلت - آية ٤٤

عربيا لنستطيع قراءته وتدبره ؟ وهل يصح أن نكون عربا ، وينزل لنا القرآن أعجميا ؟

الناس سواء في وجوب التبليغ اليهم

وهنا فقط يصح لنا أن نسائل حضرات المعارضين الأفاضل، المدافعين عن الإسلام من الخطر، والمحافظين على القرآن من الضياع : أليس بنو آدم سواسية، يستوى فيهم عربهم وعجمهم ، تركهم وديلمهم ، أمام خالقهم وبارئهم ؟

ألا يستوى كل واحد منهم فى وجوب تبليغ الرسالة إليه ، ووجوب إعذاره و إنذاره ، ووجوب تخويفه وتبشيره ؟

وهل إذا قامت الحجة للعرب فى أمر من الأمور ، ألا يصح أن تقوم تلك الحجة نفسها للعجم الذين هم مستوون مع العرب فى البشرية والإنسانية والآدمية ؟

يقول الله تعالى : لو جعلنا هذا القرآن أعجميا ، لَٱحْتَجَّت العرب وقالت : هلا أنزل عربيا ؟

فكذلك تكون حجة الأعاجم — لو لم يترجم لهم القرآن بلغتهم — يقولون : هلا جاءنا القرآن أعجميا بلغتنا ؟

ومن المعلوم أن الله تعالى قد أنزل هذا القرآن لأناس تعقل وتفهم وتقيس . ويعلم أنهم — لا شك — فاهمون مهمتهم الأولى فى هذه الحياة ، وهى إيصال ذلك الهدى و إذاعة هذا النور الذى أرسله للناس كافة ، وأنزله لتخليص البشرية من أوضارها[1]، وإنقاذ الأمم من جهالاتها وشرورها .

(١) أوضارها : أوساخها .

سبب عدم الترجمة في العصور الأولى

قد يقول قائل: قد أنزل هذا القرآن على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم — وهو إمام الهادين المهتدين ، ورسول الله تعالى إلى الخلق أجمعين — فلم يترجمه ، ولم يأمر بترجمته ، ولم ينطق به إلا بلسانه ، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده .

وجوابنا على هذا : أن جزيرة العرب فى ذلك الحين لم يتم بعد إيمانها ، ولم يكتمل إسلامها . وليس من الحكمة فى شىء أن يدع الرسول عليه الصلاة والسلام بلده وأهله فى ظلام دامس ، وضلال مستمر ؛ وينير بلادا نائية ، ويهدى أناسا أباعد . وهو الذى أنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) . أى ابدأ بمن هم أقرب إليك .

وجوب الترجمة الآن

أما الآن وقد دانت العرب للاسلام ، وأحست العجم بما هم فيه من الظلام (٢) ؛ فقد وَجَبَتْ ترجمة القرآن ، وحَقَّ تبليغه لسائر بنى الإنسان .

واستدل المعارضون أيضا بقوله عز وجل : ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤

(٢) لقد قام دعاة الإصلاح فى شتى الممالك الغربية ينادون بوجوب تعديل قوانينهم الوضعية إذ قد ثبت عجزها عن إصلاح المجتمع ، ولأن تعداد الجرائم يزداد يوما عن يوم بدرجة تدعو إلى البحث والتفكير . وقد دعا أحد كبار الأمريكيين إلى بحث القوانين السماوية ، ومعرفة ما قررته من عقوبات لبعض الجرائم .

وفى وسعنا أن نقول : إن بلاد الحجاز الآن تكاد تنعدم الجريمة فيها إطلاقا ، وما ذلك إلا لتنفيذ العقوبات الرادعة ، التى وضعها خالق الناس ، ومن هو أدرى بالناس من الناس .

(٣) سورة الأعراف . آية ٢

ومعنى ذلك — كما يتضح لمن عنده أدنى إلمام بالعربية — إنذار الكافرين ، وتذكير المؤمنين .

وليس أمامنا سوى أمرين لا ثالث لهما ، وهما إما أن نعتبر الأمم الأعجمية كافرة ؛ وفى هذه الحال يجب إنذارها بالقرآن ، وأن يكون هذا الإنذار بلسانها ولغتها . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (١) . وقال أيضا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) .

و إما أن نعتبر هذه الأمم غير كافرة ، وغير مكلفة ، وغير مسئولة . وهذا ما لم يقله أحد ، ولن يقوله أحد .

هل تعقل تلاوة القرآن بالعربية لمن لا يفهمها ؟

ومما يثير الدهش ، و يحمل على العجب ؛ أن يستدل المانعون — رغم سعة علمهم ، وعظيم اطلاعهم — على المنع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٣) . وقوله جل شأنه : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٤) . وقوله عز من قائل : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ (٥) . وقوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة إبراهيم . آية ٤ (٢) سورة البقرة . آية ٢٨٦
(٣) سورة الأنعام . آية ١٥١ (٤) سورة الرعد . آية ٣٠
(٥) سورة الكهف . آية ٢٧ (٦) سورة النمل . آية ٩٢
(٧) سورة التوبة . آية ٦

وكأنى بهـم وقد أوردوا هذه الآيات لاشتمالها على الأمر بتلاوة القرآن على الكفار ، وغاب عنهم أن المقصود بالتلاوة هنا ليس التلاوة بالعربيـة التى لا يفهمونها ؛ وذلك بقصد التعبد فحسب ، بل المقصود بها : البيـان لهم ، و إفهامهم و إسماعهم .

و إذا نحن بَيَّنَّـا وأفهمنا وأسمعنا الكافر العربى ؛ فمن يُبَيِّن و يُفْهِم ويُسْمِعُ الكافرَ الأعجمىَّ ؟

وها نحن أولاء نورد معنى هذه الآيات التى غاب عنهم فهمها ، أو تغابوا — عامدين — فى فهم معناها .

يقول الله تعـالى : قل يا محمد للكفار جميعا — عربهم وعجمهم — تَعَالَوْا أَتْلُ عليكم ما حَرَّمَهُ رَبُّكُمْ . وهو : ألَّا تشركوا به أحدا غيره ، وأن تحسنوا الى والديكم .

فهـل يرى المعارضون أن النهى عن الشرك ، والأمر بالإحسان إلى الوالدين ؛ هو للعرب فقط دون غيرهم ، فلا بأس من أن يشرك بالله تعالى غيرهم من الأمم ، وأن تعق والديهم .

يقـول الله تعـالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) .

فلنتصوّر مثلا أننا فى حالة حرب ، واستجار أحد كفار الأعاجم بأحد المسانعين ؛ فكيف يسمعه كلام الله تعالى بعربيته هذه ؟

(١) سورة التوبة . آية ٦

وإذا أسمعه كلام الله تعالى بعربيته — التى لا يفهمها ولا يعلمها — هـل يكون متبعا لقول الله تعـالى ، ومُنَفِّذًا لأمره.: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ؟

وهل الذى يسمع ما لا يفهم، يكون سامعا ؟ وكيف نسمع المشركين ما لا يفقهون ، ونكلفهـم ما لا يطيقون ؟ وقد قال تعـالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٢

نزول القرآن لسائر الناس

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) . وقال أيضا : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

فكيف يكون ذكرا للعالمين ولما يأت الأعاجم نبؤه ، ولما يدركوا تأويله ، ولما يفقهوا له معنى ، أو يفهموا له مغزى ؛ وهم من جملة العالمين .

وكيف يستطيع الأعجمى أن يقرأ العربية ، أو العربى أن يقرأ الأعجمية ؟

يريد الله تعالى بقوله هذا الذى أنزله على نبيه العربى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى أمته العربية : يا أيها العرب إننى قد أنزلت هذا القرآن تذكرة للعالمين ، فاسعوا — يا من نزل القرآن بلغتهم — إلى تبليغه لسائرهم . وإلا لكان الأمر مما تَنَزَّهَ عنه المولى جل شأنه .

إذ لا يعقل أن ينزل الله تعالى القرآن على أمة العرب فقط ، وينهى عن نقله إلى لغات بقية الناس . ويقول : إنى أنزلته لسائر الناس : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) سورة القلم . آية ٥٢

(٢) سورة يوسف . آية ١٠٤

وجوب إذاعة القرآن بين الخليقة

وقد أورد بعض المعارضين للترجمة قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) . وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٢) .

وقد قال ذلك المعارض بعد إيراد هاتين الآيتين ما نصه :

« وهنا لطيفة قرآنية يفهمها أرباب الفهم ؛ فان الآية الثانية ، وهى قبل الأولى نزولا ؛ نبهت إلى أنهم سوف يسألون عن المحافظة على هذا الذكر ، وإشاعته فى خليقته » .

وكأن هذا المعارض يرى أن أمة الإنجليز — مثلا — أو الأمم الفرنسية والإيطالية ، والأمريكية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، وغيرهم . ليسوا من الخليقة التى يطلب إشاعة القرآن فيهم ، وتبليغه إليهم .

المانعون للترجمة صادّون عن القرآن

واستدل أيضا بعض المانعين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣) . قائلا : إن الترجمة هى هجر للقرآن .

وعلى هذا المذهب فهو يرى أن الذين يريدون أن يتناول القرآن سائر من فى الأرض ، وتقرأه جميع الأمم المتمدينة ، ويعمل به سائر الآدميين ؛ يعتبرون فى نظره هاجرين للقرآن ، صارفين عنه .

ويرى أن المانعين للترجمة ، الذين يقصرون القرآن على الأمة العربية — التى هى أقل بكثير من عشر العالم — ويحرمون على بقية الأمم المتحضرة

---

(١) سورة الأنبياء . آية ١٠ (٢) سورة الزخرف . آية ٤٤

(٣) سورة الفرقان . آية ٣٠

قراءته ، وحمله ومسه ؛ يعتبرون متمسكين به ، مذيعين لأحكامه ، موفين لحقه ، غير هاجرين له .

ألا إنهم يأتون منكرا من القول وزورا ؛ إذ ينسبون للمولى جل شأنه الظلم ؛ حيث يدعون أنه أنزل القرآن عربيا ، وأبى علينا أن نترجمه للأمم الأعجمية . وبعد ذلك يسأل سائر الأمم على السواء ، ويعذب من لم يعمل بالقرآن ؛ سواء منهم من سمعه ومن لم يسمعه ، ومن بلغه ومن لم يبلغه . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

القول الفصل في وجوب الترجمة

ونرى أن القول الفصل في هذا ، هو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ [1] ﴾ .

ومعنى هذه الآيات القاطعة في الدلالة على ما نحن بسبيله : أنا ﴿ آتَيْنَا مُوسَى ﴾ عليه السلام ﴿ الْكِتَابَ ﴾ : التوراة . ﴿ تَمَامًا ﴾ للنعمة . ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ بالقيام بالأوامر ، واجتناب النواهي ، ﴿ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

---

(١) سورة الأنعام . من آية ١٥٤ إلى ١٥٧

يحتاجون إليه فى دينهم ودنياهم ، ومعادهم (١) ومعاشهم ، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ : يعنى بنى اسرائيل . ﴿ وَهَذَا ﴾ : أى القرآن . ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ أيها الناس ، ولا تكفروا به كما كفر بنو إسرائيل بكتابهم . ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ العذاب ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ باتباعكم له ﴿ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا ﴾ أى : أنزلنا هذا القرآن لئلا تقولوا : ﴿ إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ : اليهود والنصارى ، ولم ينزل علينا شىء . ﴿ وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ . أى : وإن كنا عن قراءة تلك الكتب التى أنزلت لعاجزين ، لعدم معرفتنا لها ؛ ولأنها ليست بلغتنا . ﴿ أَوْ تَقُولُوا ﴾ : أو لئلا تقولوا : ﴿ لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ ﴾ الذى أنزل عليهم ؛ ﴿ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ لصفاء أذهاننا ، وجودة قرائحنا . ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ قطعا لأعذاركم ، وإسقاطا لحجتكم : ﴿ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ وهو القرآن . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ بعد أن وضحت له ، وصارت فى متناول يده ولسانه ، وفى وسع عقله وذهنه ؛ ﴿ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ : أى صدّ الناس عنها ، ومنعهم عن معرفتها والانتفاع بها . ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ .

وكيف لا يكون صادا عن القرآن ، صارفا عنه ؛ من يحيطه بجو من الغموض والإبهام . حتى لا يكاد يقرؤه من يتقن القراءة ، ويجيد الكتابة (٢) ؟

---

(١) المعاد : المرجع ، والمصير ، والآخرة .

(٢) اقرأ ما كتبناه فى « هجاء القرآن ورسمه » من هذا الكتاب .

كيف لا يكون صادا عن القرآن وصارفا عنه : من يمنع ترجمته فلا تتناوله سائر الأمم الأعجمية ، الذين يستوون معنا فى الإنسانية والآدمية ؟ بل وهم مخاطبون فى نفس القرآن ، المنزل من الرحمن ، لهداية سائر بنى الإنسان !

وقد أراد الله تعالى بقوله : ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ : أن يبين لنا وجوب تبليغه لسائر الأمم ، خشية أن تقول الأمم الأعجمية يوم القيامة : إنما أنزل القرآن على أمة العرب فقط ، ولم ينزل إلينا ، ولم يأتنا بشير ولا نذير .

اختلاف الحواريين على عيسى

وقد استدل أيضا بعض المعارضين — غفر الله تعالى له — بحديث شريف ، هذا نصه :

« خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله تعالى عليهِ وسلم على أَصْحَابِهِ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّى قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وكَافَّةً فَأَدُّوا عَنِّى يرحَمْكُمُ اللهُ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَىَّ كَاخْتِلَافِ الحَوَارِيِّينَ(١) على عِيسى ابنِ مَرْيَمَ . قالوا : يا رسولَ اللهِ وَكَيْفَ كان اخْتِلَافُهُمْ ؟ قال : دَعَا إلى مِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ إليهِ . فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكَرِهَ وَأَبَى . فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسى إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، فأصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ القَوْمِ الذِينَ بُعِثَ إليهم . فقال عِيسى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِ فَامْضُوا(٢) » .

---

(١) حوارى الرجل : خاصته وناصروه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « الزبير بن العوام ابن عمتى ، وحوارى من أمتى » .

(٢) قد أورد المعارضون هذا الحديث نقلا عن تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى .

وهـذا الحديث الذى أورده المعارضون — خطأ — لصالحهم ؛ هو من أقوى الأدلة ، وأوثق البراهين على وجوب الترجمة كما سنبين :

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّى قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » : أى لجميع الخلق ، لا فرق بين عربى وعجمى . « فَأَدُّوا عَنِّى يَرْحَمُكُمُ اللهُ » : أى فقوموا بمهمة التبليغ من بعدى .

ولا يخفى أن تبليغ القرآن للأعاجم بلغة العـرب غير ميسور ، وغير معقـول ، وغير مقبول ؛ إذ كيف يفهمون ما لا يدرون ، و يعملون بما لا يعلمون .

والمقصود من قوله صلى الله تعـالى عليه وسلم : « دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْـهِ » : أى دعا عيسى عليه السلام لمثل ما دعوتكم إليـه من تبليغ الدعوة ، وأداء الرسالة . « فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلَّمَ » : أى من قرب به هـذا الأمر ، وذلك التبليغ ، وكان سهلا عليـه ؛ لمعرفته لهجات القبائل ، ولغات الأمم التى يراد إرساله إليهـا ؛ فأحب تلك المهمة ، وسلم بقبولها . « وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ » : أى من بعد به هذا الأمر ، وشق عليه ؛ لأنه لا يعلم ، ولا يتقن سوى لغته التى درج عليها ، ولهجته التى يتكلم بها « فَكَرِهَ وَأَبَى » هذه المهمة ؛ حيث انه لا يطيقها ، ولا يستطيع القيام بها « فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُـمْ عِيسَى إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » : أى شكا إلى الله تعـالى عجز أصحابه وأنصاره ، وعدم استطاعتهم التبليغ ؛ فأجاب الله تعالى شكايته ، وقبل رجاءه ، وأزال تلك العقبة التى اعترضتهم . وذلك بأن عَلَّمَ كُلَّ واحد منهم لغة القوم الذين بعث إليهم .

يدل على ذلك سياق الحديث : « فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ ... الخ » .

وجوب تعلم اللغات

أما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَاخْتِلَافِ الْحَوَارِيِّينَ على عِيسَى ابن مَرْيَمَ » . فمعناه : لا تعترضوا مثل اعتراضهم ، وتقولون : كيف نُبَلِّغُ أقواما لا نعرف لغاتهم؟ بل تَعَلَّمُوا اللغات ، واسعوا إلى التبليغ بكل الطرق ، وكافة السبل ، لأن هذا العصر الذى نحن فيه ؛ ليس بعصر خوارق العادات ، وعكس المألوفات ؛ كعصر عيسى عليه السلام ؛ الذى حصل فيه إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ؛ بل هو عصر لا يخرج فيه شيء عن حد المعقول والمألوف :

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ به ... حِرْصًا علينا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

وهذا هو المعنى الوحيد لهذا الحديث الذى أورده المعارضون سلاحا لهم ، فانقلب سلاحا عليهم .

وإلا فماذا يكون المعنى إذا جعلنا أمام أعيننا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّى قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ (١) ؟

أما المعنى الذى ذهب إليه المعارضون فى هذا الحديث ؛ فلا يستقيم لغة ، ولا دينا ، ولا فقها . وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن الحواريين اختلفوا على عيسى عليه السلام ، وخالفوه وأغضبوه . مع أنهم بنص القرآن الكريم

---

(١) سورة سبأ . آية ٢٨ .

أنصاره إلى الله تعالى، ولم يرد فى القرآن ما ينافى طاعتهم له، ونصرتهم إياه. بل قد ورد أنهم المثل الأعلى فى الطاعة والنصرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ. قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (١).

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (٢). فهو كقول ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى. قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (٣). وأمثال ذلك فى القرآن كثير.

وهذا هو معنى الحديث الذى أقحموه ليدللوا به — لا على تحريم الترجمة فحسب — بل على تحريم تعلم اللغات أيضا، وأن تعلمها يكون عقوبة من الله تعالى يصيب بها من يغضب عليه من عباده.

فانظر أيها المسلم اللبيب إلى أى حدّ بلغ بنا حب الجدل والمعارضة، وشهوة الفوز والنصر.

لقد بلغ بنا ذلك إلى حدّ إلغاء عقولنا وأفهامنا، والتغرير بالسذج والبسطاء من الأمة، واللعب بألبابهم. وهذا أخف الضررين، وأقرب الفرضين؛ أما إذا كانت الأخرى، وكانوا يثقون بما يقولون، ويعتقدونه ويفهمونه هذا الفهم الذى دوّنوه فى كتبهم، وساقوه لجمهور الأمة؛ فعلى الدنيا السلام، وعلى العلم العفاء!

---

(١) سورة الصف. آية ١٤ (٢) سورة المائدة. آية ١١٢

(٣) سورة البقرة. آية ٢٦٠

القرآن روح لا كالأرواح

واسمع أيها القارئ الكريم واعجب معى : كيف أنهم لم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز فى لغة القرآن ، حيث يقولون :

القرآن روح ، والروح لا يترجم . مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(١) . وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢) . وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾(٣) . وقوله : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٤) . وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾(٥) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾(٦) .

القرآن نور لا كالأنوار

وقالوا أيضا : القرآن نور ، والنور لا يترجم . واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾(٧) . وقوله ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٨) . وقوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٩) .

---

(١) سورة النحل . آية ٢
(٢) سورة النحل . آية ١٠٢
(٣) سورة الشعراء . آية ١٩٣
(٤) سورة غافر . آية ١٥
(٥) سورة الشورى . آية ٥٢
(٦) سورة المجادلة . آية ٢٢
(٧) سورة النساء . آية ١٧٤
(٨) سورة الأعراف . آية ١٥٧
(٩) سورة الشورى . آية ٥٢

وقد تكلم المعارضون فى هذا الصدد كلاما يشككنا فى عقولنا أو عقولهم إذ أنهم ذهبوا إلى أن ما جاء فى هذه الآيات حقيقى لا مجازى، وأن ما ورد فيها من وصف القرآن بالروح؛ إن هى إلا روح كسائر الأرواح التى فى الأجساد، والتى لا تُرَى، ولا تُحَسّ، ولا تُمَسّ. وأن ماجاء فيها أيضا من وصف القرآن بالنور؛ إن هو إلا ضوء كسائر الأضواء، التى لا جرم لها. فكيف تُتَرجَمُ الرُّوحُ، أو يُتَرجَمُ النور؟

وقد غاب عنهم أن القرآن الكريم روح وأى روح! ولكن ليس بالروح التى يجوز عليها ما يجوز على سائر الأرواح. وأنه نور وأى نور! ولكن ليس بالنور الذى له انطفاء، وليس له بقاء.

إنما القرآن روح تحيا به النفوس والقلوب، بعد أن ماتت بأدران الكفر، وأوضار[1] الذنوب.

إنما القرآن نور ينير ظلام الجهل، لا ظلام الليل؛ وشتان بين الروحين، وشتان بين النورين!

المرء بأصغريه

وليس الإنسان بانفتاح عينيه، وتحريك فَكَّيْه، وانبساط يديه ورجليه؛ فهذه كلها تشركه فيها سائر الحيوانات العجماوات. وإنما الإنسان بعقله الغريزى الفطرى، الذى تفرد الله تعالى بصنعه. وقد ورد فى الحديث القدسى مخاطبة للعقل بعد خلقه "فَبِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقِبُ".

---

(١) أوضارها: أوساخها.

تحكيم القرآن للعقل

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١) ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢) ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ، لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٤) ، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) ، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (٦) ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ (٧) ، أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ (٨) ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ (٩) ﴾ .

فتعالوا بنا أيها المعارضون نتدبر آى القرآن الكريم ، ونطبقها على قواعد المنطق المستقيم ، وعلى سنن العقل القويم .

لا تحاسب الأمم إلا بعد سماع الآيات

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا (١١) ﴾ .

وهذا يدل على أن الأمم لا تستوجب العذاب ، ولا يحق عليها العقاب ، إلا إذا سمعت الآيات ، وزجرت بالعظات : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٢) ﴾ .

فبأى طريق نسمع أبناء التاميز (١٣) ، وأبناء الرين (١٤) ، وأبناء الدانوب (١٥) ؟

---

(١) سورة البقرة . آية ٦٤ (٢) سورة يونس . آية ٦٧

(٣) سورة يونس . آية ٢٤ (٤) سورة الأنعام . آية ٩٨

(٥) سورة الأنعام . آية ١٠٥ (٦) سورة الأنعام . آية ١٢٦

(٧) سورة النساء . آية ٨٢ (٨) سورة المؤمنون . آية ٦٨

(٩) سورة ص . آية ٢٩

(١٠) أمها : عاصمتها . وأم كل شىء : أصله وعماده . وأم القرى : مكة شرفها الله تعالى لأنها قبلة الناس يؤمونها ، أو لأنها أعظم القرى شأنا .

(١١) سورة القصص . آية ٥٩ (١٢) سورة الإسراء . آية ١٥

(١٣) التاميز : نهر بانجلترا . (١٤) الرين : نهر بفرنسا .

(١٥) الدانوب : نهر برومانيا . ويسمى أيضا : نهر الطونة .

أنسمعهم الكتاب الكريم بعربيته هذه ؛ وهم لا يكادون يفهمون حرفا منه؟ أم نلزمهم العمل بما فيه، ولما يأتهم اسمه، فضلا عن رسمه. وليس فى وسعهم رؤيته، فضلا عن قراءته ؟ وقد حرّمنا عليهم حمله ومسّه [١].

وأين هـذا من قول الحكيم العليم : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢] . و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [٣] .

من لم يتل عليه القرآن ليس بكافر

يقول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٤] .

يؤخذ من هذه الآية : أن الكفر الموجب لعذاب جهنم يستلزم إتيان الرسـل للأمم ، وتلاوة الآيات عليهم ، وكفرهم بعد ذلك بهؤلاء الرسل ، و إنكارهم لهذه الآيات .

فما قول المعارضين فى أن سائر الأمم الغربيـة لم تأتهم رُسُلٌ، ولم تُتْـلَ عليهم آيات .

ولو سـيقوا إلى جهنم ، وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسـل منكم ، يتلون عليكم آيات ربكم ؛ لقـالوا للخزنة : لا ، لا . لم يأتنا

(١) وذلك لقوله تعالى « لا يمسه إلا المطهرون » على مذهب من يؤول ذلك بتحريم مسه وحمله على الكافر والمؤمن غير المتوضئ . انظر ما كتبناه عند « جواز مس المصحف لغير المسلم » وما بعده .

(٢) سورة الأنعام . آية ١٥٢ (٣) سورة الطلاق . آية ٧

(٤) سورة الزمر . آية ٧١

رسول ، ولم تُتلَ علينا آياتٌ ، ولم يُنْذِرْنَا نذير بلقاء هذا اليوم ، فلِمَ تعاقبوننا ، وعلام تحاسبوننا ؟

وبذلك يكونون غير ملومين ، وغير معذبين . بل وليسوا بكافرين .

أما إذا ترجمنا لهم الآيات ، وأسمعناهم العبر والعظات ؛ كانوا عن ذلك مسئولين ، ومجزيين . ومن آمن منهم نجا ، ومن كفر بالآيات — بعد أن سمعها — ذل وهوى ، وسقطت حجته ، ووهنت معذرته ، وحق عليه أن يدخل جهنم ، وأن يقول له خزنتها : ألم يأتك رسل من جنسك (البشر) يتلون عليك آيات ربك ، وينذرونك لقاء يومك هذا ، واصطلاء هذا العذاب ؟

وحَقَّ عليه أن يقول وقتئذ : بلى قد جاءتني الرسل ، وتُلِيَتْ عَلَيَّ الآيات ، فكذبت بها وعصيت ؛ فَحَقَّ عَلَيَّ العذابُ والعقابُ ؛ حيث كنت من الكافرين المكذبين .

من لم يصله القرآن بلغته فليس بكافر

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ (١) . فقيد الكفر بمجيء القرآن .

وكيف نعد الذي لم يأته الذكر كافرا ، وهو لم يأته بشير ولا نذير ؟

وقال عز من قائل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة فصلت . آية ٤١ (٢) سورة المائدة . آية ١٩

ولا يخفى على ذى بصيرة أن المراد بذلك هو القرآن الكريم، وأن القرآن إذا لم يترجم ويتناوله سائر الناس؛ قامت لهم الحجة على الله تعالى، ولم يستوجبوا عذابا ولا عقابا . وكان شأنهم كشأن أهل الفترة[١] تماما : لا يحاسبون، ولا يعذبون .

كان القرآن أعجميا وترجم الى العربية

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾[٢] . أى : إن هذا لفى كتب المتقدمين (التوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها من الكتب) .

ولا يخفى أن الكتب المنزلة كان بعضها عبريا، و بعضها سريانيا، وهى لغات أعجمية . وقد ترجمها الله تعالى لنا إلى العربية ، وعرفنا ذلك لنتأسى بما فعله، ونتَّبِع ماسنَّهُ .

إنذار الكافرين الذين قالوا : آتخذ الله ولدا

قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٣] .

ومعنى هذه الآيات : أن الله تعالى أنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن لينذر به الكافرين بالهول والعذاب ، و يبشر المؤمنين بالأجر والثواب ، وينذر به الذين قالوا : اتخذ الله ولدا . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

---

(١) الفترة : المدة التى تنقضى بين إرسال رسولين .
(٢) سورة الشعراء . آية ١٩٦ (٣) سورة الكهف . من آية ١ الى آية ٥

فهل بعد هذا نقول : لا تجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأعجمية . وبذلك نوقف هـذا الإنذار ، ونعوق ذلك التبشير . خصوصا عن الأمم الأعجمية التى قالت — ولا تزال تقول : — اتخذ الله ولدا ، اتخذ الله ولدا .

إنذار الظالمين وتبشير المحسنين

قال تعـالى : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

فقد جعل الله تعالى فى هذه الآية القرآن نذيرا للذين ظلموا — وهم الكفار . لا فرق بين عربيهم وعجميهم ، شرقيهم وغربيهم — فكيف ننذر به الأعاجم إن لم يترجم إلى لغاتهم ، ويصير فى متناول عقولهم ، وألسنتهم ، وأذهانهم ؟

القرآن هو البلاغ الواجب التبليغ

قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) .

أى : ليس على الرسل عليهم السلام سوى التبليغ المبين ، الموضح .

فهل إذا أبلغت عربيا بالانجليزية ، أو إنجليزيا بالعربية ؛ تكون مبينا له ، أو مبهما عليه ؟

لا شـك فى أن الإبانة : هى التبليغ بلغة المبَلَّغ إليـه ، لا بلغة المبَلِّغ . ولا ريب فى أن ما عدا ذلك لا يكون تبليغا ، ولا يكون إبانة .

وجوب ترجمة نفس القرآن لا أحكامه

قد يقول قائل : إن البلاغ لا يجب أن يكون نفس القرآن ، بل يكفى ما يوصل إلى التوحيد ، والأوامر والنواهى فحسب .

وللاجابة على ذلك : نكتفى بأن نورد قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) أى « هذا » القرآن « بَلَاغٌ لِلنَّاسِ » جميعا : عرب وعجم . فالقرآن نفسه هو البلاغ ، وهو الواجب التبليغ ، و بالتالى واجب الترجمة لجميع الأمم .

(١) سورة الأحقاف . آية ١٢ (٢) سورة النحل . آية ٣٥
(٣) سورة ابراهيم . آية ٥٢

هل الأعاجم مكلفون أم لا ؟

قال الله تعالى : ﴿ٱتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(١) . فهل يرى المانعون أن أمة الإنجليز — مثلا — أو الطليان ، أو الفرنسيين ، أو الألمان ، مكلفون باتباع هذا القرآن ، بنص هذه الآية أم لا ؟

وإذا كانوا مكلفين باتباعه مع تحريم ترجمته إليهم ، ومع عدم معرفتهم للغة العربية — التي هي لغة القرآن — فكيف يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقون ، وهو القائل : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) .

وإذا كانوا غير مكلفين بالاتباع ، فهل هم مسئولون ، ومجزيون ، ومحاسبون أم لا ؟

وقال تعالى أيضا : ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣) .

فاذا نحن قلنا بمنع الترجمة ، كان الأمر باتباع القرآن قاصرا على أمة العرب فقط ، وتكون سائر الأمم الأخرى غير مكلفين ، وغير معذبين ، وغير مسئولين .

وإذا قلنا : انهم مسئولون ، نسبنا إلى المولى تعالى أنه ما أنشأهم إلا ليعذبهم ، وما خلقهم إلا ليظلمهم . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

وجوب تلاوة القرآن على الكفار بلغتهم

قال تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأعراف . آية ٣ — (٢) سورة الأنعام . آية ١٥٢

(٣) سورة الأنعام . آية ١٥٥ — (٤) سورة البقرة . آية ١٥١

يؤخذ من هذه الآية: أن من شرائط وصول القرآن؛ أن يتلى على القوم المراد إيمانهم: ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ ويُفَهَّم ويُعَلَّم. وتلك التلاوة وهـذا التفهيم والتعليم بلغتهم طبعا يا ذوى العقول والأفهام.

وكما أن الله تعالى خص محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة العامة، وبالبعثـة الى الخـلق كافة؛ فقـد خص أمتـه بوراثة الأنبيـاء فى التبليغ وأداء الأمانة.

وقد جَعَلَ كل نبى شهيدا على أمتـه، وجَعَلَ هـذه الأمة شهيدة على سائر الأمم. قال تعالى: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١).

وقال تعالى على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٢).

ومعنى هذه الآية: أن من سمع القرآن واتبعه؛ فقـد اهتدى، ومن سمعه ولم يتبعه؛ فقد ضل.

من لم يسمع القرآن لا يعاقب

أما الذى لم يسمع، ولم يقرأ، ولم يتل عليه القرآن. بل وأهل القرآن أنفسهم يحرمون عليـه لمس المصحف ومسه؛ فهـذا بلا شك غير ضال، وغير معـاقب، وغير مسئول. بل الضال كل الضـلال، والمعاقب كل العقاب، والمسئول كل السؤال؛ هو الذى أُمِرَ بالتبليغ فلم يُبَلِّغْ، وعُهِـدَ اليه بالتيسير فلم يُيَسِّرْ، ووُكِلَ اليه التبيين فلم يُبَيِّنْ.

---

(١) سورة البقرة. آية ١٤٣

(٢) سورة النمل. آية ٩٢

قد يقول قائل : إن منطوق هـذه الآية وما سبقها من الآيات : أن نتلو القرآن على الكافرين بلغـة القرآن التى نزل بهـا ؛ لأنه لا يسمى قرآنا إذا انفصل عن عربيته التى نزل بها .

وجوابنا على هذا : أن سنة الله تعالى فى عباده أن يخاطبهم بما يفهمون، ويكلفهم ما يطيقون، ويأمرهم بما يستطيعون، ولم تجرِ سنته تعالى أن يكلف الأعمى بالإبصار، والأبكم بالبيـان، والأصم بالسماع، والكسيح بالسبق .

ولا أن يكلف الأعجمى بالعربية ، والعـربى بالأعجمية ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾(١) .

ودليلنا فى هـذا هو دليل المـانعين الذى يتشدقون به فى كل حين . وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾(٢) .

ومعنى ذلك : يا أيهـا العرب إنا لم نكلفكم شططا ، ولم نلزمكم رهقا ؛ وإنما خاطبناكم بلغتكم التى درجتم عليها ، وسكنتم إليها .

الخلق كلهم سواسـية أمام خالقهم

والخلق جميعا — عجمهم وعربهم — أمام الخالق تعالى سواء . فكيف يُيسِّر للعـرب ، ويُعسِّر على العجم ، ويهـدى العربَ ، ويُضِلُّ العَجَمَ ، ويُسْعِدُ هؤلاء ، ويُشْقِي هؤلاء ، ويُنعِّم هؤلاء ، ويُعذِّب هؤلاء ، ويرسلُ للعرب قرآنا يهديهم به ، ويحرم على العجم تلاوته ومسه ؟

إن الله تعالى قد يسر للجميع ، وهدى الجميع ، وأعدّ النعيم لمن أحسن، والعذاب لمن أساء، وأرسل القرآن لجميع الخلق ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة فصلت . آية ٤٤ (٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) سورة يوسف . آية ١٠٤

فما بال المعارضين يحاولون تحميل البشر ما لا يطيقون، وتكليفهم بما لا يفهمون ، وأمرهم بما لا يستطيعون .

اللهم إن الحق بين لا يحتاج إلى مدافع ، والدليل ناصع لا يقوى على دفعه معارض .

وليس أمامنا الآن إلا إحدى اثنتين :

إما أن نعتبر سائر الناس — عدا الأمة العربية — غير مكلفين، وغير مسئولين ، وغير مجزيين . وفى هذه الحال نعطل دعوة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، وأنه أرسل الى الناس كافة .

و إما أن نعتبرهم مسئولين ، ومكلفين ، ومجزيين .

وهنا يجب إبلاغهم ما بَلَغَنَا، وإرشادهم الى ما أُرْشِدْنَا اليه، وهدايتهم الى ما هدِينا له ، وإنارة قلوبهم وأفئدتهم بما أنار قلوبنا وأفئدتنا .

القرآن هو السبب الوحيد للإيمان

أفرأيتم لو أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم فآمنوا بى . وسكت ولم يبد دليلا على رسالته غير هذه الدعوة ، ولم يُقِم برهانا على صدقه . ألا ترون أن جميع الناس فى حِلٍّ من تكذيبه وعدم اتباعه ؟

لكن الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم . فكذبناه ، وآذيناه ، وحاربناه ؛ فجاءنا بالقرآن ، فطأطأنا رؤسنا تسليما وطاعة وانقيادا !

لم يؤمن سائر العرب بالقرآن فكيف يؤمن الكفار بغير القرآن

لقد جاء الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالقرآن عربيا ؛ فلم تؤمن له سائر العرب ، بل وكذبه أكثرهم ؛ فما بال المعارضين يريدون أن تؤمن به الأعاجم من غير قراءة ، ولا تدبر !

اللهم إن هذا صد عن الدين ، وطعن فى عقلية المسلمين !

لم ينزل القرآن لأمة دون أخرى

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١) . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢) . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾(٣) : أى إن هذا القرآن أنزل ليتذكر به سائر الإنس ؛ عربهم وعجمهم — بل وسائر الجن أيضا — فما قول المعارضين فى هذا ؟

يقول الله تعالى : إن هذا القرآن قد أنزلناه لسائر الناس . ونريد نحن أن نقصر الدعوة على أنفسنا فحسب . كأن الله تعالى وقف دينه على أمة العرب وحدها ، واختصها من بين سائر الأمم — وكثير ما هم — بالجنة ، وحرمها على بقية الأمم ؛ بل وحرم الأمم الأخرى من نعمة سماع القرآن ، أو تفهمه ، أو قراءته .

تبليغ القرآن إلى الجن

قد يقول معاند — بمناسبة إيراد هذه الآية — حيث انك تريد أن توجب على الأمة العربية تبليغ القرآن لسائر الناس ، وهذه الآية تقرر أن القرآن قد نزل لسائر الإنس والجن ، وقد علمنا كيف نبلغه لغير العرب بالترجمة ، فقل لنا كيف نبلغه الى الجن أيضا ؟

وجوابنا على ذلك : أن النصوص القرآنية قد توافرت — كما قدمنا — على وجوب تبليغ القرآن الكريم لسائر الناس ، عربهم وعجمهم .

(١) سورة القلم . آية ٥٢ (٢) سورة يوسف . آية ١٠٤ (٣) سورة الأنعام . آية ٩٠

أما تبليغه الى الجن فقد قامت به فئـة من الجن أنفسهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾(١). وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا(٢) مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ(٣) قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ(٤) وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ(٥) وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٦) .

---

(١) سورة الجن آية ١

(٢) « وإذ صرفنا اليك نفرا » : أى أملناهم اليك ، وأقبلنا بهم نحوك . والنفر : دون العشرة

(٣) « فلما حضروه » : أى حضروا مجلس القرآن بحيث كانوا يسمعونه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٤) « فلما قضى » : أى انتهت قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن .

(٥) « أجيبوا داعى الله » : أى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم .

روى أن الجن كانت تسترق السمع من السماء ، فلما حرست السماء ، ورجموا بالشهب ؛ قالوا : ما هذا إلا لنبإ حدث . فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف الجن حتى بلغوا تهامة ، فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى ، فاستمعوا لقراءته .

وقيل : بل أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن ينذر الجن و يقرأ عليهم القرآن . وقد صرف اليه نفرا منهم . فقال لمن حضره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : إنى أمرت أن أقرأ الليلة على الجن فمن يتبعنى ؟ قالها ثلاثا . فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

قال عبد الله بن مسعود : لم يحضره ليـلة الجن أحد غيرى : لقد انطلقنا حتى اذا كنا بأعلا مكة فى شعب الحجون ، خط لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطا ، وقال : لا تخرج منه حتى أعود اليك . ثم افتتح القرآن ، وسمعت لغطا شديدا ، فلما عاد قال : هل رأيت شيئا ؟ قلت : نعم رجالا سودا . فقال : أولئك جن نصيبين ، وكانوا اثنى عشر ألفا .

(٦) سورة الأحقاف . من آية ٢٩ الى آية ٣١

وقد جرت عادة القـرآن الكريم على الإيجاز . وهو ضرب من ضروب بلاغته وإعجازه .

فيؤخذ من هـذه الآيات أن نفرا من الجن كانوا يستمعون القرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يبلغونه الى قومهم .

أما كيف كان الاستماع ، وكيف كان التبليغ ؟ وهل كانت لغة الجن العربية ، أم السريانية ، أم العبرية ؟ فهذا أمر لا يعلمه سوى الله تعالى . وإنما الذى علمناه وتيقناه أن ثمت سماع وتبليغ ، وأن ذلك التبليغ كان بلغة الجن أنفسهم : عربية كانت أو أعجمية .

بانذار أمة العرب يتم إنذار باقى العالم .

وهناك آيات قرآنية لو أولناها على ظاهرها ؛ لقصرنا الإنذار — لا على أمة العرب جميعها — بل على آل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقط . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) . فلو أخذنا ذلك المعنى على ظاهره ؛ لكان الدين وقفا على الأقرب من عشيرة الرسول عليه السلام فقط .

ولكن المنطق السليم يقول : انه صلى الله تعالى عليه وسلم بإنذار عشيرته ؛ يتم إنذار أمة العرب ، وبإنذار أمة العرب ؛ يتم إنذار بقية العالم . وهـذا هو المعقول والمقبول ، الذى لا يرتضى العقل سواه .

مثل القرآن والإسلام

قال صلى الله تعالى عليه وسلم " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا : صِرَاطًا (٢) مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَيِ الصِّرَاطِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤ (٢) « صراطا » : طريقا .

رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: ٱدْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلَا تَعْرُجُوا[(١)]. فَالصِّرَاطُ: الإِسْلَامُ. وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللهِ تَعَالَى. وَالأَبْوَابُ: مَحَارِمُ اللهِ. وَالدَّاعِي: القُرْآنُ» .

فما قول السادة المانعين فيمن لم ير هذا الصراط، ولم يعلم تلك الحدود ولم يفقه هذه المحارم، ولم يسمع ذلك الداعي؟

عدم الترجمة موجب للعنة

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[(٢)] .

وأى كتمان للقرآن — الذى أنزل للناس كافة — أشد من منعه عن أكثر الأمة المحمدية، وحبسه عن سائر الأقطار الغير العربية؟

وقد نعى الله تعالى على أهل الكتاب كتمانه عن الناس بعد أن أمرهم بتبيينه حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[(٣)]

مخاطبة كل إنسان بلغته

ولا شك أن كل إنسان يجب أن يخاطب بلغته التى يفهمها، ولهجته التى درج عليها. وليس من المعقول، ولا من المقبول أن يتعلم العربية ليقرأ بها القرآن كما قال المانعون.

أفرأيتم لو أن رجلا جاء فقال: يا أيها العرب تَعَلَّمُوا الانجليزية لأنى قد جئتكم بكتاب انجليزى من عند ربكم، فيه من الأحكام والهداية مافيه. أكنتم متبعيه الى ما يقول، أو مصدقيه فيما يدعى؟

(١) عرج على المكان: أقام فيه. والمعنى: امشوا على هذا الطريق المستقيم، الذى هو الإسلام. ولا تدخلوا هذه الأبواب، فانها محارم الله تعالى.

(٢) سورة البقرة. آية ١٥٩ (٣) سورة آل عمران. آية ١٨٧

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن العربى ، لأمة العرب . وقد بز ببلاغته الفصحاء ، وأخرس ببيانه البلغاء ، فما آمن له منهم إلا قليل . فكيف بالأعاجم إذا هم كُلِّفُوا بالعربية ؟

من سمع القرآن ولم يعمل به فهو كالأصم

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾(١) .

ومعنى هذه الآية — لمن عنده أدنى تأمل — قل يا محمد : إن هذا القرآن يهدى الذين آمنوا الى طريق الفلاح ، ويرشدهم الى سبيل النجاح ، وينقذ نفوسهم من العصيان ، ويشفى قلوبهم من الأدران . وأما الذين يسمعونه ولا يؤمنون به ؛ ففى آذانهم صمم(٢) .

فكيف يحكم الله تعالى على أقوام بالصمم — المجازى لا الحقيقى — بدون أن يُسْمِعَهُم الآيات ، ويُيَسِّر لهم تناولها وقراءتها ؟

رحمة الله تعالى بعباده

إن الله تعالى — الذى وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شىءٍ — قد أبى أن يكلف النفوس بما يشق عليها ، أو يثقل كاهلها . حتى بلغ من رحمته بعباده وقت نزول القرآن ؛ أن جعله لكل قبيلة من القبائل بلغتها ولهجتها .

اختلاف اللغات من آيات الله

واللغات جميعها مخلوقة لله تعالى ؛ لافضل لِلُغَةٍ على أخرى ، كما لا فضل لجميل على قبيح ؛ إذ أن القبح والجمال مخلوقان لله تعالى أيضا .

والمقصود من اللغات : الإبانة عن المقاصد والرغبات ، لا فرق فى ذلك بين عربية وانجليزية ، أو فرنسية وألمانية ، أو تركية وبربرية .

---

(١) سورة فصلت . آية ٤٤

(٢) شبههم الله تعالى بالصم ، حيث ان حالهم كحالهم . لأن الأصم لا يستفيد بما يتلى عليه ، وهم أيضا لم يستفيدوا بما يسمعونه من الآيات والعظات .

افتقار العربية إلى الاصطلاحات الأعجمية

هذا ولا نغمط اللغة العربية حقها إذا نحن قلنا : انها — رغم عظمتها وسموها وغناها — لا تزال تفتقر الى بعض الألفاظ الأعجمية ، وقد سار القرآن الكريم على هذا النهج ؛ فعبر ببعض الكلمات الأعجمية ، ليعلمنا جواز ذلك ، ويعرفنا أن اللغات جميعها تستوى أمام خالقها ومنشئها ، ومجريها على الألسن . وأن اختلافها لم يكن إلا آية من آياته البينات . ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[1] .

خطأ مجمع اللغة العربية

وقد أخطأ مجمع اللغة العربية خطأ شنيعا ؛ إذ يحاول أن يضع لكل مسمى ؛ اسما عربيا ، وقد وقع فى محاولاته هذه فى التباسات عجيبة ، واشتقاقات غريبة ، وثقل لفظى من أشنع ما عرف فى لغة من اللغات من بدء الخليقة حتى الآن .

لقد أطلق المجمع على بعض المسميات — السهلة فى النطق والفهم — أسماء ما أنزل الله بها من سلطان : كالطِّرْبال[2] ، والبِرطيل[3] ، والوَشيعَة[4] ، والثَّجَّاجة[5] ، والصَّيهور[6] ، والبَظّ[7] . وأمثال ذلك من الألفاظ الثقيلة فى النطق ، والسمع ، والفهم .

(١) سورة الروم . آية ٢٢ . (٢) الطربال : العمارة الكبيرة . مع أن هذا اللفظ تشترك فيه معان عدة . منها : الصخرة والقطعة من الجبل .

(٣) البرطيل : الحجر الكبير (البطيح) وهذا اللفظ أيضا تشترك فيه معان عدة ، منها : الحديد والمعول ، والرشوة .

(٤) الوشيعة : الحواجز ، حديدية كانت أو خشبية . وهو أيضا يطلق على ما يشبه الحصير ، وما يبس من الشجر فسقط ، وعلم الثوب ، وخشبة الحائك ، وغير ذلك .

(٥) الثجاجة : سيفون المرحاض . (٦) الصيهور : دولاب المطبخ .

(٧) البظ : تحريك المغنى لأوتاره تهيئة لها .

وقد غاب عن حضرات أعضاء المجمع الموقر أن الله تعالى قد عبر في القرآن — وهو خير الكلام — بألفاظ أعجمية كثيرة من لغات شتى . وذلك لأن هـذه الألفاظ قد استعملتها العرب فى كلامهم ، فلم يعدل عنها القرآن الكريم الى غيرها ؛ لسهولة اللفظة الأعجمية على ألسن العرب .

والمجمع بفعلته هذه يحاول ما لم يحاوله رب الخلق تعالى . إذ أن القرآن الكريم قد احتوى ألفاظًا كثيرة من لغات متعددة ، فلم يغـيرها لشيوعها ، وسهولتها على الألسن كما قدّمنا .

الكلمات الأعجمية في القرآن

اختلاط الأعاجم بالعرب

وقد كان ذلك بسبب اختلاط الأعاجم بالأمة العربية قبل نزول القرآن، فانحدرت اليهم ألفاظ من لغاتهم، واستعملتها العرب حتى حسبت من لغتهم وما هى منها. وذلك لذيوع هذه الألفاظ واشتهارها فى ذلك العهد — كما قدّمنا — ولعدم وجود ما يقوم مقامها بالتحديد فى أصل اللغة.

الألفاظ الأعجمية المعرّبة

كلفظة: «سُنْدُسٍ». وهو ما رقّ من الديباج، و «إِسْتَبْرَقٍ». وهو ما غلظ منه.

والديباج أيضا: لفظة أعجمية معرّبة، تطلق على الثوب الذى سداه ولحمته من حرير صافٍ.

هذا فى حين أن اللغة العربية ليس فيها سوى لفظة «حرير». تطلق على ما رقّ وغلظ منه، وعلى ما كانت سداه ولحمته من حرير، أو سداه من حرير ولحمته من نسيج آخر.

وقد زعم بعض أهل العربية أن القرآن الكريم ليس فيه من كلام الأعاجم شىء، وأنه كله — جملة وتفصيلا — بلسان عربى؛ يستدلون على هذا بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(١)، وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(٢). وقد فاتهم أن وصف القرآن بالعربية؛ هو بمعنى أنه نزل

(١) سورة الزخرف. آية ٣

(٢) سورة الشعراء. آية ١٩٥

بما تنطق به العرب بألسنتها ، وتفهمه بعقولها ، ولم يتزل بما هو شاق عليهم غريب عن أذهانهم .

تعريب بعض الألفاظ الأعجمية

وذلك أن بعض الألفاظ الأجنبيـة انحدرت الى العـرب بسبب اختلاطهم بالعجم كما قدمنا ؛ فعربتهـا بألسنتها ، واستعملتها فى مخاطباتـا ومحادثاتها ، وصارت من مفردات اللغـة العربية . وليس هـذا بضائرها ؛ فاللغات كلها إن هى إلا مجموعة من لهجات ولغات غريبة عن أصل اللغة ، وتصير لغـة أصلية بطول الاستعمال ، وكثرة الممـارسة . وهذا واضح تمـام الوضوح فى سائر اللغات ؛ خصوصا اللغات الغربية . وتوجد ألفـاظ عدة تشترك فيها أكثر من لغة واحدة كما سيأتى :

اللغـة العربية أغنى اللغات

واللغة العربية تعتبر بحق أغنى لغات العالم بكثرة اصطلاحاتها ومفرداتها ومشتقاتهـا .

وقد جاء فى القرآن الكريم كثير من الألفاظ الأعجمية من شتى اللغات ، وقد جمعها العلامة جلال الدين السيوطى فى مؤلف خاص أسماه « المتوكلى »[(١)] وسنوردها جميعا إتماما للفائدة :

ما جاء فى القرآن بالحبشيـة

ورد فى القرآن الكريم باللغة الحبشية : « شَطْرَ » : تِلقاء . « الْجِبْتُ » الشيطان . « الطَّاغُوتُ » : الكاهن . « حُوبًا » : إثما . « الأَوَّاهُ » : الموقن ، أو المؤمن . وقيـل : الأوّاه : الرحيم . « ابْلَعِى » : ازدردى .

(١) « المتوكلى » : نسبة الى الخليفة المتوكل على الله العباسى ؛ حيث أمره بتأليف هذا الكتاب . وقد اقتدى السيوطى فى هذه التسمية بالإمام أبى بكر الشاشى حيث ألف كتابا فى الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وسماه « المستظهرى » .

« المُتَّكَأُ » : الأترج . « طُوبى » : اسم الجنة . « السَّكَرُ » : الخل .
« طَـه » : يا رجل . « وحُرِّمَ » : وَجَب . « السِّجِلُّ » : الرجل .
« المِشْكَاةُ » : الكُوَّة، والطاقة . « أَوِّبِى » : سبِّحى، و « الأَوَّابُ » :
المسبح . « العَرِم » : المُسَنَّاةُ التى يجتمع فيها الماء ثم ينشق . « المِنْسَأَةُ » :
العصا . « يس » : يا إنسان . وقيل : يا رجل . « كِفْلَيْن » : ضعفين .
« نَاشِئَةَ اللَّيْلِ » : قيام الليل . « مُنفَطِرٌ بِهِ » : ممتلئة به . « القَسْوَرَةُ » :
الأسد . « يحُور » : يرجع . « الأَرَائِك » : السرر . « الدُّرِّىُّ » :
المضىء .

ماجاء فى القرآن بالفارسية

وورد فيه أيضا باللغة الفارسية : « الإِسْتَبْرَقُ » : الديباج الغليظ .
« كُوِّرَتْ » : غورت . « مَقَاليد » مفاتيح .

ووردت أيضا ألفاظ يُظَنُّ بادئ ذى بدء أنها من العربية ، وهى من
صميم اللغة الفارسية . فمن ذلك : « أَبَارِيق » ، و « بِيَع » ، و « كَنَائِس » ،
و « التَّنُّورُ » ، و « جَهَنَّم » ، و « دينار » و « الرَّسّ » ، و « الروم » ،
و « زَنْجَبِيل » ، و « سِجِّينٍ » ، و « سُرَادِق » ، و « سَقَر » و « سَلْسَبِيل » ،
و « سُنْدُس » ، و « قِرْطَاس » ، و « أَقْفَال » ، و « كافور » و « كَنْز » ،
و « المَجُوس » ، و « الياقوت » ، و « المَرْجَان » .

ماجاء فى القرآن بالرومية

وورد فيه أيضا باللغة الرومية : « فَصُرْهُنَّ » : قطّعهنَّ . « الفِرْدَوْس » :
البستان ، أو الجنة . « القِسْط » : العدل . « القِسْطَاس » : الميزان .
« طَفِقَا » : قصدا . « الرَّقِيم » : اللوح ، وقيل : الكتاب ، وقيل :
الدواة . « الصِّراط » : الطريق . « القِنطَار » : اثنتا عشرة ألف أوقية .

ماجاء فى القرآن بالهندية

وورد فيه أيضا باللغة الهندية : « ابلعِى » : اشربى[1] . « طُوبى » اسم الجنة[2] . « السُّندُس » : رقيق الديباج[3] .

ماجاء فى القرآن بالسريانية

وورد فيه أيضا باللغة السريانية : « سَرِيًّا » : نهرا . « طَهَ » : يا رجل . « جَنَّاتِ عَدْنٍ » : الكروم والأعناب . « الفِرْدَوْس » : جنات الأعناب . « الطُّور » : الجبل . « الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا » : هم الحلماء . « هَيْتَ لَكَ » : عليك . « وَلَاتَ » : وليس . « رَهْوًا » : ساكنا . « سُجَّدًا » : أى مُقْنِعِى رُءوسِهِمْ[5] . « القَيُّومُ » : الذى لا ينام . « الْأَسْفَارُ » : الكتب . « القُمَّلُ » : الذباب[6] . « اليَمّ » : البحر . « وصَلَوَاتٌ » : كنائس . « القنطار » : ملء جلد ثور ذهبا أو فضة[7] .

ماجاء فى القرآن بالعبرانية

وورد فيه أيضا باللغة العبرانية : « كَفَّرَ » : محا . « الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا » : هم الحلماء[8] . « أَخْلَدَ » : رَكَنَ . « هُدْنَا » : تُبْنَا . « مَرْقُومٌ » : مكتوب . « الرَّمْزُ » : تحريك الشفتين . « الفُومُ » :

---

(١) فى اللغة الحبشية : ازدردى ، وهما بمعنى واحد .

(٢) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى فى اللغة الحبشية .

(٣) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى فى اللغة الفارسية .

(٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة الحبشية .

(٥) أقنع رأسه : رفعه .

(٦) وردت هذه اللفظة فى قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل » . وقد ثبت الآن أن الذباب مصدر لشتى أنواع الأمراض المهلكة الفتاكة .

(٧) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة الرومية بمعنى اثنتا عشرة ألف أوقية ، وفى اللغة البربرية بمعنى ألف مثقال من ذهب أو فضة .

(٨) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

الحنطة . « الْأَوَّاهُ » : الداعى . « طُوًى » : اسم رجل، وقيل : طُوًى : ليلا . « الْيَمّ »(١) : البحر .

وورد أيضا فى الكتاب الكريم : « دَرَسْتَ » ، و « حِطَّةٌ » ، و « الْأَسْبَاطَ » ، و « رَاعِنَا » ، و « لِينَةٍ » و « الْقِسِّيسِينَ » . وكلها عبرانية .

ماجاء فى القرآن بالنبطية

وورد فيه أيضا باللغة النَّبَطِيَّة(٢) : « أَسْفَارًا » : كتبا(٣) . و « السِّفْرُ » : الكتاب . « الحَوَارِيُّونَ » : الغسالون للثياب . « سَرِيًّا » : نهرا(٤) . « السَّفَرَة » : القرّاء . « فَصُرْهُنَّ » : قَطِّعْهُنَّ(٥) . « طَـهَ » : يا رجل(٦) . « الطُّورُ » : الجبل(٧) . « الفِرْدَوْسُ » : الكَرْمُ(٨) . « المَلَكُوتُ » : المُلْكُ . « هَيْتَ » : هلُمَّ . « إِلًّا » : الإلُّ : اسم الله تعالى . « رَهْوًا » : سهلا(٩) . « عَبَّدْتَ » : قتلت . « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ » : أى أمامهم . « قِطَّنَا » :

---

(١) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٢) وهى لغة النبط : وهم قوم من الأعاجم كانوا ينزلون بين العراقين ، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . ومنه يقال للكلمة العامية : كلمة نبطية (بفتح النون والباء) . ولكن الألفاظ التى أوردناها وجاءت فى القرآن الكريم هى منسوبة للأعاجم الذين كانوا ينزلون من قبل بين العراقين ، وقد ذاعت لغتهم بين العرب قبل نزول القرآن ، وعرّبوا كثيرا من ألفاظها ؛ فأخذ القرآن منها ما استعرب واستعملته العرب .

(٣) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٥) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة الرومية .

(٦) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغتين السريانية والحبشية .

(٧) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٨) وقد وردت أيضا بمعنى البستان ، فى الرومية .

(٩) وقد وردت أيضا بمعنى ساكنا ، فى السريانية .

كتابنا . « إصْرى » : عهدى . « كَفِّرْ » : امح (١) . « المَقَالِيدُ » : المفاتيح (٢) .
« كِفْلَيْنِ » : نصيبين (٣) . « الْيَمُّ » : البحر (٤) . « لَا وَزَرَ » : لا ملجأ ، وهو الجبل .

ماجاء فى القرآن بالقبطية

وورد فيه أيضا باللغة القبطية : « المُتَّكَأ » : الأترج (٥) . « مَنَاص » : فرار . « مُزْجَاةٍ » : قليلة . « فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا » : من بطنها . « بَطَائِنُهَا » : ظواهرها . « الجَاهِلِيَّة الأُولَى » : الآخرة . « فِى المِلَّةِ الآخِرَةِ » : الأولى .
واللغة القبطية تسمى الآخرة : الأولى . والأولى : الآخرة .

ماجاء فى القرآن بالتركية

وورد فيه أيضا باللغة التركية : « غَسَّاقًا » : وهو البارد المنتن بلسان الترك .

ماجاء فى القرآن بالزنجية

وورد فيه أيضا باللغة الزنجية : « حَصَبُ » : حطب . « الأَلِيمُ » : الموجع . « المِنْسَأَةُ » : العصا .

ماجاء فى القرآن بالبربرية

وورد فيه أيضا باللغة البربرية : « المُهْل » : عكر الزيت . « إِنَاهُ » : نضجه . « الحَمِيمُ » : الذى انتهى حره . « مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ » : جارية . « يُصْهَرُ بِهِ » : ينضج به . « الأَبُّ » : الحشيش . « القنطار » : ألف مثقال من ذهب أو فضة .

---

(١) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة العبرانية بهذا المعنى .
(٢) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة الفارسية بهذا المعنى .
(٣) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة الحبشية بمعنى ضعفين وهما بمعنى واحد .
(٤) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة السريانية بهذا المعنى .
(٥) وقد وردت هذه اللفظة فى اللغة الحبشية بهذا المعنى .

القرآن يجمع الكثير من اللغات

وهكذا تجد أن القرآن الكريم يكاد أن يجمع بين دفتيه سائر اللغات الذائعة الشائعة فى وقت نزوله .

وهو بذلك يحثنا ويرغبنا فى تعلم اللغات ، والإحاطة بعلوم ومعارف الأمم الأخرى ، ويعترفنا أيضا أنه لا غضاضة أصلا فى إطلاق الأسماء الأعجمية — التى اشتهرت — على مسمياتها ؛ بدون حاجة إلى التمسك بالأسماء العربية ما دامت لا تؤدّى إلى المعنى المطلوب ، أو لاشتهار الإسم الأعجمى عليها .

تمسك المجمع بتعريب الأسماء الأعجمية

وقد زاد من خطإ مجمع اللغة العربية أن تمسك بتعريب أسماء المسميات التى اشتهرت بأسماء أعجمية ، أو المسميات التى انحدرت إلينا من الغرب بأسمائها الأعجمية .

وذلك كقولهم : «البظباظة» مكان القطارة ؛ و « الدودية » : مكان المكرونة ، و « العريف » : مكان الصاغ ، و « الزاجل » : مكان البكباشى ، و « حامى الحمى » : مكان سردار الجيش ، وغير ذلك .

هذا فى حين أننا لسنا فى حاجة إلى كل هذا التعسف والتمحل . ولا حرج مطلقا فى استعمال الإسم الأعجمى للمسمى العربى ، وبالأحرى الإسم الأعجمى للمسمى الأعجمى . وبذلك جاءت لغة القرآن كما قدّمنا .

إبدال المجمع لأسماء مشهورة بأخرى مهجورة

ولم يقف المجمع عند هذا الحدّ ؛ بل أبدل أسماء عربية مشهورة ، بأسماء أخرى مهجورة .

فمن ذلك : القميص . فقد قبح فى نظرهم ؛ فأبدلوه باسم «قَرْقَل» .

ولعلك تظن أيها القارئ أنى أمزح ، وأن هذه اللفظة من بنات أفكارى بقصد التشنيع على أعمال المجمع ؛ ولكنك لو علمت أن هذه الكلمة عربية بحتة لعذرتنى وعذرت أعضاء المجمع أيضا . فقد أوردت كتب اللغة هذه اللفظة بمعنى : القميص ، أو ثوب للمرأة بدون كمين .

فانظر بربك أيها المنصف إلى سوء هذا الاختيار ، وثقل هذا اللفظ على النطق والسمع .

سبب نزول القرآن بالعربية دون سائر اللغات

لما كانت أمة العرب من أحط الأمم ؛ كان من الحكمة أن توجه اليها الزواجر ، وتنزل عليها النواهي والأوامر ، وتكون الشرائع والقوانين بلغتها ، حيث أنها أمس الأمم حاجة الى الهداية ، وأقربها من طريق الغواية .

لقد كانوا يقتلون أبناءهم ، ويئدون بناتهم ، ويبيعون نساءهم ، ويسخرون بفقرائهم ، ويسبون أحرارهم ، ويعذبون عبيدهم ، ويفخرون بفسقهم وفجورهم .

حتى لقد بلغ من جهل بعضهم وحمقه — بعد أن ثبت له صحة الإسلام ، وفساد ما هو عليه من عبادة الأصنام — أنه لم يرتجع عن ضلاله ، خشية أن يقال عنه : أنه ترك ملة آبائه وأجداده .

وكانوا يتزوجون أزواج آبائهم ، ويُكْرِهُونَ فَتَيَاتِهِم على البِغاء .

وقد بلغ من حطتهم وجهلهم أن قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١) ﴾ وكان الأجدر

(١) سورة الأنفال . آية ٣٢

بهم ، والأسلم لعاقبتهم ، أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ، ووفقنا للتمسك به .

لقد كانوا يعبدون الأصنام ، وهى أحط العبادات ، وأخس المعبودات .

ولقد اتخذوا هذه الأصنام من حجارة ، ومن حديد ، بل ومن عجوة أيضا .

فمن أحق من الأمة العربية — وحالتها كما قدّمنا — بنزول القرآن ؟

ومن أحق منها بالهداية والإرشاد ؟

الأمة العربية من أحط الأمم قبل الإسلام

وبالجملة فان أمة العرب قبل الإسلام كانت فى نهاية الحطة ، وغاية الجهالة .

لقد كانوا كالأنعام ، بل أضل سبيلا من الأنعام ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(١) ﴾ . ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(٢) ﴾ .

ولم يكن لهم قانون يحكمون به ، أو دستور يرجعون اليه .

فى حين أن دولتا الفرس والرومان كانتا ذات حضارة راقية ، وأنظمة ثابتة ، وفلسفة عالية .

وكانت لها قوانين يعملون بها ، ودساتير يمشون عليها .

وذلك بعكس أمة العرب الذين لم تجمعهم جامعة ، ولم تربطهم وحدة ، ولم يكن لهم ملك يضم شتاتهم .

---

(١) سورة الفرقان . آية ٤٤ (٢) سورة الأعراف . آية ١٧٩

فأى الأمم — فى عهد الرسالة — قريب من الغواية ؟ وأيها أحق بالهداية ؟

طبعا لا يختلف اثنان فى أن أمة العرب — التى هى الآن أرقى الأمم بلا مراء — كانت أحط الأمم على الاطلاق ، وَأَوْلاَهَا بِالنُّذُرِ ، وَأَحَقَّهَا بنزول ذلك القانون السماوى ، وأحوجها الى هذا النور الربانى .

عدم الترجمة يزيد الأعاجم بعدا عن العربية

وقد جاء فى كلام بعض المعارضين : أن الله تعالى لو شاء نقل القرآن الى اللغات التى يراد ترجمته اليها ؛ لأنزله بتلك اللغات ، أو لأنزله على رسل من عنده ، كل رسول بلسان قومه . ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتابا عربيا ، فدل ذلك على أنه سبحانه لا يريد نقله الى لغات أخرى ، بل ويريد الله تعالى بذلك تعريب العالم كله .

وهذا الحجاج يذكرنا بحجاج المشركين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — وهو يدعوهم الى التوحيد — حيث قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾(١) .

وهذا أيضا يفتح باب الاحتجاج لطوائف كثيرة من الزنادقة ، تنكر عموم بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتزعم أنه رسول للعرب خاصة .

ولم تنزل الكتب بقصد توحيد الألسن واللغات ؛ بل جعل الله تعالى اختلافها من آياته البينات ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام . آية ١٤٨ (٢) سورة الروم . آية ٢٢

ترجمة القرآن تستعرب الأعاجم

وقد جاء أيضا فى كلام بعض المعارضين : أنه يخشى من أن تستعجم العرب لو ترجمنا القرآن .

هذا فى حين أننا وسائر العقلاء نؤكد أن بالترجمة تستعرب الأعاجم ؛ لأنك لو أذقت إنسانا قطعة من الحلوى فأعجبه طعمها ، وراق لديه ريحها ؛ سعى الى الحصول على ما يشبعه منها ، ويروى غلته .

فمثل الترجمة للأعاجم ، كمثل إذاقة الحلوى لهم ، ومن ذاق فانه لاشك ساعٍ الى هذا المعين ، وهو اللغة العربية .

حكم التفسير كحكم الترجمة سواء بسواء

وإذا كنا جميعا — مؤيدين ومعارضين — قد وافقنا على تفسير القرآن ونقله من لغته الى لغة العامة ؛ ليستطيعوا فهمه ، فلم لا نوافق على نقله الى لغة أخرى لقوم آخرين ؛ ليستطيعوا فهمه وتدبره ، والعمل بما فيه ؟

وإذا حرمنا الثانية ، فقد حرمت الأولى بالتبعية ، وفى هذه الحالة نلزِم العامة بتعلم المعلومات التى تؤهلهم الى فهم القرآن الكريم مباشرة بدون تفسير .

وإذا كان المعارضون — على غزارة علمهم ، وسعة اطلاعهم — قد قضوا كل حياتهم ، وأمضوا زهرة شبابهم ، فى البحث والتحصيل والدراسة . وبعد كل ذلك أخطأوا فى فهم آيات القرآن الكريم ، وعكسوا معانيها ، وأضاعوا بهجتها ، ولم يعلموا ما يصح أن يكون حجة لهم ، وما يصح أن يكون حجة عليهم ؛ فكم نطلب لعامة الناس من الأعمار ، حتى يفهموا القرآن على حقيقته بدون تفسير ولا تأويل .

رأى الامام ابن حجر فى وجوب الترجمة

وقد قرر الامام ابن حجر — وهو من كبار أئمة المحدثين — بوجوب الترجمة حيث يقول :

« إن الوحى متلواً أو غير متلو ، إنما نزل بلغة العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث إلى الناس كافة ، عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى ، وهو يبلغه إلى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم »

« انتهى كلام ابن حجر »

رأى الامام الزمخشرى فى وجوب الترجمة

وقال جار الله الإمام محمود بن عمر الزمخشرى ، صاحب الكشاف . عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (١) :

« فإن قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث إلى الناس أجمعين ، بل إلى الثقلين (٢) ، وهم على ألسنة مختلفة ،

عدم الترجمة حجة للأعاجم

فإن لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ؛ فلغيرهم من الأعاجم الحجة .

قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها . ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل . فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة : لسان قوم الرسول عليه الصلاة والسلام . لأنهم أقرب إليه ؛ فإذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوقل عنهم وانتشر ؛ قامت التراجم ببيانه وتفهيمه ؛ كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم .

---

(١) سورة إبراهيم . آية ٤ (٢) الثقلان : الجن والإنس .

ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها (١) ، وكان مستقلا بصفة الإعجاز فى كل واحد منهـا ، وكلم الرسول العربى كل أمة بلسانها ، كما كلم أمته التى هو منها ، يتلوه عليهم معجزا ؛ لكان ذلك أمرا قريبا من الإلجاء (٢) » . « انتهى كلام الزمخشرى »

النهى عن دخول المصحف أرض العدو

وقد رووا فيما رووا عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : " لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنِّى أَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ " .

ولن أعرض لهـذا الحديث بالنفى أو الإثبات . إذ هو يحمل بين طياته ما يدل على أنه ليس من كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه . فكيف يقول — وهو المكلف بتبليغ القرآن لسائر الناس عربهم وعجمهم — لا تسافروا بالقرآن لأرض العدو ؟

هـذا فى حين أنه مكلف من قِبل ربه بحمله لسائر الأعداء قبل الأصدقاء .

كيف لا يحمل القرآن للأعداء ، وهم فى عداد المخاطبين به ، المبشرين بوعده ، المنذرين بوعيده ؟ أليسوا من أهل الكتاب الذين خاطبهم القرآن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (٣) . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ (٤) .

---

(١) اللغات الذائعة فى العالم تبلغ حوالى ستمائة لغة ، وقد جمعت الهند وحدها نيفا ومائتين .

(٢) الإلجاء : أى الإلزام بالإيمان ، بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .

(٣) سورة النساء . آية ٤٧

(٤) سورة آل عمران . آية ٦٤

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ؛ أليسوا من الكفار الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [١] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٢] .

وإن كانوا ليسوا من الكافرين ؛ أليسوا من اليهود الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ [٣] .

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ، ولا من الكفار ، ولا من اليهود ؛ أليسوا فى عداد الناس الذين خاطبهم القرآن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ [٤] . وقد وردت فى مواضع من القرآن الكريم تزيد عن الحصر .

فإذا ما اتضح لنا أن هذا كلام الله تعالى ، وهو فى ظاهره وباطنه مُلْزِمٌ لحمل القرآن الى بلاد الأعداء ، سواء كانوا نصارى ، أو يهودا ، أو كفارا — أهل كتاب أو غير أهل كتاب — ألسنا فى حل من أن نقول : ان هذا القول المروى ليس بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه قول يتنافى مع صريح القرآن ، والرسول عليه الصلاة والسلام لاينطق عن الهوى !

وكيف يخاف الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينال الكفار القرآن ، وهو مكلف بأن يُنِيلَهُمْ إياه ، ويطلعهم عليه ؟ وما الذى يحدث للقرآن إذا ناله الكفار والمشركون ؟ وهل يُذْهِبُ من بهائه ، وعظمته ، وروعته ؛ أن يكون بأيدى الكافرين ، كما هو بأيدى المؤمنين ؟

قد يقول قائل : إن الكفار إذا أمسكوا بالقرآن امتهنوه وألقوه بدون إجلال له واحترام .

---

(١) سورة الكافرون . آية ١
(٢) سورة التحريم . آية ٧
(٣) سورة الجمعة . آية ٦
(٤) سورة البقرة . آية ٢١

إلقاء موسى الألواح وتكسرها

وجوابنا على هذا : أين نحن من موسى عليه السلام ؛ وقد ألقى الألواح على الأرض — وهى فى حكم القرآن تماما — فتكسرت وتبعثرت وضاع بعضها ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾ (١) . فلم يكن هذا امتهانا لكلام الله المكلف بتبليغه .

هذا ولو أن هناك فرقا بين مظهر الامتهان من الحبيب ، والامتهان نفسه من العدو . ولكنها أمور يجب ألا يقام لها وزن عند نشر الدعوة ، لتعميم الرسالة .

جواز دخول المصحف أرض الكفار

وقد قال بعض فقهاء المتأخرين بتحريم دخول المصحف إلى أرض الكفار ، وقال بعض المفسرين بتحريم مسه لغير المسلم ، ويقول المعارضون الآن بتحريم ترجمته . فنخرج من هذه التحاريم الثلاث بأن القرآن الكريم يحرم دخوله فى بلاد الكفار ، ويحرم عليهم مسه ، وتحرم ترجمته لهم .

ونخرج أيضا من هذه النتيجة بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرسل إلى الناس كافة ، بل أرسل إلى أمة العرب خاصة .

وهذه النتيجة لا ترضى المانعين ، ولا المجيزين ؛ لأنها تخالف منطوق القرآن الكريم ، ويأباها العقل السليم .

جواز مس المصحف لغير المسلم

قد يقول قائل : إن القرآن يحرم مسه بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) . فنهى سبحانه عن المس لغير الطاهر ، فضلا عن الكافر .

---

(١) سورة الأعراف . آية ١٥٠

(٢) سورة الواقعة . من آية ٧٧ إلى ٧٩

وجوابنا على ذلك : أنه نفى لا نهى . أى أن المولى سبحانه وتعالى يرد على الكافرين أقوالهم ، وافتراءاتهم ، وطعنهم فى القرآن . وذلك لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾(١) . ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾(٢) . ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾(٣) . ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٤) . إلى غير ذلك من إفكهم وضلالهم .

فردّ عليهم بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ . أى إن هذا المتلوّ لقرآن عظيم ، وكان قبل نزوله إليكم ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ : مستور ، مصان . وهو اللوح المحفوظ ، فكيف يصل إليه إنسان ، أو يمسه بشر كما تزعمون ؟

المطهرون هم الملائكة لا البشر

وليس منقولا من أساطير الأولين كما تدعون . ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ . أى لا يمس هـذا الكتاب المكنون (اللوح المحفوظ) إلا الملائكة المطهرون من الذنوب ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولا يمسونه إلا بأمر ربهم لإنزال ما أمروا بإنزاله على الرسول عليه الصلاة والسلام .

أما ما ذهب إليه المفسرون من أن المراد بعدم المس هو القرآن الكريم ؛ فغير واضح ؛ إذ أن القرآن إنما نزل لهداية الكافرين ، وإرشاد الضالين ، وهم جميعا غير مسلمين ، وغير طاهرين . فكيف نحرم عليهم مسه ، وهو لم ينزل إلا لهم ، ولم يخاطب إلا إياهم .

---

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ (٢) سورة الأنفال . آية ٣١

(٣) سورة ص . آية ٧ (٤) سورة الفرقان . آية ٥

أما المؤمن الحسن الإسلام، فلو شاء ألا يمس القرآن إلا طاهرا مطهرا فليفعل .

وعلى هذا المعنى الذى ذهبنا إليه : يجوز مس المصحف للكافر بغير قيد ولا شرط ، وللمسلم بغير طهارة ؛ إذا لم يكن المقصود من ذلك إهانة المصحف أو الإزراء به . فإهانته كفر لا يعدله كفر .

واجب العلماء حيال الترجمة

لقد وضح مما تقدم من الحجج العقلية والنقلية : أن ترجمة القرآن لسائر اللغات الحية؛ أمانة فى عنق سائر المسلمين . وأن النداء بوجوبها، والسعى فى سبيلها ، و بذل النفس والنفيس من أجلها ؛ واجب على سائر العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، والذين يجب عليهم أن يقوموا بتبليغ دعوة الله ، لسائر خلق الله؛ لا فرق بين عربيهم وعجميهم .

المراد من الترجمة

ألا فليعلم المسلمون أجمع — المانعون والمجيزون — بأن المراد من الترجمة هو وصول الدعوة إلى من لم تصل إليه ، وهداية من عنده استعداد للهداية ، و إقامة الحجة على من أجاب داعى الغواية .

المراد من الترجمة : أن نرسل ذلك النور الإلهى إلى الأمم الأخرى ؛ فمن شاء سار فى ضوئه ففاز ونجا ، ومن شاء تخبط فى دياجير الكفر فذل وهوى !

المراد من الترجمة : أن نهدى الناس بما هدينا به، وأن ننقذهم بما أنزله الله تعالى هاديا ومنقذا .

المراد من الترجمة : أن تقوم لله تعالى الحجة على جميع عباده، وأن تصل دعوته الى سائر خلقه .

المراد من الترجمة : أن تعلم الناس أن للمسلمين قانونا يقضى لصغيرهم من كبيرهم ، ولفقيرهم من غنيهم ، ولضعيفهم من قويهم .

المراد من الترجمة : أن تعلم الأمم الغربية أن ما بلغوه من رقى ، وما وصلوا إليه من مدنية ومعارف ، قد أدركت أضعاف أضعافه الأمة الإسلامية منذ عشرات القرون مدّة تمسكهم بتعاليم القرآن .

الأمن فى الحجاز

المراد من الترجمة : أن نُعرِّف الفرنج أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على الأمن فى أرقى العواصم الأوروبية ، بقوانينهم الوضعية ، فى حين أن رجلا واحدا من البدو[1] استطاع أن يحفظ الأمن بشرعة القرآن ، فى بلاد لم يكن فيها من قبل سوى سارق ، أو ناهب ، أو قاطع طريق .

المراد من الترجمة : تعريف سائر الأمم بخاتم النبيين ، وخاتم الكتب . وإنقاذهم من الضلالة ، وتخليصهم من الجهالة .

إعجاز القرآن

أما قول المعارضين بأن إعجاز القرآن الكريم فى لفظه ، فهو فى الواقع تقليل من شأنه ، وانتقاص من قدره .

نعم إن القرآن معجز فى ألفاظه ، معجز فى معانيه ، ولكن وجه الإعجاز الذى يتضاءل أمامه كل إعجاز ، هو إعجازه فى أحكامه ومعانيه ، وفى أوامره ونواهيه .

---

(١) هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : الذى استطاع بفضل تمسكه بإقامة حدود الله تعالى ، أن يجعل من الحجاز مملكة لا تضارعها أرقى ممالك العالم فى المحافظة على الأمن ، وقطع دابر الفساد والإجرام .

لم يفرق القرآن بين عربى وعجمى

إن الباحث فى روح الإسلام ومقاصده ، يجد أنه لم يفرق بين أعجمى وعربى ، ولم يجعل فضلا لعربى على عجمى إلا بالتقوى . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

وقد أرسل الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

أمر الرسول أمته بالتبليغ

قال صلى الله تعالى عليه وسلم — قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى — فى حجة الوداع :

« لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ مِنْكُمُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِمَّنْ سَمِعَ » . أى : يا معشر العرب ، يا من رأيتمونى ، وأخذتم الدين عنى ، وتلقيتم تعاليمه على ، وتلقنتم كتاب ربكم منى . بلغوا ما أخذتموه ، وانقلوا ما سمعتوه إلى سائر الناس ، فرب رجل تبلغونه القرآن والدين ، يكون أوعى منكم أنتم يا من سمعتموه منى ، وأخذتموه عنى .

ولا يخفى أن التبليغ — كما قدمنا — يجب أن يكون بلسان المبلغ إليهم ، لا بلسان المبلغ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٤) .

رسالة الرسول رحمة للعالمين

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٥) . فإذا كان الله تعالى يقول للرسول عليه الصلاة والسلام : إننا لم نرسلك إلا رحمة للناس أجمعين وقد أرسلناك لتخليص البشرية ، وإنقاذ الإنسانية ، بإرشاد الناس إلى ما يصلحهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم .

---

(١) سورة الحجرات . آية ١٣ (٢) سورة سبأ . آية ٢٨ (٣) سورة الأعراف . آية ١٥٨

(٤) سورة ابراهيم . آية ٤ (٥) سورة الأنبياء . آية ١٠٧

فكيف تكون تلك الرحمة مقصورة على فريق دون فريق ، وعلى أمة دون أمة ؟

القرآن هو المخصوص بالرسالة

قد يقول قائل : إن المراد برسالة الرسول فى هذه الآية : هى تعاليم الإسلام ، والحث على التمسك بالفضائل ، واجتناب الرذائل . فلا حاجة لنا بترجمة القرآن للأعاجم ؛ بل الواجب ترجمة التعاليم فحسب .

وجوابنا على ذلك : أن القرآن الكريم هو الرسالة التى كلف الرسول عليه الصلاة والسلام بإبلاغها ، وهو المعجزة التى ثبتت لدينا ودامت :

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ * مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

ولولا القرآن ما آمن إنسان . ولم تجئ المعجزات الأخرى إلا تصديقا لمن يحمل تلك المعجزة العظمى ، وتثبيتا له وتوثيقا لأمانته أمام المرتابين من أمته .

وإلا فما حاجتنا إلى انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وتكليم الجمادات والحيوانات . إلى غير ذلك مما لم يثبت ثبوتا قطعيا ، ولم تكن الأمة فى حاجة إليه .

أما القرآن فقد أنزل لإنذار الناس جميعا ، وإبلاغهم جميعا ، وتذكيرهم جميعا .

قال تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١) .

يتضح لنا من ذلك : أن المراد من رسالة الرسول عليه السلام : هو القرآن فحسب ، وأن نزول القرآن رحمة لجميع الناس ، ولا يجوز أن تختص أمة العرب وحدها بهذه الرحمة دون سائر الأمم .

---

(١) سورة ابراهيم ، آية ٥٢

كيف تكون الترجمة

رأينا فى كيف تكون الترجمة

وأنا مهما قَلَّلْتُ من شأنى، وحَقَّرْتُ من أمرها . فلا أَقَلَّ من أننى إنسان ؛ والقرآن نزل لكل إنسان . ولا أَصْغَرَ من أننى بشر ؛ والقرآن نزل لسائر البشر .

وأنا فوق كل هذا عربى، وقد كلف الله تعالى العرب — بنص كلامه الكريم — بإبلاغ القرآن .

فاذا ما تكلمت فى : كيف نبلغ القرآن ؟ وكيف نترجمه للأعاجم ؟ فلا أكون متطفلا، أو متكلما فيما لا يعنينى .

تعسر الترجمة الحرفيـة

من المعلوم قطعيا أن الترجمة الحرفيـة غير ممكنة ، وغير ميسـورة . وكذا الترجمة اللفظية (١) . وذلك لاختـلاف الاصطلاحات ، وتشابه مدلول الألفاظ فى شتى اللغات .

ترجمة معانى القرآن

فلم يبـق أمامنا سـوى ترجمة معانى القرآن ، وهى نفسها تسـمى « ترجمة القرآن » . لأن المراد من كل مقروء : هو معانيه ومراميه . ولأن الألفاظ إن هى إلا ظرف للمعانى . والمراد من كل شيء المظروف لا الظرف .

ولم يرسل الله تعالى لنـا القرآن إلا لنفهم ما فيـه من المعانى ، ونعمل بمـا جاء به من الأحكام . لا لنتغنى بألفاظه وحروفه فحسب .

---

(١) ولو أمكنت الترجمة الحرفية واللفظية ؛ لمـا جاز العدول عنها الى غيرها .

فاذا ترجمت تلك المعانى ، وهـذه الأحكام ؛ كانت ولا شك ترجمـة صحيحة للقرآن وما جاء به القرآن ، وما أراده منزل القرآن .

من بلغته الترجمة فقد بلغه القرآن

ومن بَلَغَتْهُ هذه الترجمة ؛ فقد وصلت إليه رسالة الرسول عليه السلام وأصبح فى عداد المنذرين ، الذين حق لهم الثواب بحسناتهم ، ووجب عليهم العقاب بسيئاتهم .

قال تعـالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١) . أى أن القرآن الكريم قد تقدّم إنزاله فى كتب المتقدمين ، وقد سبق إنذار الأمم السابقة به بلغتهم .

فهل ترجمه الله تعالى لنا من تلك الكتب ترجمة حرفية ؟

أظن أن جواب كل من يعقـل : أن الترجمة إنمـا كانت للمعانى لا للألفاظ ، وأن الترجمة الحرفيـة مستحيلة من العربيـة إلى الأعجمية ، أو من الأعجمية إلى العربية .

عمل تفسير لمعانى القرآن

ورأينا أن تشكل لجنـة من كبار العلماء ، المشهود لهم بالذكاء والنبوغ وحسن الفطنة — لا بكبر الأكمام والأردان ، وطول الأجسام والأبدان — فتضع هـذه اللجنة تفسيرا لمعانى القرآن ، بشرط ألا تتقيد فى وضـعه بآراء المفسرين المتقدمين (٢) ، وأن تجتنب كل ما ورد فى بعض التفاسير ، من الأمور

(١) سـورة الشعراء . آية ١٩٦ ، أنظر ما كتبنـاه فى « كان القرآن أعجميا وترجم إلى العربيـة » .

(٢) ليس المقصود بما ذكرناه تسفيه آراء المفسرين جميعا . فنهم من أنار الله تعالى بصيرته ، فأهدانا بدائع المعانى ، وفرائد الإعجاز ، وروائع البلاغة .

وإنمـا المقصود : التحذير ممـا دس فى أغلب كتب المفسرين ، من كيد اليهـود وقصص القصاصين ، مما تعافه النفوس ، وتمجه الأذواق ، ويخرج القرآن عن معانيه ، ويبعده عن مقاصده ومراميه ، ويلحق بالملائكة المقربين ، والأنبياء المكرمين ؛ ما ينبغى أن نصونهم عنه .

المستهجنة المرذولة، التى دسها أعداء الدين فى الدين ؛ مما يتنافى مع عصمة الأنبياء والملائكة المكرمين .

التوسع فيما لا يتفق وعادات الأجانب

مع مراعاة التوسع فى المواضيع التى لم تألفها الأعاجم، ولم تتروض نفوسهم بعد عليها : كتعدّد الزوجات — مثلا — فاننا لو ترجمنا الآيات الواردة فيه بدون أن نشير إلى مزاياه وأثره فى المجتمع، وفوائده التى أرادها الشارع الحكيم ؛ كان ذلك بمثابة صد عن الدين، وعن القرآن .

تعدّد الزوجات

لأنا لو ترجمنا قوله تعالى : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (١) . كما هو بدون تعليق ؛ كان مدعاة للسخرية بالقرآن والدين، وتحقيقا لما كتبه المبشرون الملاعين .

وهذه الآية وأمثالها لم تنزل للتوسع والإباحة ، بل نزلت للتقييد والحجر ؛ لأن العرب فى الجاهلية كانوا يتزوّجون من النساء ما يشاءون ، بدون تقييد . فمنهم من تزوّج عشرا — بل وفوق العشر — فنزلت هذه الآيات حَدًّا لهم، وحَجْرًا عليهم .

أما الأجانب الآن فانهم لا يبيحون سوى التزوّج بواحدة فقط ، ويرون أن التعدّد من الجرائم الوحشية، وأن ارتكابه من أخطر الأشياء على الإنسانية، وأنه هادم لنظام الأسرة والمجتمع .

فيصح أن اللجنة التى تشكل لوضع التفسير المذكور حين تصل لمثل هذا الموضع من القرآن؛ تعلق عليه بما تراه من وجهة نظر الدين الإسلامى، ومن

---

(١) سورة النساء . آية ٣

صوابية التعدّد وحكمته ، وحاجة الكون والأسرة والمجتمع إليـه . مع ذكر القيود التى قيده بها القرآن، وذكر الآثار التى تترتب على منع التعدّد .

وأن يكون كل ذلك بأسلوب مهذب، ووضع دقيق .

وهكذا كل المواضع الخلافيـة ، التى يختلف فيها كتابنا عن كتابهم ، وتقاليدنا عن تقاليدهم، وعاداتنا عن عاداتهم .

وها نحن أولاء نرى الأمم الأوربية تحرم التعدّد، إلا أنها تبيح ما هو شر منـه ، وهو المخادنة (١)، والزوجات الغير الشرعيات، إلى ما لا نهاية له من فسقهم وفجورهم (٢) .

وبعد إتمام هـذا التفسير : يطبع ويعرض فى سائر الأقطار الإسلامية، وتتناوله أقلام الأدباء بالنقد، وألسنة العلماء والفضلاء بالبحث .

عقـد مؤتمر لنقد ما يعمل

وبعـد مضى مدّة كافية لذلك النقد ، وهـذا البحث : يعقد مؤتمـر إسلامى برئاسة كبير من العلماء الأتقياء . وتكون مهمة هـذا المؤتمر : النظر فى كل نقد وُجِّه إلى هذا التفسير ، لاستدراك ما يجب استدراكه .

اللجنة التى يعهد إليها بترجمة القرآن

وبعد ذلك تُشَكَّلُ لجنةٌ تضم خيرَةَ المثقّفين فى دراسة اللغات، فتَتَرْجمُ هـذا التفسير إلى اللغات المراد نقله إليها، وبعد ذلك تشكل لجنة أخرى لمراقبة عمل الأولى، حتى إذا ما أقرّته بدورها؛ شرع فى طبعه ونشره فورا، غير عابئين بما يقوله المتقوّلون، ويرجف به المرجفون .

وبذلك نكون قد حملنا الأمانة، وأدّينا الرسالة، وقامت على سائر الناس الحجة، وسقطت عنهم المعذرة .

---

(١) المخادنة : المصادقة ، وهو اتخاذ العشيقة .

(٢) أنظر ما كتبناه مفصلا عند تفسير هذه الآية فى كتابنا « أوضح التفاسير » .

ونخرج من دراستنا فى هذا الكتاب بأربع نتائج :

النتيجة الختامية لدراسة هذا الكتاب

أولاها — أن كَتَبَةَ المصحف الأول كانوا من الأُمِّيَّةِ بالمكان الذى جعلهم يكتبونه على غير أصول الكتابة الصحيحة . غير أنهم — رضى الله تعالى عنهم — نقلوه للأمة الإسلامية مشافهة كما أنزله الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام . وهو مصان محفوظ طول العمر ، وأبد الدهر . وليس لأحد أن يمنع كتابته أو قراءته على غير الكَتْبَةِ الأولى .

ثانيها — أن القراءات قد أبيحت فى بدء نزول القرآن للتسهيل على راغبى الإسلام ودفع المشقة عنهم . وبعد أن فشا الإسلام وذاع ، وانتشرت العلوم والمعارف فى الأمة الإسلامية : نهى عثمان عن قراءة القراءات بتاتا ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ بل وقد تم اتفاقهم على إحراق ما عدا قراءة قريش من المصاحف . فليس لكائن من كان أن يقول بجوازها ، بعد منع الصحابة لها .

ثالثها — أن سائر الأحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام — مهما بولغ فى توثيق روايتها ، وثبوت صحتها — لا يجوز نسبتها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا إذا كانت متفقة مع العقل السليم ، والكتاب الكريم ؛ أما إذا اختلفت عن ذلك فى شىء فهى مما دَسَّهُ الأعداء ، والرسول منه براء . ولا يحق لمسلم أن يدعى صحة ما يرفضه العقل والذوق والمنطق والدين .

رابعها — أن القرآن الكريم نزل لجميع الناس ؛ فيجب أن يصل لسائرهم بالهجاء الذى يفهمونه ، والرسم الذى يستطيعونه ، واللسان الذى ينطقونه . فلا يصح لعاقل أن يقول بتبليغه للعرب بالأعجمية ، أو للأعاجم بالعربية .

بل تجب كتابته بهجاء من يريدون تَعَلُّمَهُ ، وترجمته بلغة من يريدون تَفَهُّمَهُ . وهذه سبيلى أَدْعُو إلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَمَا أَنَا من الْمُشْرِكِينَ . وآخِرُ دَعْوَاى أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ !

خاتمة

الحمد لله الذى جَعَلَنَا أُمَّةً وَسَطًا ؛ لِنَكُونَ شُهَدَاءَ على الناس ، وَيَكُونَ الرسولُ علينا شَهيدًا . وهَدَانَا بالقرآن ، وَوَفَّقَنَا للإيمان !

وسُبْحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ الله العظيم . ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِهِ ، وَلَا خُضُوعَ وَلَا ٱلْتِجَاءَ إلَّا لَهُ . وَلَا تَذَلُّلَ ولَا ٱبْتِهَالَ إلَّا إليهِ ، وَلَا طَلَبَ وَلَا ٱسْتِجْدَاءَ إلَّا منه ، وَلَا رَحْمَةَ وَلَا غُفْرانَ إلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ إلَّا فيهِ ، وَلَا رَاحَةَ وَلَا أَمْنَ إلَّا فى لُقْيَاهُ ، وَلَا فَوْزَ وَلَا سَعَادَةَ إلَّا فى رِضَاهُ !

فَلَهُ الحمدُ فى الأُولَى ، وله الحمدُ فى الأُخْرَى ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكيلُ ، نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصيرُ !

فهرس الكتاب

جمع القرآن وتدوينه

لحن الكُتَّاب فى المصحف

هجاء القرآن ورسمه

تلاوة القرآن وقراءاته

وجوب ترجمة القرآن وإذاعته

⁂

كَمُلَ طبع كتاب "الفرقان" بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الأحد ٧ رجب سنة ١٣٦٧ (١٦ مايو سنة ١٩٤٨) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٧/٢٥/٢٠٠٠)

ابن ا